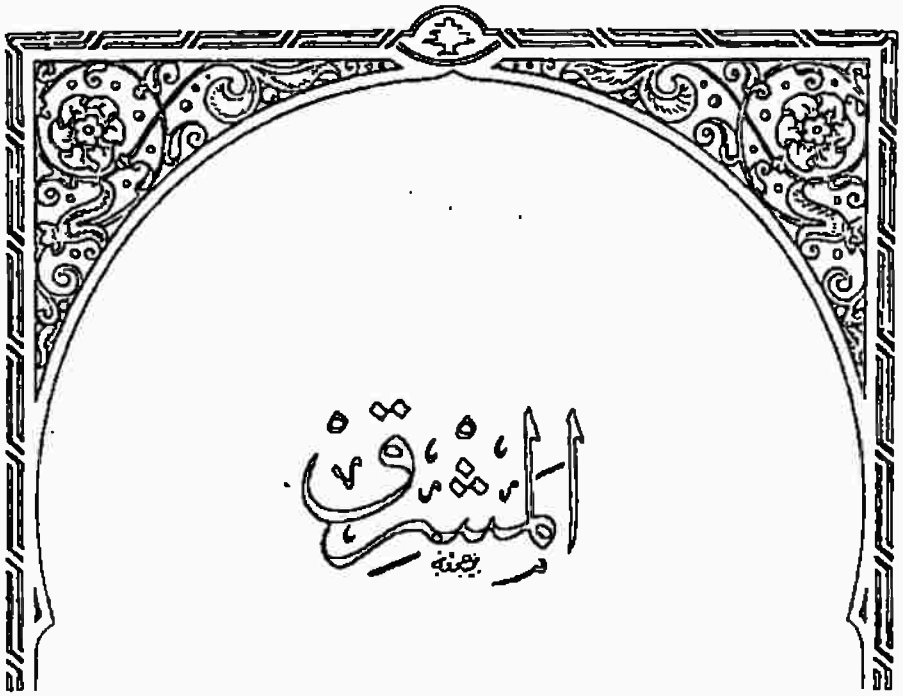




السنة العادية والاربعون

نيسان - حزيران ١٩٦٧

الجوالي

او جزيرة رؤوس النصارى في الاسلام

بقلم حبيب زبات

جمع جالية اي الجماعة النازحة عن منازلها واوطانها وأريد بها
الجوالي في الاصل ، فيما قيل ، اهل الذمة الذين جُلوا عن جزيرة العرب
ولكن فيما بعد تناول هذا الاسم في الاصطلاح كل النصارى
واليهود والمجوس والصابئة ولو لم يكونوا أُجِلوا عن اوطانهم . وكانت الدواوين
السلطانية تطلق اسم « جزيرة الجوالي » على الخراج الذي كان يستوفى عن
رقاب الذميين ثم أُسقط في الاستعمال اسم المضاف وتُرل المضاف اليه في
مكانه وعُرفت الجزيرة باسم « الجوالي » ، الا فيما خص نصارى بني تغلب فانهم
اوا ان يدفعوا الجزيرة « كجزية الاعلاج »^(١) فسمي ما يؤخذ منهم « صدقات » .
وورد اسم الجوالي بمعنى جزيرة اهل الذمة في كتاب الخراج للقاظمي الي يوسف

(١) فتح البلدان للبلاذري ، طبعه ادوية ، ١ : ١٨٢

يعقوب الذي وضعه للخليفة هرون الرشيد^(١) . ومع ذلك فمند الحفاجي انه غير عربي^(٢) .

وكان للجوالي ناظر من جهة السلطان يتولى تحصيل ما يستحق منها كل سنة ويتبعه في مصر « مباشرون من شاذ وعامل وشهود وتحت يده حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف ارباب الاسماء الواردة في الديوان ومن ينضم اليهم ممن يبلغ في كل عام يُعَبَّرُ عنهم بالنش. ومن يقدم الى الحاضرة من البلاد الحارجة عنها ويعبر عنهم بالطاري ومن يهتدي او يموت ممن اسمه وارد في الديوان ويعلى على كتاب الديوان ما يتجدد من ذلك »^(٣) .

وهذه نسخة توقيع بشد الجوالي بدمشق من انشاء ابن نباتة باسجاعها وفضولها وشقشة الفاظها وقلة محصلها :

« رُسِمَ بالامر الشريف - لا زالت حدود اماره واضحة الادلة نافذة الحكم في كل ملة قائمة حسب البلاد بالعدل مقام السحب المستهلة - ان يُرَثَبَ فلان في شد الجوالي بدمشق الحروسة لما ظهر من نجابته واشتهر من حزمه ومهابته وبدا من همه الموالي ومزائه التي تجلوصدا المسم بالجوالي واذا قيل لحاسده : له ولاية امرة الخيل قال : والجوى لي رانه الكافي الذي اذا استنصر كانت عزائه شابة ونفحات ذكره الجبيل هابة ونجل الهام الذي اشهد على كفاءته النهار وعلى تعبده الليل واعذ مصالح الاسلام ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل وان مرماه جبيل وانشاء في منازل الخيل دليل .

« فليباشر هذه الوظيفة المباركة بمزم ينشر مالها ويقرر على السداد احوالها ويستخاص الحق من اهل الاعتقاد الباطل ويستخرج الرق من اهل الجلد الماثل فلا نصرا في الا وهو ينزع تحت الرق من باسه ولا يهودي الا وهو يشكو الصفراء في راسه ولا ساري الا والنار الحمراء مطننة على انفاسه (٤) حتى تكون اوصاف شدة متلوثة وعزائه في الجوالي جلوة ورمه جارية على ايلافها ومألوفها بمزنة لانلام الحساب والدراهم على حروفها صجيحة الوزن غير منبوك آخذة الدببار من وازنه كالأخوذ منه مذكوك شذاً تنفذ على اختياره المتناسر وكما ان للاسلام منه قوة فليكن للوظائف الدينية منه ناصر » (٥)

(١) طبعة مصر ٤ ص ٢

(٢) شفاء الخليل ١٧

(٣) صبح الاعشى للقافشندي ٤٦٣: ٣

(٤) وري بقوله الرقاء والصفراء واخسراء الى الوان عمام كل من اهل الذمة الثلاث كما كانت موجبة عليهم في دولة المماليك .

(٥) صبح الاعشى ١٣: ٦١٠-٦١١

وفي كتاب اعيان العصر للصفي نسخة توقيع بنظر الجوالي كتبه عن السلطان الملك الصالح اسمعيل ، سنة ٧١٥ / ١٣١٤ ، جاء فيه : « لا يدخل الحل على ذمي الا جاء اليه من يطلب الجاليه واحاط به الذل الذي يقول معه : ما اغنى عني ماليه وتجددت له حالة حالكة وحالة الاسلام جاليه على ان اهل الذمة في الذلة ماهرون وقام المصيبة انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون »^(١)

وكانت الجوالي تُستخرج بمصر مسانحة في اول المحرم ثم صارت تستخرج في ايام من ذي الحجة^(٢) او في رمضان . ويظهر ان استخراجها كان اولاً في هذا الشهر . قال المقرئزي : سنة ٦٨٢ (١٢٨٣ م) استخرجت الجوالي من الذمة في اول المحرم وكانت المادة ان تستخرج في شهر رمضان فأُخر استخراجها الى المحرم رفقا بهم^(٣) . وكانوا يرون وجوبها مشاهرة حتى اذا اسلم الذمي او مات لزمه منها بمقدار ما مضى من السنة قبل اسلامه او وفاته^(٤) . وهي تجب على الرجال البالغين دون النساء والصبيان والعبيد والمجانين^(٥) . ولا تؤخذ من المسكين الذي يُتصدق عليه^(٦) . ومن غاب عن البلد من اهل الذمة غيبة طويلة وكان له فيها دار أخذ من اجرتها ما عليه^(٧) .

وكان الرهبان في الديارات والقلائي والصوامع يُعدون من جملة الفقراء والمساكين الذين يُتصدق عليهم ويُفنون في الطالب من اداء الجزية . واول جزية أخذت من الرهبان بمصر كانت في ايام الامير عبد العزيز بن سروان (٦٨١ - ٧٠٥) امر باحصاء الرهبان وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار^(٨) . وفي إمارة احمد بن طولون طالب ابن مدبر ، صاحب الخراج ، رهبان دير القصر الملكيين مجزية رؤوسهم ، فشكروا امرهم الى احمد بن طولون ، وكان كثيراً ما

(١) اعيان العصر ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٠٩١ تاريخ ، ج ٧ ص ٢٢٠

(٢) صبح الاعشى ٣ : ٤٦٣

(٣) السلوك للمقرئزي ، باريس ، ١٧٣٦ ، ص ٢١٦

(٤) المخطط ، مطبعة النيل ، ١ : ١٧٢

(٥) قوانين الدواوين لابن عثاني ، خزائن بريش ، موزيوم ١٢ ، ٢١٢٠ ، Or.

(٦) كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف يعقوب ، طبعة مصر ، ١٤٦

(٧) المخطط للمقرئزي ، مطبعة النيل ، ٢ : ٢٩٤

يطرق الدير ويخلو في بعض القلاي يسكر ، وقالوا له ان الجزية أسقطت عن امثالهم على مرّ السنين ، فوقع اليه بنحطه توقيعاً فاخذ التوقيع منهم وبلغ لهم فوق ما يجبون^{١١} ، ولما صار علي بن عيسى الى مصر ليكشف احوالها سنة ٣١٣/ ٩٢٥ » اخذ الزهبان والاساقفة وطلب منهم الجزية من جميع الرهبان والضمما. والمساكين ومن جميع الديارات التي بافل ارض الصيد ومن الاساقفة والزهبان الذين في دير مينا فخرج من الزهبان اثنا عشر الى العراق واستأثروا بالمقتدر فكتب لهم ألا يؤخذ منهم جزية وان تجري امورهم على ما كانت قديماً^{١٢} » وقد اوصى غير مرة الخلفاء العباسيون ان لا تؤخذ من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذي سن عالية ولا من ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا راهب متبتل^{١٣} . «^{١٤} وفعل مثل ذلك بعض الملوك الايوبيين . وفي سنة ٥٨٩/ ١١٩٣ كتب الملك الافضل ابن صلاح الدين في تقليد بولاية دمشق :

« من الرعية الذين تحت يدك اهل الذمة وهم قوم سكنوا بين اظهر المسلمين سكنى الاذلال وبذلوا الجزية فقصوا بها مباح الدماء والاموال فعليك ان تملي عليهم ظل المصدلة . . . ومن احسان السيرة فيهم ألا تطلب الجزية من راهب انقطع في صومته ولا من شيخ حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعتة^{١٥} . »

و اول ما فرضت الجزية في الاسلام كانت « على المبرسر ثمانية واربعين درهماً وعلى الوسط اربعة وعشرين وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثني عشر درهماً^{١٦} » . واختلف بعد ذلك مقدارها في كل دولة . فكانت في زمان مؤلف « قوانين الدواوين » (١١٤٩ - ١٢٠٩ م) على ثلاث طبقات - تستأدى في مصر والاسكندرية واخمم - : « عليا وهي اربعة دنانير وسدس عن كل

(١) سيرة احمد بن طولون لابي عبد الله بن محمد المدني الهروي دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم ٢٤٢ دون ارقام .

(٢) تاريخ سيد بن بطريق ٢ : ٨٣ ، والمخطوط للسفريري ٢ : ٤٩٤ - ٤٩٥ ، طبعة بولاق .

(٣) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠ : ٢٨٠

(٤) الثاني من ترسل صاحب خباء الدين بن الاثير (الخزائن الشرقية ٣ : ١٦٦)

(٥) كتاب المراج ١٤٦

سنة ١٢٩٥/٦٩٥ الزموا اهل الذمة باداء الجزية من اربعين سنة منذ قتل الخليفة الامام المستعصم^(١). وفي سنة ١٣٤١/٧٤٢ شرع الفخري النائب بدمشقي في تحصيل الاموال لتجيز طلب السلطان واستخرج من اليهود والنصارى جوالي ثلاث سنين معجلة^(٢). وكان قبل ذلك قد أُضيف الى كل جالية دينار يؤخذ من كل ذمي بحجة نفقة الاجناد فيما عدا ما يفرمه للبشرين والاعوان وهي المظلة التي ازالها الملك المنصور سيف الدين قلاوون^(٣). ولكنها ما كادت تبطل حتى نشأ غيرها. وفي سنة ١٣٥٩/٧٦٠ في جمادى الاولى «رسم السلطان للنصارى واليهود باجرائهم على عادتهم في ايام الملك الناصر وذلك في امر جزيتهم ومواريتهم وابطال ما احدثه عليهم ضياء الدين يوسف ابن الخطيب»^(٤).

ومن هذه المحدثات ما دُعي «شبه الجالية»، كان يؤخذ من اهل البرنس وشورى والبطيم وهو في كل سنة مبلغ ستين الف درهم ابطاله الملك الظاهر برقوق في جملة المكوس التي اسقطها في ولايته^(٥). وفي سنة ١٤١٣/٨١٦ وألى السلطان الملك المؤيد شيخ رجلاً بجاية الاموال فكثرت الاستقصاء عن الذمة والكذب في الاستخراج منهم فبلغت الجوالي احد عشر الف دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كثير^(٦). وكان ارتفاع الجوالي قبلاً عشرة اضعاف هذه القيمة. روى القاضي الفاضل انها بلغت سنة ١١٩١/٥٨٧ مائة وثلاثين الف دينار^(٧). فانحطت هذا الانحطاط الفاحش لشدة المظالم في دولة المماليك، وضعف النصارى بكثرة من أكره منهم على الاسلام. وفي سيرة الملك الظاهر

(١) تاريخ الجزري، باريس ١٦٧٣٩، ص ١٧٤

(٢) ذيل ابن قاضي شبة، باريس ١٥٩٨، ص ٢٢

(٣) المخطط ١٧١٠:١

(٤) التيج السديد للفضل بن ابي الفضائل، أكسفر ١٢١٢، ص ٢٨، M. S. Sale

(٥) تاريخ ابن الفرات، المطبعة الامبركانية بيروت ٩: ١٨٥؛ وفي النجوم الزاهرة انه أُعيد سنة ٨٤٧ في سلطنة الملك الظاهر جفتق، ٤٢١: ٥، طبعة ليدن.

(٦) المخطط ١٧٣: ١

(٧) ١٧٣: ١ كذا ورد في الصفحة المذكورة وفي الصفحة التالية ١٧٥ قبل ثلاثون

الف فقط.

بيهرس للقاضي محي الدين بن عبد الظاهر ان الناس قد هلكوا من الظلم وكثرة المكوس والضرائب عموماً والجوالي المعجزة قال : « ونفذت الاموال للرقاصين والموانية واصحاب الارباع »^(١) .

وكان بعض الملوك والنواب وكثيرون من القضاة واهل العلم ورجال الدين يعتقدون حل مال الجوالي وطيبه وتزاهته عن كل شبهة واتهم ولا يؤثرون غيره للانفاق على نفوسهم، ويحرصون كل الحرص على قبض جواربهم ووظائفهم من المتحصل منه. ولما زار تاج الدولة تتش بن الب ارسلان نصر بن ابراهيم المقدسي المتوفى سنة ١٠٩٠/١٠٩٧ سأل عن احوال الاموال السلطانية فقال : « اموال الجزية »^(٢) ومن كتاب الملك الافضل بن صلاح الدين بتقليد ولاية دمشق سنة ٥٨٩/١١٩٣ في كلامه على جزية اهل الذمة : « هذا المقدار من هذا الوجه قد يوردك في ديناره ودرهمه وغير ما صرفه المرء المسلم في ملبسه ومطعمه فليفرق في الصدقة التي تريده طيباً ولا تجعل له في الحسنات مثلاً ولا ضرباً »^(٣) . واشهر من عاش كل ايامه من المرتب له على مال الجوالي الملك العادل نور الدين بن زنكي . حكى ابو شامة انه كان له « برسم نفقة الخاص في كل شهر من جزية اهل الذمة مبلغ الفين قرطيس »^(٤) يصرفه في كسوته ونفقته وحوائجه حتى اجرة خياطة وجامكية طباعه ويستفضل منه ما كان يتصدق به في آخر الشهر »^(٥) . ونظيره الملك الرحيم اتابك طغرل الظاهري بجلبه كان لا يأكل الا بما يُبتاع له من مال الجوالي فقط^(٦) . ولذلك احتفظ بعض الملوك بحماية هذه الجبهة واقاموا لها ديواناً مفرداً مستقلاً . وبقيت في مصر كذلك الى سنة ٧١٥/١٣١٥ فأخرجت من الخاص وقرئت في البلاد^(٧) . وكان ما

(١) خزائن يربيش ، موزيوم ٤٨ : ٢٨٣ Add, 23332.

(٢) معجم البلدان لياقوت ، طبعة اوردية ، ٦ : ١٠٦٠

(٣) الثاني من ترسل صاحب ضياء الدين بن الاثير (الخزائن الشرقية ٢ : ١٦٦)

(٤) القرطيس ست فلوس عدداً ، وكان الناس يتاملون جا بالشام عن كل درهم اربعة وعشرون قرطيساً فابطلها السلطان الناصر سنة ٧٢١/١٣٢١

(٥) عيون الروضتين في اخبار الدولتين ، يربيش موزيوم 39b ١537. Or.

(٦) ارشاد الارب لياقوت ٥ : ٤١٣

(٧) الملوك للقرنري ، خزائن الفانيكان رقم ٧٥٩ ، ص ٤٧

يتحصل منها « يحمل منه قدر معين في كل سنة لبيت المال وبأقي ذلك عليه مرتبون من القضاة واهل العلم والديانة يوزع عليهم على قدر المتحصل »^(١) حتى اذا تولى النشر القبطي الاسلامي خزانة الملك الناصر محمد بن قلاوون واحب التقرب من رضاء بتوفير الاموال « كان اول ما بدأ به ٠٠٠ ان اسر مباشري الجوالي بقطع ما عليها من المرتبات من جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب الى جميع الاعمال يحمل مال الجوالي لخزانة الخالص ومن تعجل منها شيئاً يستعاد منه فجمع من ذلك ما لا كبيراً »^(٢) وبقيت الحال كذلك الى ان قبض عليه سنة ١٣٣٩ / ٧٤٠ .

وجرى الاتراك العثمانيون على هذه الحطة في اطلاق ارزاق بعض القضاة والعلماء من اموال الجوالي ، منهم « محمد بن حمزة كمال الدين مفتي دمشق لما دخل ابراهيم باشا الوزير الاعظم الى دمشق في سنة ٩٣١ (١٥٢٤ - ١٥٢٥ م) رتب له في مال الجوالي بدمشق ثلاثين عثمانياً »^(٣) ومحمد الكفرسوسي ٠٠٠ رتب له عشرين عثمانياً كل يوم^(٤) . وفي حدود سنة ١٠٦٠ (١٦٥٠ م) سمى احد كتاب خزانة الشام اسكندر بن يوسف بن اسحق الرومي الاصل الدمشقي وتعاوض هو والدقدي وبهض الكتاب على قطع ارزاق العلماء والصلحاء بدمشق من جوالي السلطان « وعرضوا ما ابرموه على الوزير فجرت المقادير على وفق ما احكموه من الرأي الفاسد وقطع من الناس شي . كثير وبسبب ذلك ضعف قوة العلماء بالشام واستولى عليهم الفقر »^(٥) .

ويؤخذ من رواية المقرئ انهم لما افردوا جوالي الذمة من ديوان الخالص سنة ١٣١٥ / ٧١٥ وفرقوها في البلاد التي اقطعت للاسراء والاجناد قل متوصلها كثيراً ، لان النصاري كانوا مجتمعين في ديوان واحد بمصر فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطوع تلك الضيمة فاتسع مجالهم وماروا يتنقلون

(١) صج الامنى ٤٦٢:٥

(٢) السلوك للسفرىزي، خزانة باريس رقم ١٧٢٦، ص ٤٧٥

(٣) الكواكب السائرة للنزى، خزانة الجامعة الامبركية ببيروت، ص ٢١ Ms 92002G42

(٤) الكواكب السائرة للنزى، ص ٢٧

(٥) خلاصة الاثر للمحيي ٤٠٢:١

في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون^(١) . قال النويري : « اخبرني بعض العدول الثقات شهود دواوين الاسراء انهم يستأدون الجالية من النصراني اربعة دراهم ونحوها وكانت قبل ذلك ستة وخمسين درهماً ولما كانت الجوالي جارية في خاص السلطان كانت الحشأ تسافر الى سائر البلاد ويستأدونها منسوبة الى جهاتها واذا وجد نصراني في ثغر دمياط وهو من اهل اسران او من اهل حلب او عكس ذلك أخذت منه الجزية في البلد الذي يوجد به ويكتب المباشرون بها وصولاً فيقيد له بيلده^(٢) . ولكن لم تلبث الجوالي ان عادت الى ما كانت عليه قبلاً وقد تقدم من شهادة المقرضي انها تفررت سنة ١٠١٥/١٠١٣ بين دينار واربعة دنانير .

وفي شهر شوال سنة ١٠١٦/١٠١٤ ألزم اليهود مبلغ الف مئقال من الذهب وألزم النصارى بمائتي عشر الف مئقال تسعة عشر ألف مئقال وذلك في نظير تقاربت ما كانوا يقومون به فيما مضى من الجزية وتولى استخراج ذلك منهم زين الدين بن قاسم البشتكي المعروف بسيدي قاسم^(٣) .

وكانت الجوالي في بغداد تجمي في شهر ربيع الاول قبل ان تكون في المحرم، ويلحق اهل الذمة في جبايتها مثل السف والمقارم التي كانوا يتحملونها في مصر . قال الصولي : « سنة ٣٣٢ (٩٤٣ م) فتحت الجوالي في شهر ربيع الاول فلحق اهل الذمة خبط عظيم وظلم قبيح^(٤) . وفي سنة ٣٦٦/٩٧٧ عهد الخليفة الطائع لله الى فخر الدولة بن بويه « ان يتخير عماله على الاعشار والحراج والضياح والجهنزة والصدقات والجوالي من اهل الظلف والنزاهة ... ويأمر جباة حجاج اهل الذمة ان يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات ايديهم في الاموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المهرودة لها^(٥) .

(١) المخطط للمقرضي ١: ١٤٥٠

(٢) خاتمة الارب للنويري خزانة ليدن Arab 2 O. Gaul 71b

(٣) السلوك ، بريثش موزيوم Or. 2902, f° 20

(٤) كتاب الادراق ٢٥١

(٥) صبح الاعشى ١٠: ٢٨

وكانت العادة في بغداد ان يحمل ما يحصل من الجوالي الى الخلفاء. لا تعارضهم فيها الملوك^(١). ولكن في سنة ١٠٤٢/٤٣٤ افتتحت الجوالي في المحرم باسر الخليفة القائم باسر الله فانفذ جلال الدولة ملك المراق « من منع اصحاب الخليفة واتخذ ما استخرج منها واقام من يتولى جبايتها فشق ذلك على الخليفة وترددت منه مراسلات فلم تنفع. فظهر الغرم على مفارقة البلد واسر باصلاح الطيار والزبازب وروسل وجوه الاطراف والقضاة والاعيان بالتأهب للخروج في الصعبة... وفي سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) رُدَّت الجوالي الى وكلاء الخدمة^(٢).

ومن اهم الجوالي سنة (١٢٢٨/٦٢٦ - ١٢٢٩ م) عزل ناظر ديوانها محيي الدين يوسف بن الجوزي وترتب محيي الدين محمد بن فضلان في مكانه « وتقدم اليه باعتماد الشرع في اخذ الجزية فزاد على من عليه دون الدينار وفي غرة المحرم سنة ٦٢٧ - ١٢٣٠ م جلس في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من اهل الذمة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته ويكتب له رُوز (وصول) وهو صاغر فلقوا. من ذلك شدة. وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطب له اختصاص ودخول في دار الخليفة فظهر المرض والاعتذار وسأل ان تؤخذ جزيته من يد ولده فلم يقبل منه فحضر وادأها « وكتب محمد بن فضلان رقعة طويلة الى الخليفة الناصر لدين الله يحرّضه فيها على اهل الذمة وبعد ان بالغ في الوقيعة فيهم قال له : من حكم الشرع انه اذا اخذت الجزية منهم وهو قائم والاخذ قاعد يضجها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه تكون يد المسلم العليا ويد الذمي هي السفلى ثم يد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له : « أَذَرَ حق الله يا عدو الله يا كافر » فلما وقف الخليفة على رقعته لم يُعد عنها جواباً^(٣).

ولم يتفق لاحد من المؤرخين احصاء النصارى مرة في احدى المدن او

(١) الكمال لابن الاثير ٩: ١٧٢

(٢) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي ، برتيش موزيوم Or. 49, f° 21^b

(٣) الحوادث الجليلة لابن الفوطي ، الحزاة اليسورية ص ٣-٤ و٤٢٣-٤٢٧

الممالك الاسلامية لنظم، ولو تخميناً، مقدار ما كانوا يؤدونه وخدم دون اليهود من جزية الجاجم، كما كانوا يقولون . وغاية ما وقفنا عليه من الاشارات الى ارتفاع جوالي اهل الذمة في اوقات متفرقة ما يأتي :

٣٠ ٠٠٠ دينار في مصر سنة ٥٨٧ (١١٩١ م) نقلاً عن القاضي

القاضل وزير السلطان صلاح الدين الايوبي^{١١}

١ ٥٠٠ دينار في مصر سنة ٨١٤ (١١١١ م) نقلاً عن ابن حجر الملقاني^{١٢}

١١ ٤٠٠ " " " " ٨١٦ (١٤١٣ م) نقلاً عن المقرئ^{١٣}

١٨ ٠٠٠ " " " " ٨٨٧ (١٤١٤ م) " " " " ^{١٤}

١٠٠ ٠٠٠ درهم في قسبة حلب سنة ٦٠٩ (١٢١٢ م) نقلاً عن ابن

الشحنة وابن شداد^{١٥}

١٥ ٠٠٠ درهم في حران وفي الرقة، في النصف الثاني من القرن السابع

للهجرة، نقلاً عن ابن شداد في الاعلاق الخطيرة^{١٦} .

٥ ٠٠٠ دينار في نصيبين . قال ابن حوقل : « رُفِعَ لها من الجاجم

عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها خمسة آلاف دينار »^{١٧} .

ولا شك ان مقدار الجوالي كما يختلف كثيراً باختلاف قيمة النقود

واشتداد المظالم على النصارى « وكثرة اظهارهم للاسلام في الحوادث التي مرت

بهم »^{١٨} . ولما استولى الاتراك المماليك على مصر والشام وزاد غسف الولاة

لمن تحت ايديهم من الذميين كانت شدة وطأة الجزية وعنف استخراجها

وتعدد المقارم والخمايز التي تصحبها دائماً هي الباعث الاكبر لانتحال كثيرين

١١ المخطوط ١٧٥٠:١

١٢ انباء النصر، باريس ١٦٠٢، ص ٢٢، هكذا ورد فيها هذا العدد ولا ريب انه غير

صحيح للفرق الفاحش بينه وبين متحصل سنتي ٨١٦ و ٨١٧ مع قرب الزمانين .

١٣ السوك، بريش، موزيوم Or. 2902 f° 20^a

١٤ الدر المنتخب في تاريخ ملكة حلب، بيروت ١٤٨

١٥ Revue des Etudes Islamiques, 1934 (C. Cahen), pp. 111 et 112

وقد وم بترجمة الجوالي : taxe des étrangers

١٦ للمالك والمالك، طبعة ليدن ١٤٢

١٧ رحلة البطريرك مكاريوس، باريس ١٦٠١٦، الورقة ١٠ و ٢١

منهم الاسلام. وقد شهد الشماس بولس الحلبي في رحلة والده البطريرك مكاريوس الزعيم ان اهل غزة خصوصاً كانوا يخرجون من دينهم افواجاً لعجزهم عن تأدية ما كان يطلب منهم، حتى لم يبق في زمانه اكثر من ثلاثين نفساً من الرجال البالغين في حين ان الجزية المقررة عليهم كانت «مائة وخمسين اسماً» وهم 'يحملون جزية من اسلم منهم قال: «وفي هذه السنة (٧١٥٨ لآدم = ١٦٤٩ م) بلغ خراج اهل الشام ثلاثة عشر غرشاً وكان في الشام جباية خراج عتق كفرة اشرا لا يخافون الله»^(١) وتتضح قبة الفرش وقتند من حكاية الشماس بولس انه نصب في الدار البطريركية بدمشق عمودين من رخام على هيئة العمود الرومانية بمثل قواعدهما كان يحار فيها عقل الناظر ولم يتكلف عليها سوى ثلاثين غرشاً فقط^(٢). وبعد ان افاض في شرح مظالم الخراج وتقل تكاليفه وذكر وساطته ومساعي والده لتخفيفها قال انه تمكن من اسقاط حوالي اهل دمشق الى ٧٠ اسماً واهل بطبك الى ٤٣ وكانوا اكثر من ١٥٠ ولكنهم فقراء. جداً، وحط عن اهل قارة ومرونية ١٥ اسماً، وعن اهل يعرود ٣٠، وعن اهل دير عطية ٣٥؛ وكان اهل كفرهم نحواً من ٢٠٠ في البلدة فكسبهم ٦٠ فقط. وكل هذه المدن والقرى من الروم الملكيين. وغرم على ذلك بضعة آلاف من الفروش بين هدايا ورشى^(٣) ويستدل من كلامه ان المرسوم السلطاني يومئذ كان يوجب الخراج على القسوس والشمامسة ولكنه تلتف واجتهد باعفائهم منه.

وفي خزانة بريتش موزيوم مخطوط رقم Add. 23483 مخروم من اوله تمطلت اكثر اوراقه بالرطوبة وطست سطورها، وهو في معنى كتابة الدواوين وخراجها وحساباتها، وفيه فصول مهمة مفعمة من الفوائد والثرادر كالفصل في ذكر لمع من احوال الطراز والصفحات في تفصيل مكس بعض البضائع المجلوبة. ومنها يمكن اقتباس عدة شروح واصناف للجوالي تصلح لهذه المقالة ويبدأ بها بعض ما فيها من الفراغ والنقص. وقد اعجلنا الوقت عن حل عويص هذا الكتاب، ولم نتمكن، والأسف، من نقل شي. عنه.

(١) رحلة البطريرك مكاريوس، باريس ١٩١٦ الورقة ١٠ و ٢١٠

(٢) ٢٠٥ / / / / /

(٣) ٢١٠-٢٠٩ و ١٠ / / / / /

خصائص بعلبك قديماً

في الصناعة والزراعة

من قابل بين ما كانت عليه مدينة الشمس في الازمنة السالفة وما آلت اليه حالتها اليوم في الصناعة والزراعة يتولاه العجب والاسف لاختطاط شأنها وتقلص ظلها وعدم انتفاع اهلهما بما خُصّت به من حبيب الهواء وعذوبة الماء وخصب التربة ورخص الاجور فيها وفي برّها. وهذه المزايا هي التي احلّتها قديماً محلها بين المدن الصناعية والزراعية في الشام. وبما اشتهرت به شهرة فائقة واتسمت به تجارتها نسيج عرف باسم «البعلبكي» كان يحمل الى آفاق الشرق وتنتشر به الاسواق لاقبال العامة والخاصة عليه، ولا سيما في البلاد المصرية. وكان ينشأ أحياناً من قلة المجلوب منه او من احتكائه وارتفاع اسعاده شغب في الاسواق وتظلم من الجنود والعمال وذوي الحاجة والفقراء لاعتيادهم اياه وعده من الالبسة المباعة شرعاً. قال البدر البيني في حوادث سنة ٨٠٥ (١٤٠٢ م) :

« في هذا الشهر (رجب) ارتفعت الاسعار جداً في انواع القماش فوصل الثوب البعلبكي الذي طوله ثلاثون ذراعاً الى اربعة مئة درهم ^(١) »
وروى ابن قنبري بردي في اخبار جمادى الاولى سنة ٨٦٢ (١٤٥٨ م) :

« في يوم الاحد السابع عشر خاشنت الممالك صاحب جمال الدين ناظر الجيش الخاص في اللفظ بسبب غلو سعر الثوب البعلبكي ^(٢) »

واكثر ما كان يعمل من القطن وقليلاً من الصوف، يبلغ طول الثوب منه ثلاثين ذراعاً في عرض ذراع ونصف؛ ومنه صنف رفيع يعمل للبلوك يكون ابيض في الصيف. قال ابن قنبري بردي ايضاً في حوادث سنة ٨٦٢ (١٤٥٨ م) :

« في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة لبس السلطان القماش الابيض »

(١) عند الجمان في تاريخ اهل الزمان ، باريس ١٥٤٤ ، ص ٦١

(٢) النجوم الزاهرة ، طبعة لندن ، ١٧٠٠ : ٥٠٠

البعلبي المد لا يام الصيف على العادة في كل سنة^(١) وكان الملك الظاهر خشنم لا يعجبه من البعلبي الا ما تريد قيمته على ثلاثين ديناراً^(٢).
ومن اقبح ما دفع اليه الطمع في الاستثار باريح هذا الصنف واشباهه من الملبوس ان الملك الظاهر برسباي الذي حجب على اكثر انواع المتجر في ايامه رسم في شهر رجب سنة ٨٣٢ (١٤٢٩م) « ان يكون صنف البعلبي والغاكي والمرصلي للسلطان لا يشتره ممن يجلبه الى القاهرة ويبيعه في الناس الا هو^(٣) »
ومن هذه الاثواب المملوكية كانت تكون احياناً هدايا نواب دمشق للسلطين فقي سنة ٧٩٩ (١٣٩٢م) « وصل نائب الشام الى مصر... وارسل مقدمة الى السلطان عشرة ممالك... وخمسة وعشرون جلاً محملة نصابي وبعلبي ونحو ثلاثين جلاً محملة فاكهة وحلاوة ومخللات وغير ذلك^(٤) ».

وفي تاريخ ابن اياس ان الحاكم باسرافه لما قتل وزيره الامير بروجوان « احتاط على وجوده فوجد له الف سروال من البعلبي المال وفي كل سروال نافعة منك وتكة حرير ايض^(٥) ». ولكن في خطط المقرئ ان الالف سروالاً كانت دقيقية^(٦) اي من نسج كان يعمل في دبيق، بليدة من اعمال مصر، كانت بين الثوب وتيس نسب اليها الاثواب الدقيقية :

ولم يكن البعلبي لباساً وجالاً للاحياء تقط بل كان ايضاً ثوباً وصواتاً للموتى ومن تذكر كثرة الطواعين في مصر وهلاك الالوف بها يتحقق المقدار الهائل من الاكفان التي كانت تتخذ منه غالباً لمراوة الموتى وما يعتب اشتداد الطلب عليها من ارتفاع الاسعار ورواج التجارة والجلب ، وفي ذلك ما لا يخفى من المنافع والارباح لبعلبك
وبما عرفت به ايضاً نوع من الاردية يسمى الاحرام، وهو ثوب واسع لا اكمام

(١) النجوم الزاهرة ٥٠١:٢

(٢) ٧٦٠:٢

(٣) السلوك لمرفة دول الملوك للمقرئ، باريس ١٧٢٧، ص ٢٩١

(٤) ذيل ابن قاضي شبة، باريس ١٥٩٩، ص ١٢

(٥) تاريخ مصر لابن اياس ٥١:١

(٦) المخطط ٥:٣

له ولا بطانة يتردى به الرجل . واكثر ما يلبسه اهل المغرب والاندلس . قال ابن بطوطة لما مرّ ببلدة قسطنطينة في المغرب : « تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فامر بفلسها في داره وكان الاحرام منها خلعاً فبعث مكانه احراماً بعلبكياً وصرّ في احد طرفيه دينارين من ذهب »^(١)

ويظهر ان بعلبك عرفت ايضاً صناعة الزناير والبندود القطنية واكثر ما كان يتخذها المالك بصر . روى المقرئ انه « كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر الساكر... تكون اوساطهم مشدودة ببندود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضاً عن الحوائص »^(٢)

ولا يخفى ما تقتضيه كل هذه المصنوعات والارتفاعات من تعدد الممال ودربتهم على الحياكة وفنونها ، وألفتهم اساليب التجارة والارتفاق ، ولا شك ان بعلبك لم تنفرد بها بل شاركتها في الاهتمام بها واستبضاعها بلاد اخرى في الشام . وانما نسبت الى بعلبك خاصة لانها كانت السابقة الى طريقتها والتوفر عليها فاشتهرت بها وحدها . ولم نجد لاحد نصاً صريحاً على زراعة القطن في بعلبك وبرّاها وقراها ويبدو جداً ان لا تكون تخصصت بها مع افتقارها الى القطن وشدة الطلب عليه وقتئذ لاروبة وعلى منسوجاتها منه لمصر . وقد شهد البشاري المقدسي ، في القرن الرابع للهجرة ، ان بعلبك مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب^(٣) . ولكنه لم يفضل شيئاً من هذه المزروعات ، وكان القطن وقتئذ عامّاً في حماة وحلب وطرابلس وبيروت ، ومنه في برّ دمشق نوع قصير الساق ، وكانت الحولة معدن الاقطان^(٤) .

وعرفت بعلبك ايضاً ، فيما عدا النسيج ، «الدهان الفائق في الماعون مما يستحسن ويحمل منه الى كثير من البلاد»^(٥) ويراد بالماعون كل ما يُنتفع به من الآنية في البيت كالقدح والمركن والفأس والقدوم ونحوها . ومن آنية البيت والمائدة

(١) رحلته ٦: ١ و ٤٨

(٢) المخطوط ١٦٠: ٣ ، وتاريخ ابن اياس ١: ١٢٠: ١

(٣) احسن التقاسيم ١٦٠

(٤) احسن التقاسيم ١٦٠

(٥) تركة النواظر لابي الفضل بن شحنة ، مسودة بخطه بالكتبة الاحمدية بحلب .

الصحاف والملاقي الحشبية . وكان لاهل بعلبك صنعة خاصة بها شاهدها ابن بطوطة ووصفها بقوله : « ويصنع بها اواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد وهم يستون الصحاف بالدرست وربما صنعوا الصحنه وصنعوا صحنه اخرى سمع في جوفها واخرى في جوفها الخ ان يبلغوا العشرة فيجئيل لرائيها انها صحنه واحدة . وكذلك الملاقي يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في حزامه واذا حضر طعاماً مع اصحابه اخرج ذلك فيظن رائيه انها ملققة واحدة ثم يخرج من جوفها تسماً^(١) .

وكانت الاواني الحشبية المدهونة في بعلبك لا يكاد يحلوا منها جهاز المرانس في الشام ومصر وغيرها . ويستدل على ذلك بما رواه المقرئ في اخبار زواج انوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٢ / ١٣٣٢ قال : « خرج شوارها من القصر وكان عدد الحمالين ثمانمائة حمال . . . النحاس الشامي اثنين وعشرين حملاً والبعلبكي المدهون اثني عشر حملاً »^(٢) .

واما المزروعات فاكثرها قديماً للاعتاب روى البشاري المقدسي ان بعلبك كانت معدنها ولذلك اشتهرت بصناعة الدبس والملين ، وعدت ياقوت القززل من قري بقاع بعلبك وقال : يعمل بها الملين المسى بجلد الفرس وهو من خصائصها^(٣) . ولما مر ابن بطوطة ببعلبك كان الملين لا يزال معروفاً بها وصفه بقوله : « بها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرُب يصنعونه من العنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجعد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويستون حلوائه بالملين ويسونها ايضاً بجلد الفرس »^(٤) .

وبعلبك اليوم بقية بقيت من الفواكه الكثيرة التي كانت فيها قبلاً ومنها اصناف اشتهرت خصوصاً بالنسبة اليها عد منها الصفدي في « تذكرته » والبدي

(١) رحلته طبعه باريس ١٨٧ : ١٠٧

(٢) المخطوط ١١٠ : ٣

(٣) معجم البلدان ٣ : ٨٧٢

(٤) رحلته ، مطبعة وادي النيل ، ١ : ٤٨

في «محاسن الشام»: المشمش البلبكي والتين البلبكي والكثير البلبكي والقراصيا البلبكية . وقد انتقطت القراصيا منها بعد ان كانت متوفرة بها جداً حتى قال ابن بطوطة ان «بعلبك بها من حبّ الملوك ما ليس في سواها»^(١) واهل المغرب والاتدلس يدعون القراصيا حبّ الملوك^(٢) . وروى فيه المقرئ قول بعضهم :

ودوح خذل اشطانه رعى الدهر من حن ما اشقى
فما احمرّ منه فصوص النبق قد وما اسودّ منه عيون المها^(٣)

ومن انواع التفاح التي زالت كذلك من بعلبك «التفاح اللبناني» ومن شهوده المعنونة حجر أدمج منكأ في حائط الجامع الكبير الغربي ببعلبك من خارجه فيه كتابة سلطانية من عهد الملك الظاهر برقوق (١٣٦٤) جاء فيها : ان «بعلبك تنفق فيها في كل سنة مظلمة . . . وهو ان جماعة من البلايين يطوفون في كل سنة على البساتين يطلبون من اهلها التفاح اللبناني . . .» وفيما عدا الدبس قال ياقوت: ببعلبك جبن وزيت ولبن ليس في الدنيا مثلاً يضرب بها المثل . ونقل ابياتاً لاعرابي قال فيها في تشبيه البياض :

«او جينة من جبن ببعلبك»^(٤) .

ونقل ابن بطوطة ان ببعلبك «كثيرة الابنان وتجب منها الى دمشق»^(٥) . ولا ريب انه كان هناك زراعات وصناعات أخر لم يتفق لاحد الاشارة اليها او لم نوفق للشور عليها . وفي ما اوردها منها تذكرة لقوم يعقلون .

(١) رحلك : ١ : ٤٨

(٢) مفردات ابن البيطار ٦ : ٨

(٣) فقع الطيب ٣ : ٢٤١

(٤) معجم البلدان ١ : ٦٧٤

السرقين والسهاد في الزراعة قديما

لم يكن علم الفلاحة ومعاونة الارض من العلوم التي انصرفت اليها في الشرق انتظار العلماء والمؤلفين ، فلم يقيم في الاقطار الزراعية كالشام ومصر والعراق والاندلس من انقطع الى الدرس والبحث في علم الفلاحة وغني باذاعة تجاربه واسراره الا فيما ندر وقل . ومن راجع كتابي الفهرست وكشف الظنون و١٥١ كل ما وصل الينا من اسماء الكتب والفنون لا يكاد يجد فيها الا بضعة مؤلفات تدل على قلة عناية القوم بتدوين تجارب الزراعة . ومن اشهر المصنفات فيها :
- كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية . وفي دار الكتب المصرية الجزء الاول منه رقم ٣٩ في ٣٥ ورقة ، كتب في ٢٢ رجب سنة ٩٩٥

- كتاب الفلاحة اليونانية لقسطا او قسطوس بن لوقا الرومي ، طبع في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ للهجرة
- كتاب الفلاحة للروم لابي بن محمد بن سعد ، ذكره ابن النديم .
- كتاب الفلاحة لابن الروام الاشيلي . طبع في مجريط (مدريد) سنة ١٨٠٢ وفي مصر .

- كتاب الدر المنقط من علم فلاحتي الروم والنبط تأليف محمد بن ابي بكر ابن ابي طالب الانصاري الصوفي الدهشقي المعروف بشيخ حطين رقم ٢١ في مكتبة الدار المصرية ، فيه لفاية الباب التاسع والعشرين ٦٤ ورقة .
- كتاب بنية الفلاحين في الاشجار المثمرة والرياحين تصنيف السلطان الملك الافضل العباس ابن الملك المجاهد علي ابن الملك المؤيد داود ابن الملك الظفر يوسف ابن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول . ناقص من آخره قليلا . ذكر انه نقله واستخرجه من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات وسعى منها الكتاب المرسوم بالاشارة في العمارة تصنيف والده ، وكتاب ملح الملاحة في معرفة الفلاحة لجده الملك الاشرف . وفي دار الكتب المصرية نسخة من بنية الفلاحين رقم ١٥٥ في ١٦٤ ورقة فيه الى الباب السادس عشر . وفي خاتمه فوائد زراعية بينة . ويظهر ان المؤلف توفي سنة ٧٧٨ للهجرة .

- كتاب الفلاحة المنتجة لطيفاً الجركلمشي من نسخة حسنة في دار الكتب المصرية رقم ٢١٩ في ١١٨ ورقة، وفي خزانة باريس نسختان منه رقم ٢٨٠٧ و ٢٨٠٨ .

- كتاب الفلاحة لابي عبد الله محمد بن الحسين رقم ١٧٤٦ في خزانة باريس .
- كتاب مفتاح الراحة في علم الفلاحة رقم ٢٣٧ في مكتبة الدار المصرية ، واوراقه ١٨٩ ، واكثره منقول عن كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية .
- كتاب جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة لرضي الدين القزويني رقم ١٣٤ في دار الكتب المصرية ، ١١٢ ورقة وفيه فوائد كثيرة .

- الفن الرابع في النبات والزراعة والفلاحة في تسعة ابواب من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الورداني المعروف بالوطواط . ومنه ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية احداها مصورة في ثلاثة مجلدات رقم ٣٥٩ . وهو ينقل عن ابن بصال في كتاب الفلاحة الرومية ، وعن كتاب النبات لابي الخير الاندلسي ، قال وهو غريب جداً لم اجد من رآه . وينقل احياناً عن كتاب ابن وحشية وكتاب الفلاحة المصرية .

- علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبدالغني النابلسي ، طبع في مطبعة نهج الصواب بدمشق سنة ١٢٩٩ ، اختصره من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٣٥ السابق الذكر .

- عمدة الصناعة في علم الزراعة لسيد القادر الخلاصي من القرن الثاني عشر .
وقد طالما كل ما وجدناه من هذه المؤلفات في دار الكتب المصرية فوجدنا كتاب ابن العوام اجودها واتمها واجدتها بالمراجعة والاعتبار . وقد استوفى فيه كل ما كان مألوفاً في زمانه من علاج الارضين وزراعة البقول والحبوب وغراس الاشجار وتربية الحيوانات والدواجن ، وروى كل ما يتعلق بهذه الابواب علماً وعملاً فهو خير ما يقتد عليه في هذا الدرس وفيه فوائد وفرائد توضع عليها اليد وتعد ذخراً للزراع والاكار .

ومعلوم ان الاسئلة التي هدت اليها الكيسيا . ونهت على خصائصها وفضائلها في انعاش الاتربة وتعويض ما تفقده من المواد والقوى في تنفيذ

النباتات وتشجير الأشجار لم تكن معروفة في أروبة قبل القرنين الأخيرين
فكان الأكرّة ورجال الفلاحة لا يعرفون إلا السرقين لأصلاح الارضين وإزكا-
الزروع ولذلك قال الحاركي :

لا اغرس الزهر الا في مُسْرِقَنَرٍ والغرس اجود ما يأتي بـسْرِقَين (١)

وقد فرقت كتب اللغة بين السرقين والسهاد فالسرقين هو الزبل والروث
وحده. واما السهاد فهو السرقين برمل وتراب. وجاء الدمال بمناه وبمعنى السرقين
يقال دمل الارض اذا اصلحها او سرقها ومن مزاعهم في التقاليد المروية عن
محمد بن علي بن عبدالله ان « اول من دمل الارض اي القى فيها السهاد داود
عم »^(٢). وحكى الاصبهاني ان اول من جمع السهاد بالبصرة وباعه هو عيسى بن
سليمان بن علي العباسي من بيت الخلافة حينما كان امير البصرة « وكانت له
محابس يجلس فيها الرياح ويبيعه فقال فيه ابو الشمقمق :

اذا رُزِقَ البِباد فان عيسى له رزق من « أعجاز » البِباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمرو بن حفص قال محمد بن عينية في ذلك :

اناظم قد رُوِّجَتِ عيسى فأُبْشِرِي لَدِيه بَذَلٍ عاجِل غير آجِل
فانك قد رُوِّجَتِ من غير خيرة فَيُ . من بني البساس ليس باقل
فان قلت من رهط النبي فانه وان كان حراً الاصل عبد النماز...
رأيت ابا البساس يسو بنفسه الى بيع بيّاحاته والمباقل (٣)

ولم ترد لفظة البيّاح في المسجّات ولا في تكملة دوزي . وانما جاء البيّاحة
شبكة الحوت، وبعد طویل البحث والتنقيص وَفَقْنَا للمُشَوَّر على الحديث الآتي في
كتاب البخلاء للجاحظ قال :

« حدثني ابراهيم عبد المرزوق قال : تعدّيت مع راشد الاعور فاتونا بجمام فيه
بيّاح سبخي الذي يقال له الدراج فجعلت آخذ الواحدة فاقطع رأسها ثم اعزله
ثم اشقها باثنين من قبل بطنها فأخذ شركة الصلب والاضلاع فاعزله وارمي
بأبي بطنها وبطرف الذنب والجناح ثم اجمعتها في لقمة واحدة وآكلها »^(٤).

(١) معجم البلدان ٢ : ٢٨٨

(٢) الاعلاق النبوية لابن رسته ١١٨

(٣) كتاب البخلاء ١٦٤

ولا شك ان هذا الوصف هو وصف سمك كان بالبصرة تجمع رذائله ونفايته وما يُرمى به من شوكه واضلاعه واطرافه وتحفظ في محابس لها حتى يطلب عليها العفن، فتُباع على البساتين كالسهاد. ومن ثم تكون البياحات في حكاية الاصهاني، المواقع التي يجبس فيها الرياح والسهاد. وهذا اقرب ما يبدو لنا في تفسير هذه الكلمة القريبة.

وقد فاتنا لا محالة كثير من اختبارات الأكرة وارباب الضياع والبساتين وفنون علاجهم للارض وتنميتهم للبقول والازهار والاثار. وتكفي مطالعة كتاب ابن العوام الآنف الذكر لمعرفة ما كان لبعض مصطلحاتهم وطرائقهم من الشأن والقيمة. ومن بعض الأدلة عليها تنبههم الى ما في الدماء والايوال من القوة والدواء. لاصلاح الارض لما فيها كما هو معلوم اليوم من الازوت والنترات فاشادوا بها لطب النباتات والمفروسات. قال ابن العوام: «وقد يُعالج بعض ادواء النبات بدماء. وايوال لان للدماء قوى عجيبة في انعاش بعض الشجر والنبات». ^١ ولكن فاته ان ينبه على وجوب تجفيف الدم قبل استعماله.

وقد راجعنا مقالاتهم في انواع السرقيين والمفاضلة بين ذرق الحما واوراث الحيل والبفال والحجير واختاء البقر والجواميس وابمار الغنم والضأن والمغز، فاذا افضل الازبال عندهم ذرق الحما واختلفوا في ما يتلوه في الجودة فقدم بعضهم زبل الحجير على روث الحيل ثم زبل الغنم ثم زبل البقر. ونقلوا عن قسطوس احد علماء الفلاحة، وهو قسطا بن لوقا، انه قال: «احسن زبل الطير ذرق الحما فبحرارته يمت الاعشاب ثم زبل الحجير ثم زبل الغنم ثم زبل البقر وانفع الازبال العامة للنبات زبل الحيل والهراذين». ^٢ وهذا الرأي هو الشائع اليوم في تفضيل روث الحيل للمزروعات عامة.

وهناك سرقيين آخر اشادوا بجودته واجموا على ايثاره والمفالة فيه وهو ما نستطيع القارئ اجمل العذر في التعريض به، وقد سبق الايمان اليه في بيت الشققي ويسمونه الروث الآدمي وزبل الناس. ومن غريب ما عُرف به ايضاً

(١) كتاب الفلاحة لابن العوام، طبعة مدريد، ١٠٦٤

(٢) / / / / / / / / ١٠٠

ولم تَزَهُ إلا مرة واحدة اسم «قوسان» ، نقله ابن الاخوة في كلامه على حُسبة الفاخرائيين والقصارين فقال : «بُشرط عليهم ألا يُقْدُوا على الكورز بقوسان وهو روث الآدمي ولا بشي. من الازبال فانه نجس بسل بالحلفاء والفَيْشَة وهي قشر الارز وما اشبه»^(١).

ومن اشهر اسمائه ايضاً الفانط والنجو والقَدْرَة . واما الفانط المكان المطنين وكانوا اذا ارادوا الحلاء ينحدرون الى النيطان اي بطون الارض تستراً وانتبازاً . وكثير ورود الفانط في كلامهم فانقل اسم الى الحَدَث نفسه واشتقوا منه الفعل تنفوط ، كما انتقل اسم الحش وهو في الاصل البستان الى بيت الحلاء لانهم اعتادوا ان يتبرزوا في البساتين^(٢) . واما النجو فهو الارتفاع من الارض وكان الرجل اذا خرج لقضاء الحاجة ينستر بنجوة فقالوا من ذلك ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتفوط اذا ذهب الى الفانط لذلك الامر^(٣) . واما القَدْرَة فهي فتاة الدار وكانوا اذا قضوا حاجتهم القوها في الافنية فأطلق اسم المحل على الحال .

وفي اخبارهم عن هذا السهال الآدمي من النِكَات والمضحكات وهُجَن العادات والحكايات القريبة ما يدخل في اوصاف الحضارة وتاريخ الفلاحة ولذلك لم نتوقف عن رواية بعضها بعد اطراح ما لا يحل ذكره واستبدال ما يقيح التصريح به من الفاظه المجتذلة الفاحشة :

وقد عدّه ابن العوام بعد ذرق الحمام في الجودة والامتحان الارض والمنابت كلها^(٤) . ووصف ايضاً كيف يُعمل به قبل الاستعمال له فقال : « ينفي ان يجفف من رطوبته الاولى حتى يهكل جفافه ويسود ثم يجعل في الحفائر ويرش عليه الماء العذب ثانية ويحرك تحريكاً كثيراً ويخلط حتى يختلط ويجف حتى يجف جفافاً جيداً ثم يُخلط به رماد»^(٥).

(١) - عالم القرية في احكام الحسبة ، طبعة كسبريدج ، ٢٢٢

(٢) - النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٢٤-٢٥

(٣) - كتاب الحيوان للجاحظ ، طبعة مصر ١٣٢٣ ، ج ١ : ١٦٢-١٦٤

(٤) - كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٥

(٥) - ١٠٥

وكان لاصحاب البساتين طلب عليه شديد وتنازع متواصل * فلا يعافون تسميد بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها حتى ربما ذروا عليها السهاد ذراً ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب قوى العذرة . بل من لهم بالعذرة وعلى انهم ما يصيبنها الا مفضوشة مفسدة وكذلك صنيهم في الريحان فاما النخيل فلو استطاعوا ان يطلوا بها الاجذاع طلياً لفلوا .^(١)

وبما يدل على الاعتقاد الشائع في اثر هذا السهاد البشري نكتة رواها البلاذري عن معاوية بن مروان وكان محققاً قال: « مرّ بجمل وقد سمع اهل الشام يقولون لا يفلح حقل لا يرى « عجز » صاحبه فقتل واحداً^(٢) ومن اهزل الايات التي قيلت في هذا المعنى ما رواه ابو الفرج الاصبهاني قال : « اجتمع جعفران المرسوس ومحمد بن بشير في بستان فنظر الى محمد بن بشير وقد انفرد ناجية ثم قام عن شيء عظيم خرج منه فقال جعفران .

قد قلت لابن بشير لا رمى من عجانه
في الارض تلّ سهاد علا على كنباته
طوبى لصاحب ارض « خلوت » في بستانه (٣)

وكانت البصرة فيما قيل اشهر اسواق السرقيين واميرها كما سبق كان من يتجر به * وللحشوش فيها اثمان وافرة ولها فيما زعموا تجار يجهمونها . فاذا كثرت جمع عليها اصحاب البساتين ووقفهم تحت الريح لتحمل ثمنها اليهم فانه كلما كانت انتن كان ثمنها اكثر ثم ينادي عليها فيترابد الناس فيها وقد قصّ هذه القصة صريع الدلاء المصري . . . ولذلك ذمّ الشمراء البصرة واهلها فقال محمد بن خازم الباهلي (في صجاء البصري) .

يتن « نجوة » كما يتالي به عند البابسة التجار (٤)

ومن النوادر المروية عن البصرة « دخل فتى من اهل المدينة البصرة

(١) كتاب الميوان ١ : ١١٦

(٢) انساب الاشراف ٥ : ١٦٤-١٦٥

(٣) الاغانى ١٣ : ١٤٠-١٤١

(٤) معجم البلدان ١ : ٦٤٧

فلما انصرف قال له اصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس . اما الجائع فيا كل خبز الارز والصحناء فلا يفتق في شهر الا درهمين . واما الغريب فيتزوج بشق درهم . واما المحتاج فلا عليه غائلة ما بقيت له « عجزه يحدث ويبيع »^(١) .

واشبهت اصهبان البصرة في نفاق الحشوش فيها « فان قيسما عندهم وافرة » قال ياقوت : حدثني بعض التجار قال : رأيت باصهبان رجلاً من الثناء يطعم قوماً ويشترط عليهم ان يتعزوا في خربة له قال : ولقد اجتبرت به مرة وهو يخاصم رجلاً وهو يقول : كيف تستجيز ان تأكل طعامي وتفعل كذا عند غيري - ولا يكني - ولبعض الشعراء في ذم اصهبان واهلها ابيات قال فيها ان ليس للناظر في ارجاء اصهبان من زهرة تحيي القلوب غير اوقار العذرة^(٢) . ومن اقيح ما وُصف به ايضاً اهل اصهبان قول ابي القاسم البغدادى :
« يحملون » نجومهم « على رؤوسهم وعلى ظهور دوابهم الى يساتينهم فينتجون به الانهار ويربون به الثمار ويأكلونها . اي لمعري هو « نجومهم » منهم بدا واليهم يعود وهم احق به . بلدة حشوشها في المسابل وطرقها كالنزابيل لا يوجد بها ذو كرم ولا نائل »^(٣) .

وعينت مدينة توزر في افريقية « بان اهلها يبيعون ما يتحصّل في مراحيضهم من رجيع الناس يفلحون به بقولهم وبساتينهم ولكنهم لا يرغبون فيه الا اذا كان جافاً فيحلمهم ذلك على عدم الاستنجا . في مراحيضهم ويخرج احدهم من بيته حتى يأتي القناة فيستنجي من مائها وربما اتخذ احدهم المراحيض على قارعة الطريق للواردين عليها ليأخذ ما يتحصل من ذلك ويبيعه . »^(٤) ولذلك قال الجاحظ : « من اكرم سادهم الابعار كلها والاخياء اذا جفت وما بين الثلث جافاً والحنا . وبين العذرة جافة وبابسة فرق »^(٥) .

(١) معجم البلدان ١ : ٦٤٧

(٢) / / ١ : ٢٩٤-٢٩٥

(٣) حكاية ابي القاسم البغدادى ٢٢

(٤) صبح الامنى ١٠٦:٥

(٥) كتاب الحيوان للجاحظ ١١٦:١

واقبح ما هنالك ما كان يجري في قابس « فان اكثر دورهم لا مذهب فيها وانما يتعززون في الافنية فلا يكاد احدهم يفرغ من قضاء حاجته الا وقد وقف عليه من يتندر اخذ ما خرج منه لطعمة البساتين وربنا اجتمع على ذلك النفر فينشأون فيه فيخص به من اراد منهم وكذلك لناؤهم لا يرين في ذلك حرجاً عليهن اذا سرت احداهن وجهها ولم يعلم من هي»^(١).

واشد ما كان الطلب على السماد في بغداد حتى يمث الطمع بعض اصحاب الزباج على احتكار ما كان يلقي على الكساحة والمزابل قال بعضهم : نزلنا داراً بالكرا. لاكتندي فكان في شرطه على السكان ان يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار الطوفة»^(٢).

ولابن السنيير في بلنسية (Valence) وهي من اهم منارس النارج والبرتقال في اسبانية تطيف بها منها حدائق وبساتين ملء البصر :

بلنسية بلدة جنة وفيها عيوب متى تُختبر
فخارجها زهر كله وداخلها يرك من قذَر (٣)

ومن الغريب جداً ان يتنازع الناس الى هذا الحد القبيح اوقار الاقدار فهل كان سرقيين الحيوانات دون الكفاية ؟ ولعل اقرب ما يطل به هذا الطلب الشديد ان الابعار والاختا. كانت تجفف وتُسخر للوقود ولاسيما في البلاد التي قلت فيها الاحراج والنياض وتعددت الحمامات كما اشار اليه صاحب كتاب البخلا. حيث قال : « اما القوث والبر فحطب اذا جفف عجيب »^(٤) ولا شك ان مثل هذه المادة كانت في الشرق معروفة شائعة منذ القدم ولا تزال متبعة في القري والحيال الى اليوم وقد المح اليها الشعراء، قال الهذلي :

وليست بطل بالفرث جازرها يخنم بالنقرى الثرين داعيها (٥)

وللاختل في احدى نقائضه :

(١) معجم البلدان ٤: ٤

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣: ٢٥١

(٣) معجم البلدان ١: ٧٢٢

(٤) كتاب البخلا ٧٨

(٥) كتاب الحيوان ٦: ١٦٦

صغر اللحي من وقود الأدخنة اذا ردت الرفاد وكفت الحالب التبرر
يقول هم صغر اللحي من الدخان والادخنة السرقين والرفاد قدح ضخم
والتبرر جمع قرة وهي البرد^(١).

وقيا عدا الوقود للاصطلاح. كان السرقين تحصى به الحمامات واتين اللال
صانع خبز الملة وتنانير الخبز^(٢). ومن مآثر طاهر بن الحسين انه رأى يوماً في
قصره بغداد «دخاناً مرتفعاً كريحه الرائحة فتأذى به فسأل عنه ف قيل له ان
الجيران يجذون بالبر والسرجين فقال : ان هذا من اللؤم ان تقيم بمكان
يتكلف الجيران شراء الخبز وماناته اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا
جميع من بها من رجل وامرأة وصبي واجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع
ما يحتاج اليه فستيت ايامه «الكفاية»^(٣).

وعزم احد الخلفاء العباسيين على الشرب يوماً واستنكف من رؤية
الرجيع واستنشاقه بين ازهار البستان فزيت له انفته ان يستعيض منه بما لا
يخطر الا في اذهان الملوك وهو ما رواه التنوخي قال :

« اراد المقتدر الشرب على نرجس في بستان في صحن دار من صغار
صحونه فقال بعض من يلي امر البستان : سبيل هذا النرجس ان يسند قبل
شرب الخليفة عليه بايام فيحسن ويقوى فقال هو : ويلك يستعمل «الرجيع»
في شيء محضرتي واريد ان اشته . قال : بهذا جرت العادة في كل ما يراد
تقريته من المزروع فقال : وما العلة ؟ قال : لان السماد يحويه وبعينه على
النبات والخروج قال : فنحن نحويه بغير السماد . وتقدم فسحق من الملك
بقدر ما احتاج اليه البستان من السماد وسند به وجلس يشرب عليه يومه
وليلته واصططح من غده عليه فلما قام امر بنهبه فانتهب البستانيون والحدم
ذلك الملك كله من اصول النرجس واقتلموه مع طينه حتى خلصوا الملك فصار
البستان قاعاً صفصفاً وخرج من المال شيء عظيم كثير في ثمن ذلك الملك^(٤).

(١) التفاضل، طبعة بيروت، ١٦٥

(٢) كتاب الحيوان ١ : ١١٦

(٣) معجم البلدان ٢ : ٢٥٦

(٤) نثر المعاصرة ١ : ١٤٤

يوسف العفيف وامرأة فوطيفار

نشيد

للشاعر رومانوس المرنم

نقله عن اليونانية وعلق عليه

الاب بنذولاس قادري قس

نوطه

نشيد طريف ومأساة طقسية رائعة للشاعر اللبناني باللغة اليونانية، رومانوس المرنم، الذي نمتوه بيتدار الكنيسة وكثارة الروح وقيثارته الشجية الاوتار .
وضع هذا النشيد ليوم الاثنين من اسبوع الآلام ، وبه تحتفل الكنيسة البيزنطية بعيد يوسف العفيف وانتصاره على المرأة العاهرة .
طرق رومانوس هذا الموضوع التاريخي واستقى صفوته من سفر التكوين^(١) .
وقد نزع عنه حلتة القصصية والبسه ثوباً من الشعر التشيلي فأبرزه في قالب فني لا يقل روعة وجمالاً عن قصائد اكبر شعراء الانسانية^(٢) .
سكب الشاعر في قصيدته هذه نبرات من الجمال الساحر ورسم فيها صوراً من الخيال الجري . الزاهر الذي تغرد به عن سائر الشعراء الدينيين في كل العصور . وقد مزق رومانوس بخياله الفني ضباب الوهم ، وتطلع الى ما وراء الخيال اي الى الحقيقة الخالدة . ونظر الى تلك العين الازلية التي ترقب الكائنات بنظرها الحادة المتغلغلة في اعماق الكون والضمير والساهرة ابداً على الخلائق .

(١) سفر التكوين ٣٩ : ٦-٢١

(٢) cf. Edmond Bouc, Poètes et Mélodies, p. 367

وكأنني بالشاعر الافرنسي فيكتور هوغو يتلاقى مع رومانوس وروحه
الرسامة وخياله المبدع على صعيد واحد : ذاك في قصيدة « الضيف » وهذا في
نشيد « يوسف العفيف » ، على بعد اثني عشر قرناً .

ان روح الشاعر الماهم فوق الزمن والمكان فهي من تراث الازل المتجدد
ابداً ، وهي نصيب لجميع الاجيال التي تمتشق الجمال والاتزان والمداقة . فالجمال
الشمري لا يختص بامة دون أخرى فهو جامع شامل لا يتعرف الى الانانية
المعياء .

وان كان شعر رومانوس من تراث العصور البيزنطية المجيدة ، فهو من التراث
الشامل ولكن يحق للبنان ان يفاخر به القسطنطينية لان رومانوس تنشأ على
تمتات الطبيعة الحاملة الراقصة في لبنان ، واخذ الموسيقى عن رقصة الامواج على
شواطئ بيروت ، واستلهم الشعر من نفحات النسيم والارز في لبنان ، وتقذى
بالخيال الواسع الازهر من افق لبنان الحلاب .

ولقد صور المرنم الكنسي في هذا النشيد كيف ينحط الصخر الى دركات
الذل والهوان ، ويسمو الغفاف الى ذروة العظمة والبطولة . فتل لنا الرذيلة باقبح
الوانها ، والفضيلة باهى مظاهرها . ينسأط الفجور على اسراء فوطيفار فيلك
شائرها ويتولى على جوارحها ، فيلجها بلظى الشهوة الجاحمة ونار الهوى الاتيم .
وتتلن العفيف قارة بالتوسلات المذبة وبالوعود البراققة ، وطورا بلوعيد واقصى
التهديد لتسييله الى تحقيق رغبتها ، وهو ثابت الجنان امامها كالطورد الراسخ
لا يلين له عود ولا تثبط عزيمته العواصف والروع ، ولا تحلب لبه الاماني
والوعود ، فيفلت من يدها مستمياً بنعمة ربه . وهذا ما عناه شاعر دير الصابغ
نيقولاوس الصائغ اذ قال :

« ذرهما . ثلق قيصاً انت لابه وامرب كيوف يوتا فاز بالمرب » (١)

ما اردع المشهد الذي يظهر الشاعر فيه الشيطان . مقبلاً لينري المرأة
ويجرحها على خداع الفتى وقنصه ، فيشير عليها ان تجمل بحيائها وتضغ بالاطياب ،

وتنور جيدها بالقلائد الذهبية ، وان تكون صائرة كما كانت حواء . في الماضي القديم .

وما اشد روعة المشهد الذي يمثل لنا فيه وقوف حكيين بين المتحاربين العفاف والهر ، ومتاصرة الملائكة ليوسف في اشتداد محنته ، وتأيد الابالسة لمرأة السوء في استغواء يوسف حتى اسفر الجهاد من نصر العفاف وقهر البغاء . ذلك لان العفيف يضع نصب عينيه تلك العين الساهرة التي ترقب الخلائق طراً ، فيستمد منها قوة في الزمن ، ومدداً في المحنة ، وتجلاً في الجهاد ، فيولي هارباً من مكيدتها ويفلت من شراكها وهو على يقين بان امرأة السوء وهدة العطب وسم في كأس من الذهب وهي ايضاً :

« حبة الرجه لكن لا جميل لها تأبى الجميل ولا تولي سوى الكريب »

وان العفاف زهرة تفتحت في السماء ففاح عبيدها في الارض فاعتنتها الاجيال . فبجان من يدحبيها بالتأيد ويوليهم النعمة والقلبة وحسن المال .

نشيد

يوسف العفيف وامرأة فرطبار^{١)}

مقدمة^{٢)}

١

ايها المخلص ،

أهل الذين تبموا

آلامك وقيامتك

ان يسجدوا

للعين الساهرة .

مقدمة

٢

• تمالوا يا معشر الاخوة ، ١٠ نضارع جهود

الذين قطعوا يوسف العفيف

بجهاد رائع المقدسة ،

مرحلة الصيام ، ونحن بخوف

ونأقوا بلهفة من عقم التينة .

الى بدء آلام الرب لنهدم بالرحمة

(١) Pitra, *Analecta Sacra*, Parisii 1871, pp. 67-77

(٢) لهذا الشيد مقدمة ثان .

(٣) تشير الارقام ، على الخامس ، الى ترتيب الايات اليونانية .

لذة الاهواء ،
نحز من العلا .
حتى اذا ما بلغنا بشوق .
الفيران فالاطياب
عيد القيامة ،
لان العين الساهرة
٢٠ ترقب الجميع .

٣

٢١ نحن الذين انضوينا
تحت لواء ملك
يهب جنوده
٢٥ ملك السماوات ،
لنقرب الفضيلة
عدّة النفوس الراسخة
لنجارب بها
٣٠ الخطيئة المدورة .
كيف نفهم الفضيلة ؟
هي الحكمة ،
هي فن الفنون ،
وعلم العلوم .
٤٠ ونستمد نعمة المسيح ،
فانه يولي بحبيه
اكلايل الظفر على الاعداء ،
لان العين الساهرة
٥٠ ترقب الجميع .

٤

٥١ اذا رأيتم موافقاً
قلنرد على الملا
سيرة يوسف
لنفهم المجد السني

- الذي اتصف به
٥٥ هذا الحكيم ،
وهو قدوة حية
للجميع .
فلنبادر الى احراز
حياة عفيفة بالقناعة .
ان تار الحد
٦٥ استغزت اخوة يوسف
فباعوه عداءاً .
وما استعبده
الا هو اياماً
فقد احرز الحكيم
نفساً حرة ،
٦٥ وتسلط على الشهوات الجسدية
ولم تضيع ثباته
٥
- ٨٢ كان هذا العفيف
بالجسد مستعبداً ،
وبالروح حراً ؛
٨٥ ظهر في الحلم ملكاً ،
التي اتلفت
بل اقلت
من ملاطفاتها .
لفظت المرأة
٧٥ كلمتها كالعاصفة ،
وفيهما سكبت المسكر
كالسيل ،
لتهدم بيت العفاف ،
ووعده بنمرات
٧٥ الخير والاسعاد
واما يوسف النبيل
فكان بعفاه
كالطود الراسخ ،
٨٥ لان العين الساهرة
ترقب الجميع .
- ٨٥ اكرمه السيد ،
وباليقظة عبداً يباع .
ومن كان يُظن عبداً
قد استعبد المستعبد .

- ٩٠ وتمسكت به السيدة . واستغواها
 عاطفة السيد نبيلة ، ١٠٠ جمال وجهه .
 ونجها اثيمة . سلطه ذاك على بيته ،
 أحب الرجل يوسف . وبذلت هذه
 لمفاهه . جسدها للنجور .
 ٩٥ وهامت المرأة بالعفيف ١٠٥ نظر اليها يوسف
 لمهرها . بازدرأ .
 ابهج السيد . وتآمل هول الدينونة ،
 صلاح سيرته ، والعين الساهرة
 ١١٠ ترقب الجميع .

٦

- ١١١ آمال الهوى الاثيم ' واعتد يوسف ' ١٢٥ امور الدنيا كالمنام ،
 مجرى الامور الى نقيضها :
 ١١٥ فتسلط العبد على الاهواء والملذات
 كسيد مطلق ، ١٢٠ فخاب ظنّها .
 وامست السيدة رمت نفسها
 ١٢٠ للخطيئة عبدة ، بنصال من نار .
 فمن اقترف الخطيئة وكان لها اسيراً ،
 يشعّ جالاً ،

- ١٣٥ كان قلب هذه
يحلولى كالليل التام .
وكما استأذت هي
نيران الهوى
- ١٢٠ أطفأ هو بمفته
ناراً لا تطفأ ،
لان المين الساهرة
ترقب الجميع .

٧

- حين تسلط
١٢٥ جنونُ اللذة
على قلب المصرية
جرحه جرحاً خفياً ،
لقد رضيت
١٥٠ جروحاً ثخينة ،
ولحمها ظنت الغيبة
آثار الجروح لذة .
١٥٥ تناولت بتاظرها
من كنانة العفيف
سهماً جرحت قايها ،
حين ظنت الشقية
١٦٠ ان الجرح لذة .
فالهيام الذي لا يُنلب
- ١٢٠ اظلم رشدها ،
ولم يخف عشقها
ولا مرارتها
من حضور يوسف ؛
وكانت تتحرق
من غيابه اشد التحرق .
ولما انتصب امامها
١٧٠ قلقته بالكلام العذب ،
بجتهدة ان تنزع
منه الشجاعة .
اما العفيف فكان
يسمى الى صدها .
١٧٥ عن قصدها الأثيم ،
لان المين الساهرة
ترقب الجميع .

٨

- ها قد أقبل الشيطان ،
متقناً بقناع الزنى ،
١٨٥ ليؤازر المصرية
فقال لها :
تشجمي ، يا امرأة ،
كوني صنارة منوية ،
١٩٥ كصنارة الماضي القديم .
اعدّي الطعم ،
واقنعي الفتى ،
وجعلي حياك ،
وتضخخي بالمطور
٢٠٥ بكل حذق ؟
ونوري جيدك
بالاطواق الذهبية ،
٢١٥ رأى العفيف امامه
منظراً غير عفيف ،
فابتعد تأفراً منه .
رأى وجهاً بهياً
٢٢٥ فأدرك مراها الخداع ،
فأقلت مسرعاً ،
- وألبي كل ثوب .
غالي الثمن .
١٩٥ تضخخي بالاطياب الفواحة
فتسترخي قوى الشباب ،
لأنهم سوف يخوضون
معارك حامية الوطيس .
يؤف هو اليك العفاف ،
٢٠٠ فزفي انت اليه الفجور !
حذار ان تغلي
ففسخرك منك !
اذه ميقول لك :
لن افعل ما تريدن ،
لان العين الساهرة
٢٠٥ ترقب الجميع .

٩

- هارباً منها ؛
كانها الافعوان المتخفي .
واذ عز على الشقية
٢١٥ امتهان الشريف لها ،
نضت يقاب الحيا عنها
وقد برزت له بوجه

- من الفحشاء منتقب .
 الا انهما استدعت اليها
 ٢٢٠ امرأة لعوباً لتلاطفه ،
 ثم عرضت نفسها ،
 باساليب الخداع .
 وكان لسانها مرهفاً
 احدث من السيف مضاً ،
 فتمسكت بقميصه ،
 ٢٢٥ بُنية الاثم ،
 ٢٣٠ رقب الجميع .
 وخاثلته بفنونها الخداعة ،
 فما استطاعت التغلب
 على رشده ؛
 ٢٣٠ وكان يردّد القول :
 ان افعل الأثم القطيع ،
 واني ابغض
 المعاصي على الدوام ؛
 لان اليمين الساهرة
 ٢٣٥ رقب الجميع .

١٠

- يا المنتهى الجنون ا
 جنون المرأة
 الذي لا يُغلب ،
 اذ تلهيت بالنار
 ٢٤٠ هياماً بيوسف ا
 رائد غير مكترث
 لتعلمياتها ،
 وغير خاضع
 لاهوا . الشباب ،
 ٢٤٥ فصرخت به :
 انت عبدي المشتري ،
 اجل باعوك لي
 لكي تتعبد لي ؛
 ٢٥٠ وانا اقتك سيداً
 على كل بيتي ،
 فكن انت سيداً
 علي ، انا السيدة .
 انا لا احسبني ذليلة
 ٢٥٥ اذا تذلت لك ،
 اذ لا فرق
 بين السيادة والاستعباد ،
 ونعرف نحن ان آدم

- ابو الاباء جميعاً ، ٢٦٥ لا تخشَ اتيان الائم ،
وان حواء ، ولا تُدعن لقول
٢٦٠ امّ الامهات . من يقول :
فتحن كلنا متشابهون ان العين الساهرة
لاشترأ كنا في طبيعة واحدة . ٢٧٠ ترقب الجميع .

١١

- ٢٧١ لما وقفتُ وسأ كافتك
على اخلاقك المتزنة بالمواهب الوفيرة ،
آثرْتُك على منهضة اياك
رفاقتك العبيد الى مستوى حياتي ،
٢٧٥ لانك احزبتَ فتصبح حراً ٢٩٠
الوقارَ في عينيك وأوافيك بلهفة ،
وفي شفّتيك ولن تظلّ عبداً ،
— كما احبّ — اذا اقبلت اليّ بعطف .
وحزتَ كل شهور سام وان لم تصدقني
٢٨٠ — كما اريد — تعرضت بهدل ٢٩٥
هلمّ استمع ندائي للنوايب والفواجع ،
فابدي لي لك مرامي وانا اقيّدك ،
اني أنثر يا عزيزي ،
عليك الخيرات ، بالسلاسل .
٢٨٥ ان صدقتني ، ٣٠٠ وادفع بك الى خلصي .

فلا تسمع اذن
الى حتفك بظلفك .
وانت على غير حق
فما تعتقد
ان العين الساهرة
٣٠٠ ترقب الجميع .

١٢

٣٠٦ أنهت المرأة وعيدها ،
وما استطاعت
ان تدك البرج المنيع
بتمليقاتها .
٣١٠ فظل هدها نيراً
حافظاً بجد العقاف بهياً .
ابصر تلك الغيبة
ترصده هنا وهناك ،
وتبعد عن المنزل
٣١٥ جميع الخدم .
ولما انفردت به ،
كلمته على حدة
وقالت :
٣٢٠ جئام أحتملك
٣٢٥ ترقب الجميع .
ايها المتمرد ؟
قد حان الوقت
لأتمتع بلذة شهوتي ،
فليس هنا احد
من رجالي .
٣٣٥ ولا يصدني شي .
عن اتمام رغبتى .
رشقته بسهام نارية ،
ذا احرقته .
وقد تخاض منها ،
٣٤٠ ووجهه يشع بالشفاف ،
ويطفئ لهيب شوقها
بقوله :
ان العين الساهرة

١٣

٣٣٦ قالت المرأة
الحق . هذا
لخداع الفتى .
واذ ذاك اقتحم

٣٥٠ المجاهد الصنديد وراودته عن نفسه .

٣٥٠ ميدان التجارب ، فانتصر الشريف

ليقاوم العدو المحتال . على عدوته المحتالة .

فوقف حَكَمَان وكانت الملائكة

بين المتحاربين : تناصر العفيف ،

المغاف يوثيد يوسف ، والشياطين

والفجور يستفز المرأة . ٣٥٠ تناصر المرأة .

٣٥٠ فانتصب العفيف المجاهد والرب ناظر من العلاء .

ازاء الفاجرة ، ليتوج الظافر

والعاهرة تحديق اليه ، باكليل النصر ،

وتداعبه ، لان المين الساهرة

٣٦٠ ترقب الجميع .

١٤

٣٦١ واستأنف يوسف والقلم ان يفسداً

كلام الطهر ، ٣٦٠ الاخلاق النبيلة ،

وهتف بالمرأة العاهرة : وكما ان الضباب

انا عبدك المبيع ، اذا حجب الفضاء

لا ينقص ٣٦٠ اقا سي هذا الظلم حسداً ،

ولو كنت مبيعاً بالجسد ، من بهاء الشمس ؛

٣٦٥ وكما ان السحاب يتبدد فانا حر بروحي .

انه ليمسر على اللسان حين تسوقه الرياح ،

وبعد ذلك تضي .
 الشمس بيها .
 هكذا استزول
 عبوديتي هذه ،
 وتشرق حرّيتي ،
 فاسود على اصقاع
 مصر كلها ،
 ٣٨٥ لاني أنفت الاستمباد
 للاهواء المخجلة .
 هذا ما تنبأ به عني
 من قبل
 من وحده يعرف الحفايا .
 ان الدين الساهرة
 ٣٩٠ رقب الجميع .
 مصر كلها ،

١٥

سمعت المرأة الفتى
 يخاطبها بتلك اللهجة ،
 فعمدت الى تمليقه
 فقالت :
 ٣٩٥ انت ما تخلقت
 باخلاق العبيد يوماً ؛
 وقد عرفت ذلك
 من مزاياك .
 فانا على يقين
 ٤٠٠ من هذا ؛
 واشهد لك
 بانك تقوم
 بمهمة الاشراف .
 ٤١٠ ووجدت بغير عيب
 في تصرفاتك كلها ،
 ولم تسيء الى
 رفاقك في العبودية ،
 فانت اذن
 ٤١٥ من ابناء النبل
 والشهامة .
 وستأتي الي
 فانثر عايك
 ٤٢٥ خيراتي الكثيرة .
 وبأمري تخضع لك
 بلاد مصر .
 فاقبلني انا سيدتك ،

اسيرة هوالك . ولا تعذبني ،
 ١٢٠ اقبلي ، بقولك من جديد :
 لنتمتع بفرح متبادل . ان العين الساهرة
 ١٢٥ ترقب الجميع .

١٦

استمع يوسف الى خطاب الفاجرة
 ١٣٠ فقال : لحي ما تقولين .
 فلهوات الجسد ووثباته ، بل اضبطها بالعفاف ،
 وحى الساعة لا ازال طاهراً
 ١٣٥ لكنى اراك من اثم كهذا ،
 فاقدة الحجب ، فلا ادنس جسدي
 ولذا اهرب من الحياة معك .
 ١٤٠ من الحياة معك . واذا ما فقد المرء
 عقله ، ان يتعدى الانسان
 ١٤٥ على زوجة ذات بعل ، واكثر فظاعة عندي
 ١٥٠ قهني حياته خاضعا للاهواء ،
 ١٥٥ ان ادنس مضجع سيدي ، كالبهائم .
 لان العين الساهرة ترقب الجميع .

١٧

اجابت المرأة

المفيف :

اسمع ، يا فتى ،

مكروجي - كما تعلم -

٤٦٥ خاضع لارادتي ،

وطوع يدي كل حين ،

وانا قادرة

على الاساءة اليك ،

اذا قدمتك اليه

٤٧٠ من جديد ..

ان له فيك اما لا حسنة

لمرفته السابقة بك .

وهو ايضا يحبني

كما يحترمك ،

٤٧٥ اذ اني متعقلة .

فتحني الان

نست ملومة ،

وقبريني ، كما قلت ،

يشق بي .

٤٨٠ فلا عين هنا ترقبنا ؟

فلم تنفر مني ،

ولا تجيب الى مطلبي ؟

اما تأخذ بين الاعتبار

٤٨٥ رغبتني ؟

فما هي الجدران

تسترنا من كل جهة ،

وتظللنا القباب من فوق ،

٤٩٠ فلا تخف

اذا فكرت

ان العين الساهرة

ترقب الجميع .

١٨

اجتهد المفيف

٤٩٥ ان يردع تلك الشقية ،

فأردف يقول :

لا تشيرني علي بالاثم ،

كما اشارت حوا .

٥٠٠ به على آدم !

اغربي عني !

فان آكل من شجرة

فيها الموت الزوام !
 ٥٠٥ ففردومي العفاف
 ألا ان ضنيري
 ٥٢٠ يحكم علي .
 ينبت الطيبات .
 واي شي .
 اطينب من العفاف ؟
 ٥١٠ فالذين يحافظون عليه
 يتلألأون مشرقين
 ٥٢٥ فدياني لا يحتاج
 كالملانكة .
 الى برهان ثابت .
 ولو كان سكان
 ٥١٥ هذا البيت
 لا يرون عملنا وهم بشر ،
 قالمبشر لا يدركون الخفايا .
 ٥٣٠ ترقب الجميع .
 ١٩

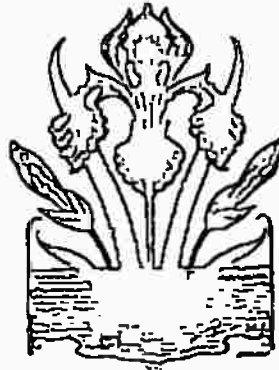
٥٣١ واذا جاريتك
 على فكرتك
 ٥٤٠ ممن يسير الخفايا ؟
 وان كان رجلك غائباً ،
 نحن الخطاة ،
 ٥٥٠ ولا عين هناك
 ترقب ما تريدن
 ٥٦٠ ان تصمني من الاثم ،
 فاخبريني ، يا وقاح !
 ٥٧٠ فاعلم الخفايا يراني .
 فكيف نقلت بمن

يسبر القلوب والكلى ؟
 قالسما تنضب علينا ،
 وعيشاً نستلم
 ٥٥٥ الى الجدران ،
 فهي لا تقينا من الدينونة .
 فالتباب السماوية
 لا تخفي الزناة
 عن عالم السر والعلن .
 ٥٥٥ فكل شي .
 عار ومكشوف لديه .
 انا لا آتي الشر امام الرب ،
 لان العين الساهرة
 ٥٦٠ ترقب الجميع .

٢٠

اشتعلت المرأة
 الحقا غضباً
 ٥٦١ من هذا الكلام ،
 ووثبت الى المفيف ،
 ٥٦٥ وتكثرت بردائه ،
 وجذبت اليها بشدة
 وهي قائلة :
 ٥٧٠ استمع لي ، يا حبيبي ،
 وهلم الى سريري !
 لقد ساء قال المصرية ،
 وناصرت النعمة المفيف ،
 ٥٨٠ هتفت المصرية من جديد :
 هلم الى سريري !
 وقالت النعمة من الملا :
 ٥٧٥ اسهر معي !
 لقد قهر ابليس
 والمرأة مما ،
 وطوقت النعمة
 جيد يوسف
 ٥٨٠ ببها العفاف
 المجدد الاشرار ،
 وقدم الطهر يوسف
 ممتلكات المرأة ،
 وقال له :
 لقد شمت قيصك ،

ولكنها لم تدنس عرضك،
 ٥٨٥ ولا جسدك المغيث ا
 وثوبَ عدم الفساد
 من يد واضع الجهاد،
 لقد نال المجاهد
 لان العين الساهرة
 ٥٩٠ رقب الجميع .
 اكليل الظفر،



المدرسة اللبنانية

في ظلال المعابد والاشجار

تاريخها وتقاليدها ، واساليبها في التربية والتعليم

في خلال القرن التاسع عشر

فلم لحد خاطر

نوطه

صباحي بد نحن معشر اللبنانيين أن اسلافنا الفتيين الذين توطنوا قديماً ارضاً نتوطنهم نحن الآن ، والذين ما زال يمش حتى الآن فيما بيننا فئات من فداديرهم واحفادهم ، كانوا اول من انحفوا العلم بما لا يقوام له بدونه ، الا وهو «حروف المجاه» الممدودة فيه بقام الركن من البناء تقوم عليه جدرانهم ويمر بهيكله عالياً مشخراً . تلك البقرة التي كانت للسلف ما زالت تظهر في الحلف على توالي الدهور . فقد اعطى اللبنانيون الدليل عليها حقبة بعد اخرى ، اذ انهم برزوا ويبرزون امس واليوم في مظهر المعارف والمقدرة الخاصة على تحصيل اللغات وتفهم قواعدها واستعمالها . وزارتها كتابة وحديثاً ، على تعدد لهجاتها وتباين اصولها . فقد ظهر منهم في القديم علماء اعلام خلفوا التأليف القيسة في الفنيقية واليونانية واللاتينية والسريانية ، الى ان جاء العرب فاقبلوا على اتقان لغتهم ومشوا في طليعة العاملين على احيائها . ثم اختلطوا بعد ذلك بالاسم العربية من ابطالين وفوزيس وانكليز والمان واميركيين فجاروهم في حذق لغاتهم ووضع المصنفات الحسنة فيها ، مما اعلى قدرهم في عالم الثقافة وجعلهم على قلة عددهم من اهم رسل العلم والحضارة في المعمور .

أطوار المدرسة في بنانه

ولقد مرت على المدرسة في لبنان أطوار عدة تقلبت فيها بين الحمول طوراً ، والازدهار تارة . فكانت تزدهر في أيام السلم وعلى عهد صلحاء الحكام ، وتحمل حين تنشب الحروب وتكثر الاضطرابات ، فينصرف الناس عنها الى الاهتمام بسلامة رؤسهم ووقاية ارواحهم .

ويُستنتج مما خلفه الفتيقيون من الكتابات ان ناشئتهم كانت تهلم لغتهم وتخرج في آدابها في مدارس عامة كان يدرس فيها اساتذة من مواطنيهم ، وبالاربع من كتبهم .

وفي العهد الروماني ، ازدهرت العلوم وتوافرت المدارس واشتهر منها مدرسة الفقه في بيروت ، ومدرسة الآداب في جبيل ، ومدرسة الفلسفة في صور .

وبعد انتشار النصرانية اخذ رجال الدين يملكون العلم مع اصول الدين في اديارهم ومعابدهم . ولكن الحروب لم تلبث ان اخذت تدور رحاها فطمست آثار العلم زمناً ، الى ان جاء الصليبيون فعادت الى بعض الانتعاش . لكننا لم نلبث ان رجعت الى الحمول في عهد المماليك وصدر العهد العثماني ، حتى اذا فتحت ابواب معاهد رومية في وجه الناشئة المارونية ، أخذ العائدون منها ينشرون في لبنان ما اقتبسوه من معارف . ولما طلع القرن التاسع عشر ، أصبح حال المدارس على ما نحن واصفوه في مقالنا هذا الذي خصصناه بايضاح حالتها ونظمها وتعاليمها في هذا القرن .

المدرسة بين الاسراء ورجال العبيد

كانت المدرسة اللبنانية ، في اوائل القرن الماضي ، تكاد تنحصر بالمعابد والاديار . وكان العلم يعكاد يختص ببعض الاسر يتدارسه افرادها بعضهم على بعض ويستخدمونه في مراسلات ذري الاقطاع ، خاصة الامراء ، وضبط حساباتهم ، وخدمة اغراضهم .

اما هؤلاء فكانوا يفضلون عنه ازدهارهم بعدم حاجتهم اليه ، اعتباراً ان نصيبهم

من الحياة انما هو تعلم فنون الفروسية والترويض على مجالدة الابطال في ساحات القتال واتقان انواع الصيد. ولم يكن لبناتهم ان يفكرون في تحصيله لان البنات وجدت في نظهرم لخدمة المنزل وتربية الصيلة، لا «تتعبد في الديوان»

ومن اغرب ما حدثني به بعض الشيوخ ان الاقطاعيين من الامراء والمشايخ كانوا في القديم، يعتبرون ان من العار عليهم - وهم ارباب السيف - التنازل الى احترام حرفة الكتاب والمطبعين من ارباب القلم، لان مقامهم هم ارفع من ان يتدنى الى مقام اولئك الذين كانوا رقوقاً بابوابهم لخدمة مصالحهم والانتثار باوامرهم، وان من العيب القول عن بناتهم انهن يعرفن الكتابة لدلاً يُظن بهن استخدامهما في ما قد يحيد بهن عن جادة الشرف والنبل.

على ان كثرة احتكاكهم بالفرنجة لم تلبث ان حولتهم عن تلك الفكرة الخاطئة ودنمت باللبنانيين عامة الى الاقبال على انشاء المدارس لتعليم اولادهم ذكوراً واناثاً. وكان في مقدمة القائمين بنشر هذه الحركة المباركة في البلاد الاساقفة والكهنة والرهبان والمرسلون.

مدارس «نحت السنديانة»

وقد أنشئت في صدر القرن الثامن الى جانب المدارس التي كادت تكون كلها ادياراً رهبانية مثل عين ورقة، وعين تراز، ومار يوحنا مازون، والرومية، ومار عبدا هريريا، وعينطورا، وريفقون الخ... مدارس اخرى صغيرة في القرى، عهد بالتعليم فيها في الغالب الى كهنة الرعايا، او الى بعض مشايخ الخلوات والقائمين على المعابد من مختلف الطوائف، وربما سأم بعضها الى فقر من العالميين. واكثر ما كان يؤخذ هؤلاء من ذوي العاهات والمشوهين ممن كانوا لا يقوون على الارتفاق من عمل آخر يقتضي نصباً.

هذه المدارس جعل مكانها، في ايام المطر والبرد، الكنيسة او الجامع او الخلوة او الكنيس، وفي ايام الصيف، ما يقوم الى جانب هذه المعابد عادة من سديانة او جورة او بلوطة «ملوكة». لذلك اطلق عليها اصطلاحاً، ومن باب التهكم، اسم «مدارس نحت السنديانة». ولم يكن لطلاب تلك المدارس مقاعد ولا مناخذ

تنبيه هام

وقع سوء في ترقيم صفحات الملازم الثلاث الاولى من هذا العدد (من ص ١ الى ص ٢٨) وحققنا ان تكون من ص ١٤٥ الى ١٩٢ . فالمرجو من القراء الكرام ان يتولوا التصحيح بانفسهم .

جلوسهم ، بل كانوا يفترشون فيها الحضيض على مدهالك من الحجارة او على قطع من الخوص او الحصيد صيفاً ، ومن جلود الاغنام شتاء . وهذه القطع لم تكن للمدرسة ولكن كان كل من الطلاب يأتي بواحدة منها لنفسه من منزله .

اول عمره الولد في مدرسة القرية

اللوحة والمدلّ

كان الولد في الحليّ او القرية ، اذا بلغ الخامسة او السادسة من عمره ، أرسل الى المدرسة ، او قاده اليها امه لاول مرة بعد ان تتلقه بجلوان ، وادعت به المعلم فيرحب به هذا ملاطفاً . ويتركه الى ان يستأنس ويطمئن ، فيكتب له حروف الهجاء على ورقة او قطعة من مقوى « كتون » يثبتها في شئ عود بارز من الوراء . لتستند اليه فلا تلتوي او تشكر ، ثم يُجدّد له عود ليدلّ به على الحروف حرفاً حرفاً عند قراءتها وتبين نقطها وحركاتها ومواضعها وهو المسمى بـ « المدلّ » . اما العود حامل الورقة فيشتمل لها بثابة مقبض تمك به فتظل نظيفة وتوثق من التمزق .

وقد تُكتب له تلك الحروف على لوحة من خشب ، بعد صقلها بالنحت ، وتبها من طرفها فتتناط بمنقحٍ مجنّط فلا تضيق الى ان يحفظ ما فيها .

الابجدية الفينيقية وبعض الآيات والصلوات

ومن ثم تُكتب له ، على الاسلوب نفسه ، الحروف الابجدية الموروثة عن الفنيقيين الموزقة من كلمات « ابجد . هوز . حطي . كامن . سغص . قرشت . ثخذ . ضطغ » فيقرأها الصغير تهجئةً ودرجاً او « كرجاً » الى ان يحذقها ، ثم ينقل الى بعض الصلوات والآيات . من ذلك ان الكهنة في الجهة التي نشأنا فيها من مقاطعة الشوف كانوا ، في عهد حداثتنا ، ينقلون الولد من الابجدية الى

آية التقديس : « قدوس الله . قدوس القوي . قدوس الذي لا يموت . ارحمنا يا رب ارحمنا . وهلم لا غارتنا . » ثم يملونه بعد ذلك : « ابانا » و « السلام » و « نؤمن » قانون الايمان ، وبختامها يختم الطور الاول من علمه .

تعليم قراءة « الكرج » ، والمط ، والحساب

وبعد هذه المرحلة الاولى من الدراسة 'يجوز' الولد عند المسيحيين الى كتاب المزامير المفتوح بكلمة « طوبى للرجل » . لذلك كان الاولاد عهدئذ يباهون بانهم بلغوا في علمهم الى « الطوبى » ، او بانهم تعلموا « الطوبى » اي سفر الزبور لداود . فيبدأ التلميذ تهجئة حتى اذا امكن فيه اقتصر على قراءة الدرج صرفاً ، وعندئذ يضاف له التعليم المسيحي الصغير المبتدى بـ «ال مسيحي انت ؟ رافه كم واحد ؟» وقد شاعت عند اللبنانيين ، حول الجواب على هذين السؤالين ، طرائف مضحكة . ويجوز الولد عند المسلمين الى القرآن ويبدأ بالبسلة والمجدلة تهجئة ثم درجاً الى ان يحذق بضع صفحات فيكتفى له بالدرج وحده .

بعد ذلك يعطى الاولاد الواسعاً واقلماً سوداً . يترنون فيها على كتابة الارقام الحسابية ومراتبها ، والقواعد الاربع وجداولها ، وعلى رسم حروف الهجاء . ثمانية مفردة فريقة مجموعة . وقد كانت للالواح اطارات خشبية تثقب الخشبة العليا منها ويمر بتقبها خيط يحمل القلم مع اسفنجة تمسح بها المضطربات لاستبدالها باخرى . ولا يخفى كم كان في استخدام تلك الاداة الكتابية لظنار الطلاب من اقتصاد في اثمان الورق والدفاتر والريش التي طالما يشكو منها الآباء . في هذا العهد .

وبعد ان يمر على الولد عهد يجيد فيه الخط والحساب على اللوح الحجري ، ينقل الى مزاويلهما على الورق باقلام الغزار والحبر على الوجه التالي :

ادوات الكتابة .

كان « فلك الاسم وتعليقه » في تلك الايام عند اللبنانيين بمثابة شهادة « السرتفيكا والبريشه » عند لبناني اليوم ، فكان الاب اذا جاءه ابنه ذات يوم يطلب منه ادوات للكتابة ، يتلى قلبه فرحاً ويبادر الى اتيانه بالمطلوب .

الورق

فكان الورق من «البّادي» الأبيض الصفيق، وكان «الماعون» منه يؤلف من مئة طلعية عشرها «كف» والطلعية الواحدة تطوى مربعة فتصير ذات ثماني صفحات أو أطباق، فإذا جمعت بضع طلعيّات بحيث ألقت دفقراً كان يقدم للاستاذ، فيسطر في رأس كل صفحة منه «قاعدة» من خطّه في سطر واحد يضرب تحته خطاً أفقيّاً، فيحذر التليذ بعده حذو القاعدة في سطور متكررة الى ان يئتم الصفحة، وعندئذ يمرضها على الاستاذ ليأمرها ويصلح المفلوط من حروفها، وينبهه الى تقويم الموعج من سطورها ومجانبة تلطيخ الصفحة بالوسخ وبقع الحبر. وكثيراً ما كان المعلم يأخذ انامل الولد المبتدى بيده ويجري بها على القرطاس ليفقه في كيف يكوّر المدوّرات، ويمدّ المستطيلات من الحروف، ويرصفها رصفاً قوياً الواحد في حوض الآخر.

القاعدة

واعتاد الاساتذة ان يختاروا لنص القاعدة إما صورة مكتوب مما كان متعارفاً في تلك الايام: «جناب الاجل الامجد كريم الشيم سني المهم - غب افتقاد خاطركم والاستعاض عن غالي سلامتكم... الخ»؛ وإما صورة سند دين «كبيالة»: «غب مرور سنة كاملة تمر من تاريخه ادناه ادفع لاسر فلان المبلغ المرقوم اعلاه»؛ وإما صورة صك بيع: «سبب تحريره انه قد حضر مجلس عقده فلان الفلاني وباع من الحاضر معه فلان الخ». فيتخذ التليذ من هذه الصور واشباهها وسيلة لاتقان خطه وفي الوقت نفسه لتعلم اهم ما قد يحتاج اليه لتدبير شؤونه البيتية في قابل ايامه.

الدواة والمحبرة

كانت الدواة لذلك العصر تؤخذ اما من الزجاج، واما من الخزف الاصفر أو الأبيض، واما من النحاس، وهذه الاخيرة كانت اكثر استعمالاً من غيرها لصبرها على البقاء وسلامتها من الكسر بين ايدي الدفّار. وكانت تؤلف عادة من قنّاة مستطيلة مجوفة ذات باب تحفظ فيها الاقلام من التعب أو القزّار، ومن مستودع للحبر مئوط بها عند راسها من جهة الباب يدعى «قبة» أو «كبة»

ياب ايضاً توضع فيها « اللبقة » من قطن او حرير منفوش تنشرب الحبر فلا يراق على الارض . وكانت الدواة النحاسية هذه تحمل مدسوسة قناتها في الزنار فيباهى بها على انها شعار العلماء والمتقنين .

اما الاقلام فتُبْرَى بان تحدد من جانب واحد يشق في الوسط فيشرب شقها الحبر ، ويُقَطّ رأسها قطعاً مائلاً رقيقاً او عُثِيْنًا حسب الطلب . وقد قال الشاعر في القصة التي تؤخذ منها الاقلام :

وبمّا رزق الكُتْبَ وبمّا له ما اصبّه
وبمّا رزق بُرْجِي من شقّ نكّ القصبه

الحبر

كان الحبر الوائناً كما هو اليوم . فالاسود للعتون والكتابات الرسمية المهددة للحفظ او التقديم للحكام والرؤساء وذوي المقامات ، ويؤخذ غالباً من السناج بعد ان يُضاف اليه قليل من السكر والصمغ العربي ليظهر لامعاً زاهياً ، اما الحبر الملون فكانوا يستخرجونه من بعض الاعشاب ، او يشقونه جامداً او محلولاً من سوق الطّارئين . ولم يكن يُستعمل الا لساعات الكتب المنسوخة او رؤوس ابوابها او في الكتابات غير الرسمية . مثل رسائل الاهل والاصدقاء والتعليقات الشخصية .

الرملة

الرملة وعاء للرمل ، كانوا يأخذونها من الحُزَف او الصفيح ، وفي غطاها الاعلى تدوب يرش منها الرمل الناعم الطيممي او الملون على الكتابة الطريفة فينشفها متعاضاً به عن الورق « النَّشْأ » المستعمل اليوم . ومنهم من كان ينشف كتابته اما بالنار او الشمس واما بالرماد او التراب الناعم يرشها بانامله بدلاً من الرمل .

طريقة التدريس

في القرى المسيحية كان الطلبة يجتمعون صباحاً في الكنيسة لسماع القداس وخدمة الكاهن ، ومنها يخرجون في صف او صفين سكوناً . طرقي الرؤوس مكتوفي الايدي الى مكان المدرسة حيث .تبتدى الدروس وتختتم بالصلاة ، وتجري باصوات مرتفعة تؤلف منها جلبة تصم الآذان . ومن كان اصبر على مداومة

الدوس بالصوت العالي كان عمله اوفر دلالة على اجتهاده ، واشد اثراً في كسب عطف المعلم ونيل المكافأة منه من ايقونة او صورة او سماع كلمة ثناء مثل « براقو » او « عفارم » ، واذا سكنت الجلبة وخفتت الاصوات ، صاح المعلم بطلبت مضافاً وهز لهم القضيبي مهدداً .

ومتى حان زمن التسميع ، تقدم الطلاب صفوفاً او فرادى من المعلم فتلوا عليه امشولاتهم . فينتقل « الحافظين » منهم الى سواها ، ويأمر غيرهم بمراجعتها ادواراً معدودة او يؤجلهم فيها الى تسميع آخر . وربما عهد الى الطلبة الاقوياء بتدريس الضعفاء فيوفر عن نفسه بعض العناء . وقبل الظهر يطلب اليهم « ان يعملوا » « هوشة القلة » اي مظاهرة الانصراف . وتكون في الغالب دراسة العلوات والتعليم المسيحي . ومتى لامس نور الشمس حائط الكنيسة الغربي يكون الظهر قد حلّ موعده ، وحان زمن الانصراف الى الفناء . فاذا تأخر الاستاذ عن صرفهم صاحوا كلهم بصوت واحد : « يا معلم حلنا والآن منهرب كلنا » فيجيب آخرون ويكونون عادة من المجتهدين : « يا اولاد ما بملككم والعصا تلتكم » وبعد الظهر تجري الدروس على هذه الوثيرة الى ما قبل الفياض ساعة فينصرف الطلبة الى منازلهم بعد ان يسمهم الاستاذ عظة صغيرة يأمرهم فيها بان يحافظوا على نظام الصف في الطريق ويكونوا « اقلين في المتزل مطيعين لوالدينهم محبين لآخوتهم الخ . . . »

فنام الدروس

كان الولد عند الموارنة اذا ختم درسه بالعربية ، تقل الى السريانية يساعد الكهنة في الكنيسة بالصلوات الطقسية ، لا سيما بالوقوف معهم الى جنبات المقرأة « القراية » . وهو بما اعتادوا المفاخرة به وربما علم طلبتهم الخط بالسريانية للاشتغال بنسخ الكتب . اليمية الذي كان لمزاويله مورد رزق ذا بال .

ولقد كان « لحتم العلم » في مدرسة القرية طريقة من الاعلان يمكن مدحها بكتابة الشهادات التي تمنح الآن من جانب المدرسة او الحكومة . كان المعلم اذا اعتبر التلميذ منجزاً القدر من العلم الذي يدرسه في مدرسته ، أبلغ الاسر الى اهله

مع نفر من اترابه بصورة « بشرى غير عادية » فيوثق هؤلاء رفيقهم الخاتم علمه بزوار ، او بقطعة جبل صغيرة « مرسه » ويقودونه بزفة الى منزل والديه حتى اذا دخلوه صاحوا بـ « يا من يعمل منا معروف وبفك هالمكتوف » فيستقبلهم الامل بالفرح ويبادرون الى فك وثاق الولد ، وهم يغمرونه بالقبلات والتهاني . ثم يوزعون حلوان الختم او فسكاكة على اترابه . من مال او نقل ، ويبيعون بالهدايا الى الاستاذ من دراهم او حلويات او اقشعة ، ويدعونه الى وليمة تكريمية يقيمونها له في منزلهم .

نغم الله على قلوبهم

اما عند المحمدين فقد كان الاصطلاح ان الطالب متى انتهى سورة آل عمران فقد ختم القرآن وبجنتاه تكون خاتمة علمه . وعندئذ يومي الاستاذ الى نفر من رفقائه ان يقفوا وراءه ، وهو يتلو السورة ، فاذا بلغ فيها الى الآية القائلة : « نغم الله على قلوبهم » خطفوا له طريشه او عراقيته عن رأسه واسرعوا في العدو الى منزل والديه وهم يصيحون ماذن اصواتهم : « نغم ! نغم ! » فبشروها بالحنسة ونالوا منها الحارون ، وهو في الغالب مل الطريش ملبأ او قضامي او غيرهما من انواع النقل فيأكلون منه ويحملون الباقي الى رفاقهم . وعند المساء يدعى الاستاذ الى العشاء في بيت التلميذ ويقدم له البخشيش او الحلوى . وبعد هذا الختم يترك التلميذ المدرسة لتعلم صنعة او لمساعدة والديه في كسب رزقها بما يزاولان من اعمال .

اجرة المعلم

لم يكن لمعلمي المدارس القروية في القرن الفائت مرتبات محدودة ، وانما كان ذلك يترك للعرف المحلي والسخاء الاهلين والقيمة الشرائية للنقد . اما ما كنت اسمعه في طفولتي من شيوخ ناحيتنا عن هذا الامر فخلاصته : ان الآباء كانوا يؤدون للمعلم عن ولدهم اجراً شهرياً قدره بشلك واحد (ثلاثة غروش تركية) في السنة الاولى ، وبشلكين في السنة الثانية ، وثلاثة بشالك في السنة الثالثة فا

بعد ، هذا فضلاً عن هدايا الاعياد والمواسم وتقادم السبئية (اي مقدمة يوم السبت) آخر الاسبوع ، وتكون عادة من الحبز والبيض والالبان . اما هدايا المواسم فتكون شيئاً من الفلال عند جنيها كالكيلة من الفياالج عند قطاف . وسم الحورير ، وقدر من الزيت او الدبس او الزبيب او التين الناشف او غير ذلك من موارد الارض والماشية عند حصولها .

العقوبات

كان الاساتذة في ذلك العهد يعاقبون المذنبين من طلبتهم بالضرب بدليل القول المأثور عن أسنة الطلبة مما يجري الآن مجرى المثل للدلالة على حلول الضنك محل الرخاء : « راح العيد وفرحاته وإجا المالم وقتلاته »

وكان الاهلون لا يتذمرون من ذلك الضرب بدليل العبارة المأثورة كانت تقرها الام للاستاذ حين تأتية بولدها الى المدرسة : « اللعم لك والعظم لي » ومنه اذا كسل ابني او اذنب فاضربه الى ان ينثر - لحمه فلا يبقى منه الا العظم . وما من ريب في ان ذلك ناجم عن رغبتهم في التهذيب مما كانوا لا يرون اليه سبيلاً الا بالضرب عملاً بقول الكتاب : « من احب ولده فليهي له القضبان حزماً حزماً » .

يبد ان حض الاستاذ على نثر لحان الولد عقاباً لم يكن المقصود منه الا اربابه لئلا يطعمه الحنسان فيكسل ويثني في غير الطريق السري . ولكن العاطفة الالدية لم تكن في الواقع لتوافق على اية قسوة غير «ألوفة يعامل بها الولد جرياً على ما جاء في قول الشاعر :

ادعو على ابني وتبلي يقول يا رب لا لا

الركوع والرب

وعادة المعلمين لتلك الايام في ا تزال العقوبات دعوة الولد الى الركوع على ركبتيه ، او على ركبة واحدة على الحضيض . وفي حال كبر الجرم ، على شي . من الحصى ، وزربه وقت اللعب او حين يذهب رفاقه لتناول الغداء ، واشعار اهله بزربه ليحملوا اليه غداءه الى المدرسة ، والزمامه بحفظ الدرس او كتابة

الغرض اللذين اسمهما او لم يتقنها ، او اعطاه درسا جديداً يحفظه او ينسخه
في زربه .

المجلدة والطبشة والفلق

تؤانف المجلدة من جبل او جلد مجدول يُجلد بها الولد على كفيه او ظهره ،
وينوب عنها غالباً القضيبي من التوت والسنديان والورد ، او الطبشة يضرب
بها الولد ضربات عددها على قدر جرمه . وقد يصنع على وجهه او قذاله ،
وتُترك اذناه او «تشمطان» اي يشدّ بهما .

اما الفلق فهو كناية عن عصا طويلة انيط جبل بطرفيها فيمسك بها ولدان
بامر المعلم ويدخلان رجلي المذنب في داخل الجبل ، ويدوران العصا فيلتفّ الجبل
على الرجلين ويتقدما . ثم يرفعهما الولدان بطرفي العصا الى اعلى . ومن ثم يروي
المعلم ضرباً بالقضيبي او الطبشة عليهما ضربات معدودة .

وقد بطل الآن قصاص الضرب بانواعه في المدارس اللبنانية . واكتفي في
المعقوبات بجس الولد والزامه بدرس بعض الامشلات او بكتابة عدد معين من
الطور ، وباعطائه علامات تتناسب مع مسلكه ومقدار شغله وتعين مقامه في
الصف ، وهو الاجدى والاصح .



صناعة الخزف في بيت شباب

درس اجتماعي للاب موريس دي فنويل اليسوعي
تدريب الاب نوتل البوعبي

يمتد الخزافون كلهم في بيت شباب^(١) الى اسرة واحدة اخذت اسمها من
صانعتها فدعيت بيت الفاخوري . ويتبين بما تناقلته الالسن ان اصل هذا البيت
من صيدا ، ولم يزل منه في هذه المدينة حتى اليوم فئة من الخزافين تحمل اسم
« فاخوري » وهم مسلمون ونصارى . ومنه ايضاً فرع في بتفرين من اعمال المتن
افراده من الطائفة الارثوذكسية .

ويبدو ان هؤلاء حين رأوا ان الريح الشمالية في بتفرين تحول دون اذكاء
النيران في ما كانوا يبنونه من الاتاتين ولا تساعد كما كانوا يشتهون ، عولوا على
الانتقال منها . وكان اول الراحلين فئة قدمت منذ مئتي سنة تقريباً الى
بيت شباب وحلت في اعاليها في مكان دعي « الفاخورة » وهو ما زال حتى اليوم
يحمل هذا الاسم ولكنهم لم يستقروا فيه طويلاً لان الريح الشمالية في الشتاء
الجأتهم الى اتحاذ مكان آخر في الوادي القريب اقل تعرضاً لتلك الريح
ومما زالوا هناك حتى اليوم . وكل آل الفاخوري في بيت شباب من الطائفة
المارونية .

وهناك تقليد آخر يتناقله آل فاخوري مآله ان اصل اسرتهم من بعلبك
من طائفة الروم الارثوذكس رحلوا عنها اولاً الى بتفرين ثم تفرعوا منها فرعين :
الاول مبط بيروت حيث اعتنق الاسلامية ، ويقيم اكثر ابناء هذا الفرع في محلة

(١) بيت شباب بلدة كل اهلها موارنة عدد المئسين فيها نحو ٣٨٠٠ وقد هاجر منها
نحو ٦٠٠٠ واكثر هؤلاء قعدوا الى افريقية الغربية الناجمة لقرنة واشتالهم هناك في
ازدهار . وفي البلدة صناعات اخرى غير الخزف منها مصاهر الاجراس ليبت هناع ، وصانع
الحديد ليبت الحداد ، ومبادل الحياكة لآل حايك .

الكورنيش بالقرب من الحمايات العسكرية . والثاني رحل افراده الى صيدا وهناك اسلوا ايضاً . ورحل بعضهم الآخر الى بيت شباب كما قدمنا فاقاموا اولاً في اعلاها ثم هبطوا وادبها . والله اعلم^(١) .

ولند الى آل فاخوري الذين في بيت شباب موضوع مقالنا هذا . فان هؤلاء يتباطون من نحو ثلاثين سنة صنعة الفخار ، وقد اسسوا لها نحو عشرين مصنعة في بلدتهم كانوا يطبخون في كل منها طبختين الى ثلاث في كل موسم . اما اليوم فليس في بيت شباب الا سبع اسر تتعاطى هذه المهنة في خمسة مصانع . ويلاحظ ان الذين تخلوا عن هذه المهنة ما زالوا يحثرون اليها لانهم شربوا حبها مع الحليب . وقد اخبرنا احد هؤلاء قال : في ايام طفولتي كنت اذهب مع اخوتي فننقل الطين من حوض التصويل لنصنع منه دمي صغيرة كنا نشويها في اتون صغير خاص ببنينا بلدينا على مثال مصغر لاتاتين المصانع الكبيرة . وفي ايامنا هاجر الى افريقية ثلاثة ارباع هذه الاسرة .

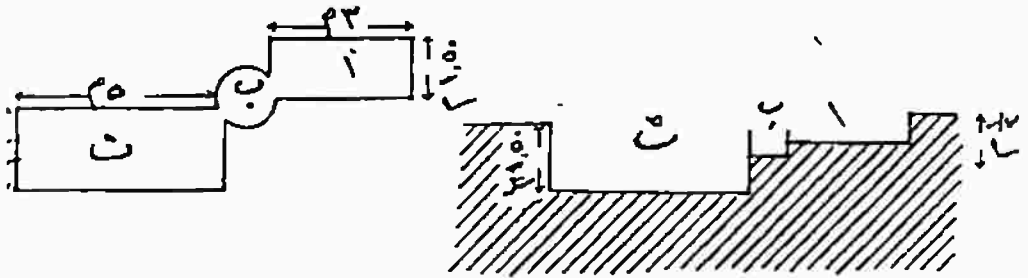
التراب

التراب اهم ما يهتم به الحرف لان المادة الاساسية في الحرف . قال فاخوري في بيت شباب يهثون ما يلزمهم منه من تراب البلدة نفسها فتري الحرفيين منهم غالباً ما يجولون في البلدة يتفحصون تراها . كانهم يبحثون عن الحلازين وما مطلبهم الا تربة الحرف فاذا ما وجدوها في ملك احدهم ابتاعوا منها بضعة امتار مربعة وباشروا الحفر فيها الى ان يجيدوا العرق الصالح للاستثمار . والتراب الصالح للحرف نوعان : احمر وهو « الدلنان » ، وابيض وهو « الحواري » ، وقد يمزج الاحمر بشي . من الابيض لصنع الجرار والتعارات الراشعة التي يبرد الماء فيها صيفاً . اذ قد تبين بالاختبار ان التراب الحرفي الابيض هو وحده الصالح لصنع الآنية الحافظة الماء بارداً في الصيف . ويجبل التراب احياناً بماء البحر لاغراض يقصدها الحرفيون لذلك قالوا في امثالهم : « كل فخار ولو ترابو » .

(١) ليس لهذا التقليد مستند ثابت يجمع آل فاخوري من مختلف الطوائف في اصل واحد . وانما هو على ما لاحظنا من باب الحدس والتخمين .

النصوب

بعد استخراج التراب ينقل احياناً الى احواض التصريل أو المصاول. وهذه تحفر في الارض ثلاثة ثلاثة احدى بجانب الآخر . ولكل اسرة مصاولها المثلثة وكلها في اسفل البلدة يتصل بعضها ببعض في الموضع الوحيد الموافق لها بسبب مجاورته لساقية ماء تسيل في تلك المحلة (الرسم ١) .



الرسم ١ - قطع و مسطح الارقام تفريية وتختلف باختلاف الاحواض

في المصول الاول (ا) :

يطرح التراب وتضاف اليه حاجته من الماء ثم يقبل على عركه بتجرفة طوال يوم كامل ، وبعد ذلك ينقى من كل حصة ويداف الى ان يخرج بهذه بعض على شكل يقرب من اللبن الحائر واخيراً ينقل الى

المصول الثاني (ب) :

وفي هذا المصول يعني بتصفيته وتجميعه من كل جسم غريب بحيث يصبح خالياً من كل كدرة ثم يحول الى

المصول الثالث (ت) :

وفي هذا المصول يترك الى ان يرسب في القعر وعندئذ يرفع الماء عن وجهه بالطول والراسب يصبح صالحاً للعمل . على ان كميته ان لم تكن كافية اضافوا اليه جبلة ثانية فتالته من التراب على النحر المشروع به آنفاً الى ان يصير ما في الحوض الثالث كافياً للعمل طوال السنة او المرم فيؤخذ بنقله « تامل تامل » على قدر الحاجة في كل طبخة في « نقالات » من خشب تحملها الدواب . وكان

المال انفسهم من قبل يحملون « التاميل » كلها الى المصل ويضعونها في غرفة ذات درجة محدودة من البرودة والرطوبة .

المصمم

يؤخذ القدر اللازم من « التاميل » ويداس أولاً بالارجل وهو ما يسميه الحزافون « الدوسة » فيقول المعلم لصانعه : « دوس دوسة » ومن ثم يعجن او « يترك » بالأيدي وهذا « المرك » ضروري لان اليد الطاف حاً من الرجل وهي تشر بادق الحصى الباقية في « التاميل » بعد التصويل فتنتزعها على انها لو بقيت اضررت كثيراً بالفخار بل اتلفته لانها حيث تبقى تحدث تقباً . وقد يستعملون عند المرك قليلاً من الرمل الناعم منعاً لعلوق الصجين بالاصابع بسبب تروجته او بالبلاطة التي يعجن عليها .

انواع الخزف

يكاد خزافو بيت شباب لا يفوقهم صنع شي . من انواع الخزف فانهم ماءدا آنية الزهر والصحاف والكؤوس يصنعون الجرار والدنان (الدغاير) على اختلاف انواعها وحجومها .

واكبر هذه المصنوعات :

الحاوية : جمها خواني علوها ٩٠ سنتيمتراً وسعتها نحو ٦٠ رطلاً تصلح لحفظ الحبوب والزيتون وغير ذلك (راجع الرسم ٣)
الرباعية : تسمى ايضاً « الثلاثية » تسع من ٢٥ الى ٣٠ رطلاً (ربع او ثلث قنطار) .

ثم الجرار المتفاوتة الحجم منها :

الدكوجه (جمعها دكاكيج) : تستعمل في البيوت لحفظ الزيت والحمر والمرق وغير ذلك من السوائل (الرسم ٢) .

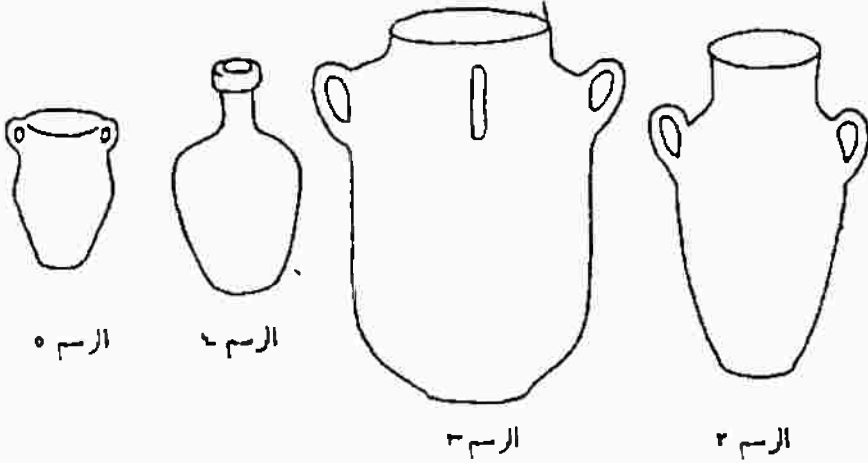
الخارج : يسع ١٠ ارطال

المتوسط : ٦

الوسط : ٤

الصغير : رطل ونصف الرطل .

ويسمون هذه المجموعة المكونة من المزتر والوسط والصغير «المد» .



وهناك الآنية المجموقة منها :

المعجن : وهو انا. واسع يعجن فيه الدقيق ويحفظ الخبز .

القرخ : يشابه المعجن في شكله ولكنه اصغر منه حجماً .

الميجنة : هي من الشكل السابق ولكنها اكثر منه صفراً .

جرن البطاطا : وعاء عمودي الجوانب .

المزتر : يتعمل لحفظ الحمر والمرق (رسم ٤)

المحلوب : يتعمل لحفظ الحليب واللبن الخائر (رسم ٥)

الصفية : نوع من الصحن .

البرنية : نوع من الدكاكيج لاعتق لها ، ذات ثلاث او اربع آذان

تناط بها في السقف أو الجدار واكثر ما يحفظ فيها السمن

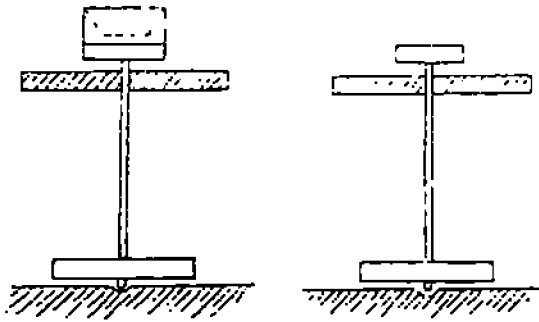
والقورما والصل .

كيف يصنعه آية الفخار

تصنع القطع الصغيرة بالدولاب وهو مؤلف من قضيب عمودي اتبت طرفه

الاسفل في رضى يديرها الحراف برجله . اما طرفه الاعلى فيعمل رضى اخرى

توضع عليها المواد المراد صنعها خزفاً (راجع الرسم ٦ في (الف) . اما في (باء)
فقد وضع الخزاف على سطح الرحى قالباً من طين الخزف مقطوعاً بمخروط وشكله
يمثل شكل كعب الجرة فيحفظ المادة من الانحلال وقت صنعها)
يضع الخزاف على الدولاب « المزأية » وهي قطعة من طين شكلها
مخروطي في اعلاها الشيء المراد صنعه ، فاذا انتهى منه قطعه يحيط من اسفله
عن باقي الطين ويأخذ صنع غيره . وهكذا دواليك الى ان يأتي على الطينة
باسرها .



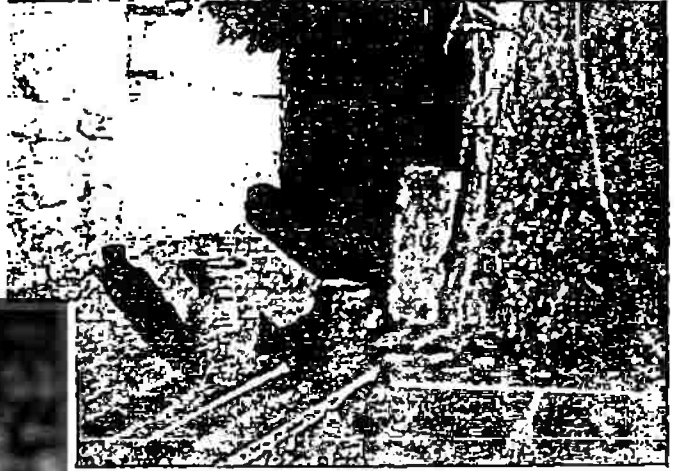
(ب)

رسم ٦ (ا)

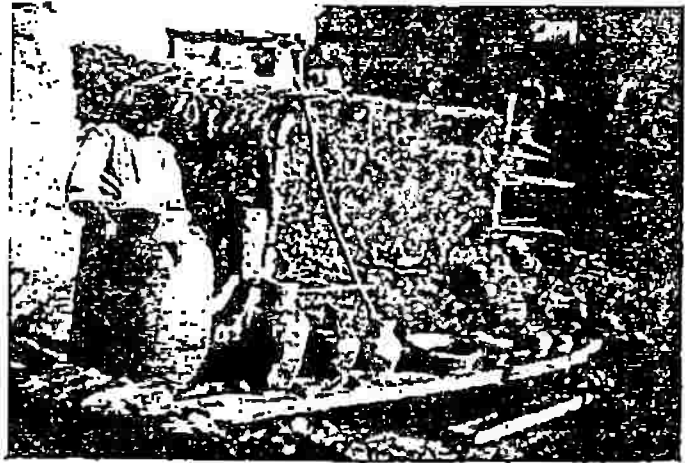
اما في صنع الجرار فيصنع « الكعب » أولاً وينشأ بضعة ساعات . ثم تعد
لجوانبها قطع اسطوانية من الطين كل منها بطول متر تسمى « الدوار » . فاذا
شاء المعلم العمل قال لصانعه : « ولف الدوار » ومتى قدّم له استند احد طرفيه
الى كنفه واحكم لصق الطرف الاخر بكعب الجرة بعد ترقيقه بادارته
بيديه فينسب بين اصابه كالافعوان ويأخذ الدولاب يدور وبطن الجرة
يتكون مرتفعاً شيئاً فشيئاً الى ان يتكامل . وعندئذ يحف بعض الجفاف (الجرار
العادية تكفيها الاسطوانة الواحدة . اما الجرار والآنية الكبيرة فقد تتطلب
عدداً غير قليل من الاسطوانات) .

وبعد الجفاف يؤخذ « بتخيطها » اي ترقيقها وتجليسها ، وذلك بان يأخذ غلام
الفاخوري بيده قطعة خشب تسمى « الكفة » وهي تشبه الحجارة المساءة المأخوذة
عن شاطئ البحر او ضفاف النهر فيضمها يسراه في داخل الجرة ويأخذ

- صورة ١ اطرار العمل في
الخزف
- الكدوب
- الجوانب للهيئة للثغ
- الدكوجة وقد كـ



- صورة ٢ - العمل على الدولاب
يمرك الخزاف البرص رجله حافية



- صورة ٣ - بعض انواع
الخزاف يتشد الى الحاية .
ايضاً المد اي مجموعة من
والوسط والصغير
(تصوير عبد الله ابي م)

ييميناء خبط بطنها من الخارج مرققاً جوانبها بواسطة «المخباط» ، ماملأ على نفخها وتسويتها ووضعا في الشكل الهندسي الموافق لها .

اما في تركيب المنق او «البوز» فيستعمل الحراف من الطين قطعاً كالتي استعملها في تركيب الكعب . وذلك بان يضع الجرة على الدولاب ويصل بطنها قطعة الطين المختصة بالبوز ويلفها محكمأ وصلها وتجليسها ييده الى ان يتتها ويختها بحرف متفخ قليلاً عند فها ، فيقال انه «عري البوز»

ويعد اخيراً الى « تركيب الاذنين » من قطع خاصة (قطع دينين) يبينها موارنه بصورة كتل كرية يدها باصبعه ويلفها عليها ثم يلصق طرفها الواحد بطن الجرة والطرف الآخر بمنقها . وعند العامة في لبنان مثل مأخوذ من صنع هذه الآذان وهو : « كيف ما راد الفاخوري يدير دينة الجرة . »

وعلى هذا النحو تكمل الجرة الكثيرة الاستعمال في لبنان ، وذلك بعد ان يستغرق صنعها نحو اليومين بين عمل وراحة^١ .

التشيف

يجب ان يتم «التشيف» ونيداً في . وضع معتدل البرودة . وكان اهل القرية اذا اشتد الحر في الصيف جاؤوا الى مصانع الفخارين ينشدون عندهم الهواء البارد . ولولا برودة الهواء لتشقق الحرف لذلك تراهم يتفحصون المصنوعات غالباً ويقلبونها من جانب الى آخر حتى لا تتم نشوفة هذا قبل ذاك فيقع التشقق ويتلف الحرف . وتبقى القطع معروضة للنشوفة على هذا النحو شهراً ثم تنقل الى الفرن وتشوى .

(١) بعد صنع النطق الفخارية ، توضع على اعمدة متفاوتة الارتفاع كل منها « الحرة » وبني بان يكون سطح « الحرة » جالساً جليلاً أفقياً لا ميلان فيه حتى تكون اكواب القطع مستوية استواء تاماً لا يشوة او ضاعها انحناء . وللتأكد من افنية الاعمدة يصبون عليها تعلاً من الماء فاذا لم تتحول الى احدى الجهات كان استواءها وفق للطلب .

السِّي

الفرن أو «الهدوشة» تبنى من الحجر. وفيها غرفتان الواحدة فوق الاخرى وبينهما رقبة معقودة من ابن مفتوحة لمرور اللهب. والحُزاف يضع اللبن ويدس منه قطعاً في الاتون كل مرة يتبأ للشيء. ويبقى قسماً آخر محفوظاً عنده لاستعماله بدلاً مما يتلف من لبنه في النار.

يضمون في الغرفة العليا القطع الضخمة المحتاجة الى كثير من الحرارة اما القطع الصغرى فتوضع في النصف الابدع من الغرفة السفلى. وقد يضمون بينها وبين النار حاجزاً من حجر ليخففوا عنها شدة الحر. وكثيراً ما يتحول هذا الحاجز الحجري الى كلس من كثرة الحرارة فينتفع بما يباع منه. اما الحجارة القريبة من محل الوقود فتتقى من النوع الناري الذي لا تؤثر فيه الحرارة. وهذا المكان يدعونه «بيت النار»

ويبتدون عادةً بنار خفيفة ثم يسيرونها شيئاً فشيئاً الى ان ترتفع حرارتها الى درجة جد عالية.

واذا أَسَازُوا استعمال النار فسد الشيء وتعتل الحُزف المشوي فخرج اماً نياً او كان سريع العطب كثير الشقوق.

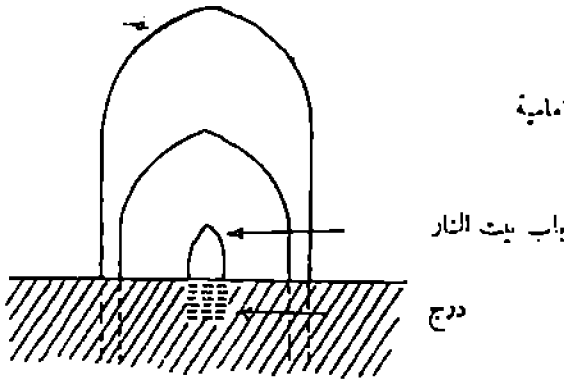
ولا بد من توجيه الاتون الى مهب الريح لتركبة ناره. على انه لا بد في ذلك من بجانب المادي والافراط وملازمة الاعتدال بحيث تضرم النيران على القدر اللازم فالزيادة تضر تماماً كالنقصان. وقد رأينا ان المحال الممرضة لريح الشمال لا تصلح لبناء الاتنين، واكثر ما شاهدنا منها في بيت شباب جل في درية من شدة الريح ووجهه الى الجهتين الجنوبية والقرية فيأتيه الهواء اللازم له من هتين الجهتين.

والاتنين المبنية هناك تستند كل ظهورها الى منحدرات ارضية. وقد جعلت بيوت نيرانها في حفر عميقة وفوقها غرف الشيء على مستوى الارض تماماً. وتبلغ

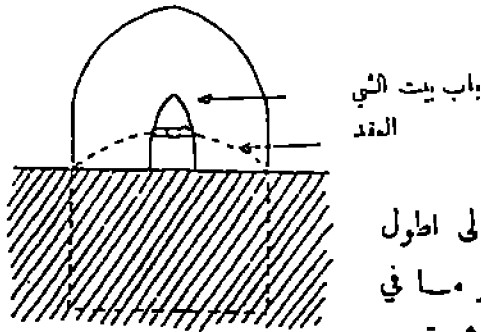
غرف الشبي في الافران الكبرى نحواً من ٧ امتار في ٥ وفي ٤ علواً .

الرسم ٧

(١) قطع الجهة الامامية



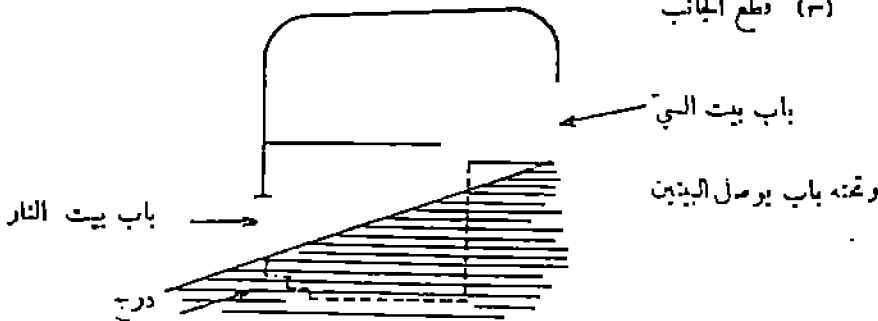
(٢) قطع الجهة الخلفية



وتكون مدة الشبي الاولى اطول منها في غيرها لان فيها يتبخّر مسا في جدران الاتون وما في المراد المشوية من

رطوبة . ولذلك تسمى «مدة التبخير» وهي تستغرق نحواً من ١٥ يوما تستهلك من الحطب زهاء ٢٥ الى ٣٠ قنطاراً . اما مدة الشبي الثاني فتقدر سبعة ايام وتستهلك زهاء ٢٠ قنطاراً من الحطب . والمدة المقتضاة للشبي الثالث اقل من سبعة ايام ويكفيها من الحطب زهاء ١٢ قنطاراً . اما ما يسمى الاتون من القطع الخشبية ، فاما اذا كان حجمه كبيراً ، فلا يقل عن الف قطعة .

(٣) قطع الجانب



صورة ٤ : المصول



صورة ٥ : مدخل الانون في الواجهة . لقد
تمّ الشئ فبرمي الصانع التراب على
النار بالرفش ليطفي بقايا اللهب

صورة ٦ مدخل الانون
عند الروام . وقد
هزّل من الحجر
والطينون . تظهر
فيه الانية الخزفية
مكتملة .

(تصوير عبدالله الي هلا)



كيف يورى الحزف :

قبل ايقاد الاتون يفاق بابيه الواقع الى الوداء بركام من الحجارة ويحكم سدًا ما بينها بالنبات المعروف « بالطينون » . وعندما يمتد اللهب الى جوف الاتون كله يملق بالطيرن ويحرقه ولا يحصل ذلك الا في نحو اليوم الخامس فيقال : « دفقت النار » . وعندئذ يبادرون الى تزع الحجارة من الباب فيسر منه الهواء . واذا رأوا ان عملية الشئ ناجعة رددوا كلمتهم الاصطلاحية « ضافجت » اي ان الطبخة قد صغت وملت واصبحت مضمونة . وبعد ذلك يرفعون من سائر الايواب ما كانت تسد به ، فتمر فيها الريح دون ما مانع ويحركون النيران « بالدكش » وهو عصا طويلة ذات اصابع وقد يستعملونها لرفع القطع الساخنة فلا تسد الخارج . ولا بد من انقضاء يومين يبرد فيها الاتون فيسكنون من افراغه .

ويتصلب الفخار بعد شئيه تصلباً قوياً فيصبح « مثل النحاس » واذا احتاج الماهر عند تنظيم الاتون الى تثبيت حجرين وضع ما بينهما قطعة من الحزف تدعى « دحاً » . اجل ان الحزف سريع العطب لا يحمل صدمة ولكنه يصبر على التكتل في اثناء النقل ولا ينكسر . ومن امثالهم في ذلك : « حذل قطار ولا تدق مسار » :

ويكسب الحزف بعد شئيه لوناً اسمر ضارباً الى الحمرة دون ما تلوين بالبرنيش .

البيع

يتوافد التجار في الصيف على النواخرة لايتباع آية الحزف وتكون صفقاتهم متناسبة مع محصول العام . والصققات الحسنة تمقد مع اصحاب المحاصيل الحسنة .

يحكى ان التجار عندما كانوا يخلون ما يتاعونه من الحزف على البقال والحير كان الشتاء ينقضي او يكاد قبل ان تنفذ محاصيل الفخار من مستودعاتهم .

اما في ايامنا هذه فسيارات الشحن تذهب بها الى الاسواق قبل نهاية ايلول .

موسم هذه الصناعة ومبداها

ترتبط شروط صنع الفخار باحوال موسمه :يبدأون التصويل في الربيع ايام الصوم . وان تأخروا عن هذا المرعد نضب ماء الساقية المملو عليه في قصويل الاتربة بالاحواض . وان بكرروا والماء شديد البرودة تغذر عليهم احتمال العمل في جبل التراب النهار بطوله وهم حفاة الارجل . . وينتهي التصويل في منتصف ايار وفي اواخر آب يكون الفخار جاهزاً للبيع . وزبدة القول ان هذا العمل لا يمكن انجازها الا في الصيف كي لا يتأذى العمال من شدة البرد . وهم يعالجون الفخار الرطب في الشتاء . فضلاً عن ان التنشيف لا يمكن لقامه في غير الصيف وذلك بتعريضه للهواء الطلق تحت سقف خيمة من ورق الاشجار مما لا يتيسر حصوله في ايام الشتاء الممطرة .

واعلم ان الفواخرة ما كانوا يتدثون اعمالهم قبل منتصف تموز ربما يكون الفخار قد نشف . اما في ايامنا فقد يحفظون تراب الحرف من العام السابق ليستطيعوا الابتداء بشيئه قبل موسم الحرير .

وزد على ذلك ان موسم الحرير من تربية الدود وقطاف الفياض ما كان ليتم قبل الربيع . وكان اذ ذاك في بيت شباب ثمانية او تسعة معامل للحرير وجميع آل الفاخوري كانوا يربون دود الحرير فتشغلهم تربيتها عن غيرها من الاعمال . ولما وقع الحرير في ازمت المروقة املوه وعمدوا الى النشاة بالماشية اخصها البقر فكان اكل اسرة في القرية بقرة او بقرتان ، كما انهم اتصرفوا الى العمل في كرومهم .

هل منه سبيل الى تحسين صناعة الفخار واساليبها

هذا سؤال يجيب عليه الفخارون قائلين ليس باستطاعتنا ان نأتي بغير ما تعلمناه من اجدادنا . بيد ان بعضهم غطوا سقف الاتون في الشتاء بالتوتياء ليمشوا عنه المطر ، فاقصدوا بذلك نحو خمسة قناطر من الوقود في الشئ الاول .

ولو عمد بعضهم الى استعمال المحرك الميكانيكي في تشغيل الدولار لموتوا
العمل كثيراً على انفسهم ، كما انهم لو سخفوا الماء اللازم للجبل لتسكنوا من
صنع الفخار طوال السنة وزادوا في كمية الانتاج . اجل ان ذلك يتطلب نفقات
كبيرة ورؤوس اموال وافرة ولكن مهنة الفخار البيئية تتحول عندئذ الى صناعة
فنية ذات طابع تجاري .

ومما يمكن من امر فان هذه الصناعة البيئية الخالصة تحتاج الى تضافر
الايدي في انجازها . فالعامل الواحد لا يستطيع القيام بالاعمال المطلوبة كلها في
الزمان المحدود ، فهو يستعين بأل بيته جميعاً ، واذا احتاج الى معاون غريب
استعان باحد افراد اسرة الفاخوري لان « سر المهنة عندهم بالدم » .

قد يصعب اتقان صنع الفخار قبل ان تمر خمس سنوات على المتعلم . وفي السنة
الاولى يُفرض عليه اداء مبلغ من المال لمعلمه اجرة تعليمه . وفي السنة الثانية
يشتغل معه دون ما اجرة البتة . وفي السنة الثالثة يشتد الربح لنفسه . واذا
انتهت مدة تعليمه بعد ذلك افترق عن معلمه ليشغل منفرداً عنه او شاركة
بالصل وقاسمه مناصفة ارباحه . ويشكو بعض الشيوخ من ان الشباب لا يرغبون
بعد في تعلم هذه المهنة .

ومن ثم فالتعاون يكاد يكون مفقوداً تماماً بين مجانع الفخار اذ ان كلاً
منها يعمل لذاته وله مصوله ومعداته . وقد يجتمع الفخاريون في مثل الموسم
لا للتعاون بالصل بل لاقرار اسعار البيع والاتفاق على عدد الاتنين التي
يشرون فيها الفخار وما يكون لكل واحد منهم من المحصول (لنلا يطنى
الفخار على الدرق فتبسط اسطاره) . واذا كان لديهم قطع باقية من العام السابق
حسبوا حساباً عند عد القطع المنوي صنعها ووزعوا هذا العدد على المصانع وفقاً
لاهمية كل منها . واليك المثال على ذلك : في هذه السنة يشتغل كل من الحرفيين
التالية امتازهم :

نعوم معه ابنه وشريك واحد وعاملان ، له الحق باربعة اتنين .

نقولا ومعه عاملان ، له الحق بثلاثة اتنين .

نخلة معه شريك واحد وعامل واحد : اتون ونصف اتون .

نعمته الله ومعه عامل واحد : اتون ونصف اتون .

الحاج ومعه شريك واحد : اتونان .

وقد يلجئ شئ الخزف اصحاب المعامل الى تبادل المعونة ذلك اذ ليس في الوقت الحاضر للمعامل الخمسة الا اربعة اناجين ، ولانه قد يحدث في آخر الموسم ان يحتاج الخزفيون الى طبخة واحدة لبقايا القطع التي لم تشر تقادياً من اشغال اتون كبير لا سبيل الى املائه بالمطبخات . عندئذ يتفقون على شئها في اتون موافق يعملون كلهم فيه ويشتركون في تقديم ما يلزمه من الوقود والحاجات . ولم تدون لهذه الصنعة اغان عامية . ولم نسمع لها امثالاً دارجة غير التي قدمنا ذكرها في سياق مقالنا هذا^(١) .

وقد جاء الكتاب المقدس مزاراً على ذكر هذه الصنعة ، من ذلك : وصفه الخزاف جالساً على عمله يدير دولابه برجليه (ابن سيراخ ٣٨ : ٣٢) وهكذا تصرره لنا النقوش المصرية القديمة . اما عندنا فالعامل في الخزف يشتغل واقفاً على رجل واحدة وبالرجل الاخرى يحرك الدولاب وعمله يتطلب نعمة الاصابع وخفتها لان الاناء لا يحتل الشئ ما لم يتقن عمل التحويل وعرك الطين او لم تكن درجة الزطوبة او اليوسة كما يجب ان تكون .

وقد قال ابن سيراخ في هذا المعنى :

« آنية الخزف تختبر بالاتون والانسان يتمحن بمجديته » (٢٧ : ١٦) .

✽

هذه هي كما رأيناها بعيننا احدى الصناعات القديمة التي توارثتها البشرية عن الاقدمين .

ويمكننا خلال الكلام عليها ان نلقي ما جاء فيها من الآيات في الكتاب المقدس سواء في سفر التكوين ، في خبر خلق الانسان من طين الارض ام

(١) افادنا الامتاذ خد خاطر ان في لبنان حول هذا الموضوع امثالاً عامية دارجة غير المذكورة في المزال منها قولهم : فخار يكسّر فخار . مثل الفواخريه لا دنيا ولا آخره . لولا الكسوره ما كانت الفواخريه . وكان مرة احد الزجالين يساجل زجالاً من معاصر الفخار المعروفة بمعاير الشوف فأنشده البيت التالي :

ابن المعاصر قد ما يكسر يضلّ اصله برّد فخاخوري

في رسالة القديس يولس التي يتحدث فيها الى الرومانيين (٩ : ١٩ - ٢١) عن الخراف الذي له سلطان على الطين ليبن في ذلك قدرة الله المطلقة وهو في ذلك يتصدى لكلام ارميا للملني القائل :

« الكلمة التي كانت الى ارميا من لدن الرب قائلاً :

« قم واتزل الى بيت الخراف فاذا هو يعمل على الرحوين وهناك اسمك كلامي .

« فذلت الى بيت الخراف فاذا هو يعمل عملاً على الرحوين ففسد الانا . الذي كان الخراف يصنعه من الطين في يده .

« فطادوصنعه اثناء آخر كما حسن في عيني القهاري ان يصنعه فكانت كلمة الرب اليّ قائلاً :

« اما استطيع ان اصنع بكم كهذه الخراف يا آل اسرائيل ؟ (ارميا ١٨ : ١ - ٦) » .^{١)}

حاشية للسرب

جاء في كتاب « معالم القرية في احكام الحسبة » تأليف ابن الاخوة فصلان طريفان عن الموضوع الذي نحن في صده ترويهما لما فيها من فكاهة وافادة (راجع وصف الكتاب في آخر هذا العدد) قال :

الباب الخامس والخمسون

في الحسبة على باعة قدور الخزف والكيزان

يؤخذ على باعة قدور الخزف والكيزان والاولاني بانهم لا يطلون ما كان مثقوباً منها او مشقوقاً بالجبس المجون بالشحم وبياض البيض والخزف الاحمر المسحوق ويبيعونه على انه سالم فاذا وجد عند احد منهم خرف على هذه الصفة فادبه ليكون رادعاً لغيره .

(١) نشكر للسبدن البر وويلسون فاخوري كل التطبيقات التي تفضلوا بها علينا ، وجميع الخرافين الذين اتونا بالجواب على استئنا بكل طيبة خاطر .

الباب السادس والخمسون

في الحسبة على الفخارنيين والفخارين

ينبغي ان يعرف عليهم رجل ثقة بصير بمصالحهم وتدليسهم ويشترط عليهم
 الا يعملوا الزبادي الا من الحجر المطحون ولا يعملوا من الرمل الا ما كان
 خرجياً المتخذ للوانم الافراح وان تكون الزبدية معتدلة وان تكون قالب
 العادة وان تكون كاملة الدهن وان يعمل في صباغ الزبادي القلي الازرق
 والتوبقان والمغنيز ولا يمرضوه بالنيلة والشركس وان يكون شيئاً تاماً لكلا
 يوضع فيها الطعام وتشال فتفتت في يد الآخذ أو المعطي واذا ظهر من
 الكوز شيء مريب افردوه وباءوه لغير الطعام ولا يداوره ويدلسوا به على
 المشتري ويشترط عليهم ايضاً الا يقدوا عليه بقوسان وهو روث الادمي
 ولا بشيء من الاربال فانه نجس بل بالحلفاء والقيشة وهو قشر الارز وما
 الزبدة . ويشترط على باعة الغضار الا يباع غضار الكوز الا مفرداً من غضار التنور
 ولا يخلط كوز بتنور الا ما كان متقارباً ويعينه المشتري وعلى الفخاري اذا جاءه
 الزبون ليشترى منه مائة جام الا يقتصر على انه يريه جاماً واحداً ويبيعه من
 هذه المين ثم يعطيه من غيرها وهذا تدليس لا بد ان يعين له المبيع بكماله
 ويعاقد عليه ويشترط على الحمالين معاونة الزبون من القرباء وغيرهم وان
 يستوفوا لهم حقوقهم على ما تقدم ذكره من الاصباغ وقلع الميب وعدة ما يشتريه :
 (ص ٢٢٢-٢٢٤)

لمحة في حياة الانسان الاول

في العصر الفخري القديم

حفريات كسار عجيل " فوق انطلياس

بقلم الاب ج . فرانكلين يونغ اليسوعي

من جامعة فوردام (نيويورك)

في هذا العصر الجديد ملئت العلوم الطبيعية شأواً بعيداً من الرقي مثبتة ان في طورتها حل العديد من المشاكل ، ألا ما كان منها بوجه خاص منوطاً بالشؤون البشرية في العصور الاولى . وهناك مجموعة علوم تختص بهذا الموضوع الذي يظهر قليلاً الفائدة بعيد التطبيق عملياً . وهذه المجموعة يمكن حصرها تحت عنوان واحد هو : « درس الآثار البشرية القديمة » او تحت عنوان آخر اقرب للفهم وهو : « علم الانسان الاول » . بذلك يمكننا العود الى ما كان عليه الانسان في العصر السابق للتاريخ المكتوب بزمن مديد من مثل كيف كان يعيش ، وماذا كانت ادوات العمل التي اوجدها للاستعانة بها في معيشته ، وانواع المأكل التي كان يتفدى بها ، واية بيئة اقليمية كانت تلائم نموه ، وما هي المدة المقترضة لمدد سني حياته .

كل هذه الشؤون تختص بدراسة الانسان الاول ، وهي بعيدة عن شؤون العالم الحديث ، وتطور السياسة فيه ، ونفوذ شعبه وديني تاريخه . بيد ان عالمنا هذا الحالي قد أسس على ذلك الماضي البعيد المكتشف بالغموض والنسيان ، الشبه بجذيرة في عرض البحر راسخة في عمق المياه على صخر من مرجان متوارٍ عن الانظار .

(١) نبد كدار عجيل عن بحر بيروت عشرة كيلومترات على الطريق العامة ، وثلاثة كيلومترات تقريباً خطأ مستقيماً عن شاطئ البحر القريب من انطلياس . اما المأوى الصخري فهو قسم من الصخور الطباشيرية العالية التابعة للمنطقة الجيولوجية المروفة بالجيراسيك . وترتفع اعلى نقطة من مكان الحفريات ٧٥ متراً فوق سطح البحر (راجع الرسم ١)

ذلك العصر عصر البشرية الاول المتراخي في بعده ، المتناهي في طول مداه ، لا يتناوله الطاب في عهد دراسته الا لماماً ، وبالمساع خاطف ؛ كذلك الرجال المثقفون فانهم لا يفتقرون تماماً ما هي الوسائل المنطقية المستعملة لتسكين الملأ من البلوغ الى نتائج ثابتة تتملى بحياة الانسان الاول واذا ما قرأوا في المجلات والصحف بعض معلومات حول كيان الانسان في العصر الظرفاني استحال عليهم الحكم في ما لهذه المعلومات من قيمة صحيحة ، وغرب عن اذهانهم الاساس الذي يرتكز عليه ما فيها من اخبار . وزبدة القول ان الثقة في مثل هذه المعلومات الصحفية كثيراً ما تكون في غير محلها ، لان قوامها في الاعلب قليل من الحقائق الثابتة ، وكثير من الاعتبارات الوهمية .

في هذا المقال ، ولئن كنت شاعراً بمعجزتي عن تبيان المعلومات الكاملة الممكن القاؤها في سلسلة من الدراسات ، فقد قصدت الجواب عن بعض الاسئلة العامة المتعلقة بالطريقة المتبعة في درس العصر الحجري للانسان .

اني لعالم تماماً ان هذه الاسئلة هي في ذهن كثير من المثقفين ، لانهم كثيراً ما طرحوها علي . وحسي في الجواب ان اظهر الاسلوب الذي يستعمله الدارسون لولوج باب هذه الدراسة . وعلى ذلك سأتخذ حفرياتنا في كاردعيل ، في وادي انطلياس ، مثلاً اول لذلك الاسلوب ، مقدماً بكثير من التفاصيل المعلومات الوافية عن الحفريات التي قننا بها في هذا المكان ، وعن النتائج التي توصلنا الى التثبت منها . فهذا على ظني يناسب القراء اللبنانيين لما يكتسبهم اياه من الاحاطة الوافية العميقة بعمل يقع في داخل حدود بلادهم ، وعاند على ما نطمه الى كشف النقاب عن تاريخها القديم ، وكيف كانت الحياة البشرية فيها لعدة آلاف خلت من السنين . وهو في الوقت نفسه يؤدي الى رفعة قدر الوطن اللبناني وزيادة مجده .

السؤال الاول

... اول سؤال يطرح على فكر كل انسان يتحمل باحد اولئك الملأ هو التالي :
« كيف استدللتم على وجوب الحفر في هذا المكان ؟ »

هذا سؤال جوهري يدل على ذكاء. اذ يبدو جلياً اننا لم نأت للحفر في هذا المكان الا وقد توافرت لدينا الادلة على ان حفرياته ستكون ذات ثمرة ، كما هو البديهي ان المرء لا يقوم على الحفر في مكان دون ما ادلة حية تحمله على ذلك . وللبشارة الحفريات في محلة كسارعتيل قصة طريفة خاصة زورها فتكون بمثابة جواب عن السؤال المتقدم :

من نحو بضع سنين كان احد الناس يطوف الاراضي اللبنانية باحثاً عن الكنوز المخفية التي طالما رددت الالسن الاساطير عن وجودها بكثرة في مغازر الجبل اللبناني . وفي طوافه وصل الى وادي انطلياس فذكر له ان هناك مغارة^١ يتناقل عنها الرواة ان جيشاً دخلها بكامل معداته نددت عليه ، وان مذكرات ذلك الجيش ما زالت مدفونة معه بانتظار من يأتي من التقابين فيظهرها للترد . ولهذا الاسطورة على ما اظن اساس تاريخي يلحق الى قتل فئة من المسيحيين في مغارة انطلياس^٢ . فهذا المنقب عن الكنوز بحث عن المغارة واهتدى اليها ، ولكنه وجدها غاية خالية من اي كثر . على انه لاحظ ان فوق مدخلها نوعاً من الحجارة المتراسة على شكل ممانل لما وجده منها في مكان آخر من الوادي^٣ ، فقادته ذلك الى النظن ان في هذا المكان الآخر مغارة ثانية

(١) اكتشفت في هذه المغارة ادوات ظرائف عديدة جديرة بالذكر (راجع بخصوصها كتاب الاب غودفروي زيمون اليسوعي المنون : *G. Zumoffem, Note sur la découverte de l'homme Quaternaire de la Grotte d'Antélias au Liban*, Beyrouth, 1893 ; - *La Phénicie avant Les Phéniciens*, Beyrouth, 1900

(٢) جاء في تاريخ الدويجي ، المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ ، صفحة ١٥٢ بشأن هذه المغارة ما يلي : n ان عشرة امراء من امراء لبنان هربوا سنة ١٣٠٧ (عند نكبة كسروان المشهورة) بحريهم واولادهم من نائب دمشق اقوش الافرم واحتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة نبيه فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلاء فدفنوا عن نفوسهم ولم يقدر الجيش ان يتال منهم ثم بذلوا لهم الامان فلم يخرجوا فار نائب دمشق بان يشوا على النار سداً من الحجر والكلس وهانوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الاحبر قطلو بك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً حتى هلكوا جميعاً داخل النار .

(٣) هذا الشكل المتراس من الحجارة اثرت فيه عوامل الفناء تحت سطح الارض فاكت من الحجر الطباشيري . ا هو اقل مناعة . اما ترتيب الحجارة المنوء بها على الشكل الذي وجدت عليه فائدة الى تاريخ اكثر حداثة .



الرسم ١ - منظر عام لمنطقة كسار غفيل مأخوذ من الشرق ويبدو في وسط الصورة المقلد الخشب الذي بنته البعثة لسكنها ، وعلى يمين الصخرة العالية التي كانت تكون المأوى الصخري والتي أجريت تحفها الحفر بات .

من نوع الفسادة الاولى . وقد حمله الظن على الشروع في الحفر في النقطة المذكورة ، وهي المدعوة بكسار عقيل فتوصل بحفره الى كشف جدار يدعى في اصطلاح الاتريين : « المأوى المظلل بالصخر » (Abri sous roche) ، وواصل الحفر متعمقاً الى ان مرّ به الاستاذ داي^(١) ، مدرس علم طبقات الارض (الجيولوجيا) في الجامعة الاميركية ببيروت ، فشاهد الادوات الحجرية والعظام المتحجرة التي كانت تنقل مع التراب والحجارة من الحفائر ، وبالرغم من انه لم يكن اختصاصياً في علم تاريخ الانسان الاول فقد تنبه الى خطورة هذه المكشوفات ، وحاول ان يقنع الباحث عن الكنوز بان لا امل بالمثور على كثر ذهبي تحت مثل هذه المظاهر العريقة الراجعة الى عهد لم يكن للانسان فيه ان يعرف بعد شيئاً عما يختص بالمعادن . ولكن بجائتنا هذا قرر مواصلة الحفر لان ملاحظة الاستاذ لم تقنعه وتشبث عزيمته ، بل زادته املًا بالمثور على ما يهوى . واستطرد الانكباب على الصل الى ان بلغ في حفره الى عمق ١٥ متراً . اما الاستاذ داي فحمل معه بعض مساطر من هذه الادوات الحجرية ، والعظام الحيوانية ، وبمّث بها الى اوردية لتفحص هناك بواسطة الخبراء الاختصاصيين وعلى هذا النحو دخلت عملة كسار عقيل في عالم العلم .

اما المقيب عن الكنوز فلم يطل به الامر حتى اوقف العمل ، فاستعاد كسار عقيل هدوه . كما كان بالامس فما قبل منذ آلاف من السنين . وظلّ هذا المدور لا يقلقه مقلق الا من مدة غير بعيدة ، فلقد جاءه في سنة ١٩٢٦ ، بعض العلماء الفرنسيين فقاؤوا ببعض حفريات - طحينة^(٢) . وفي سنة ١٩٣٧ قدم الاب جوزف دوهرتي (Doherty) اليسوعي ، من جامعة يرسن (بوسطن كوليدج) في ولاية ماساشوزت في الولايات المتحدة الاميركية ، باحثاً عما كان مجدياً من الحفريات . فقيل له انه قد يجد في كسار عقيل ما يحقق رغبته . تلك كانت نصيحة العلامة

F. Day, *The rock Shelter of Ksar 'Akil*. American University of Beirut, (١) Special Report, 1924.

Delcourt, *Observations sur l'Abri de Ksar 'Akil (près Antélias, Liban)*, (٢) Bulletin de la Société de Préhistoire Française. Volume 24, 1927, pages 56-61 ;

E. Passernard, *Mission en Syrie et au Liban*, ib., pages 70-72.



الرسم ٣ - منظر للحفريات في عام ١٩٣٨، حينما اكتشف الهيكل البشري الذي سميناه «إكبرت» وتراه في محله على جانب الجدار الصخري في أسفل الرسم من جهة اليسار - وأما الثقب الأسود الذي يبدو في أعلى الرسم فهو راجع إلى حفر البعثة عن الكنوز . وعلى الشمال في أعلى الصورة أيضاً صخرة بيضاء اللون وهي تدل على المنطقة الجيولوجية على عمق ١٠ أمتار، ووجودها يثبت لنا أن الهيكل المكتشف بني عمقاً في محله الذي دفن فيه

الفرنسي المشهور الاب هنري برويل في باريس ، المعروف في عالم المباحث المائدة الى ادوات العمل التي كانت للانسان في عصور ما قبل التاريخ . وكان الاب برويل هذا يعلم كل الطعم ما للبنان مع شأن خطير في هذا الامر وان في كساد عقيل ادوات ظرائية . فحضر الاب دوهرتي ، ومعه الاب جورج ماهان (Mahan) اليسوعي ، والاب جوزف مورفي (Murphy) اللحقان كلاهما بالمهد البايوي للتوراة في القدس ، وشرعوا جميعاً في الحفر . ولحق بهم في الدورة الثانية من الحفريات كاتب هذه السطور الاب يونغ (Ewing) . وفي هذه السنة الجارية ١٩٤٧ خف الصل ولم يبق من العلماء الا الاب دوهرتي والاب يونغ والاب مورفي اليسوعيون ، والاستاذ هربرت ريت (Wright) من جامعة مينوسوتا (Minnesota) في مينياپوليس التابعة للولايات المتحدة الاميركية .

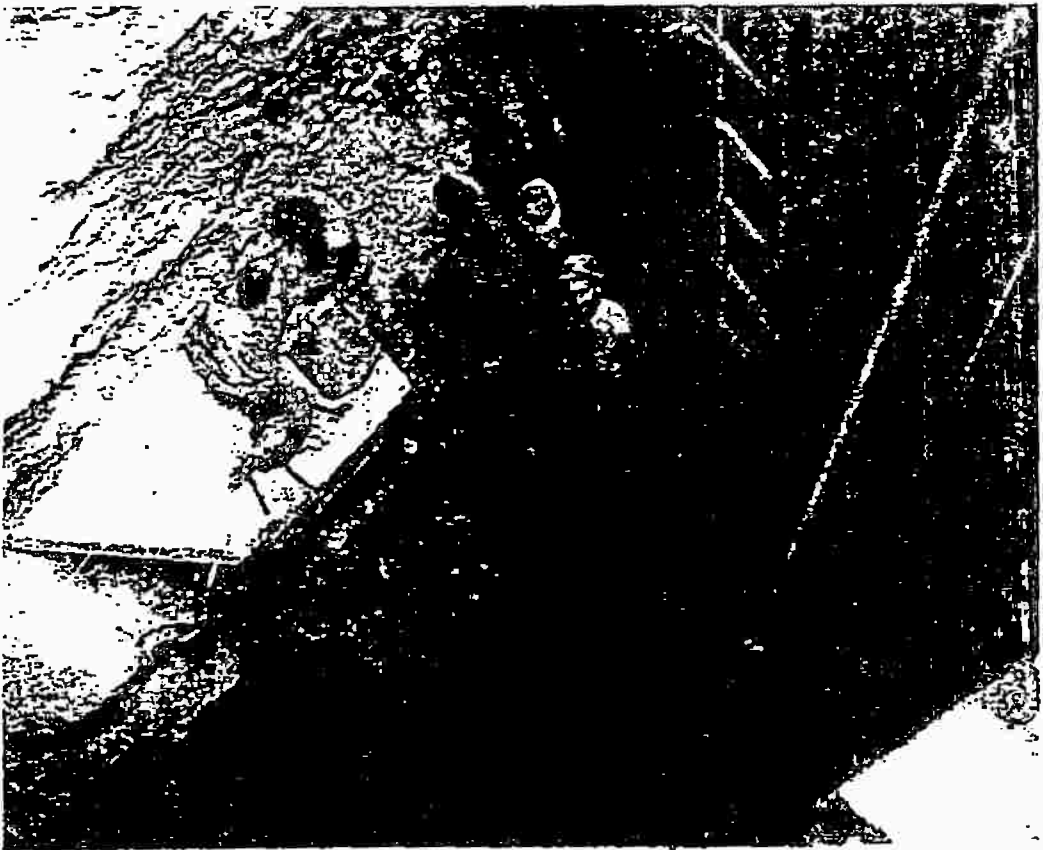
ان الطريق المؤدي الى الكشوف المشرقة ليس دائماً بالطريق الواسع السهل ، على ان هناك دلائل عامة تمكن من تخمين احتمالات توصل الى الاماكن المحتوية على العاديات ، والطرائق العامة للبحث تهدي الى مثل هذه النتائج منها اعتبارات راجعة الى احسن العالم كوجود الماء . اللازم لحياة الناس الاولين ، ثم ان المفاور والمآوي المظلة بالصخور تستحق دائماً ان تكون موضوعاً للبحث . اما فيما يخص الرجل الاول الذي عاش في وسط العهد البلايستوساني (Pléistocène)^١ فالمفاور لا خطورة كبيرة لها لان اكثر محتوياتها ظهر منها في الاماكن المفتوحة ، او الاماكن التي كانت مفتوحة في ذلك العهد قبل ان تطورها الاتربة والحجارة . ولمثل هذه الكشوف حفر وآبار مثل التي عرفت على ضفاف نهر التيس قرب لندن^٢ او يبحث عنها على ضفاف الانهر التي تنحدر تدريجياً

١) عهد البلايستوساني هو المتبر اقدم عهد بشري ، ويدعى ايضاً العهد الثلجي ، وهو آخر الاطوار الميوتوجية قبل عهد الهولوساني الحاضر للانسان . ويقسم العهد البلايستوساني هذا في اربعة الى اربعة اطوار مناسبة لاطوار التثليج وفي غير اربعة ، حيث لم تشمل طريقة الحساب التاريخي الاورينية كما في بلاد الصين ، يقدم هذا العهد اصطلاحاً الى حديث ومتوسط رقديم .

٢) وقد وجد هناك قطعة من الجمجمة المشورة المسماة بام مكتشفها «سوانسكوم مان»
Swanscombe Man» راجع Report on the Swanscombe Skull, *Journal of the Royal Anthropological Institute*, London, Volume 68, 1938, p. 18-98.



الرسم ٣ - صورة مكبرة للقدم الأيمن من أصل الرسم السابق، وهو يظهر الهيكل البشري في محله كما عثر عليه تحت الجدار الصخري .

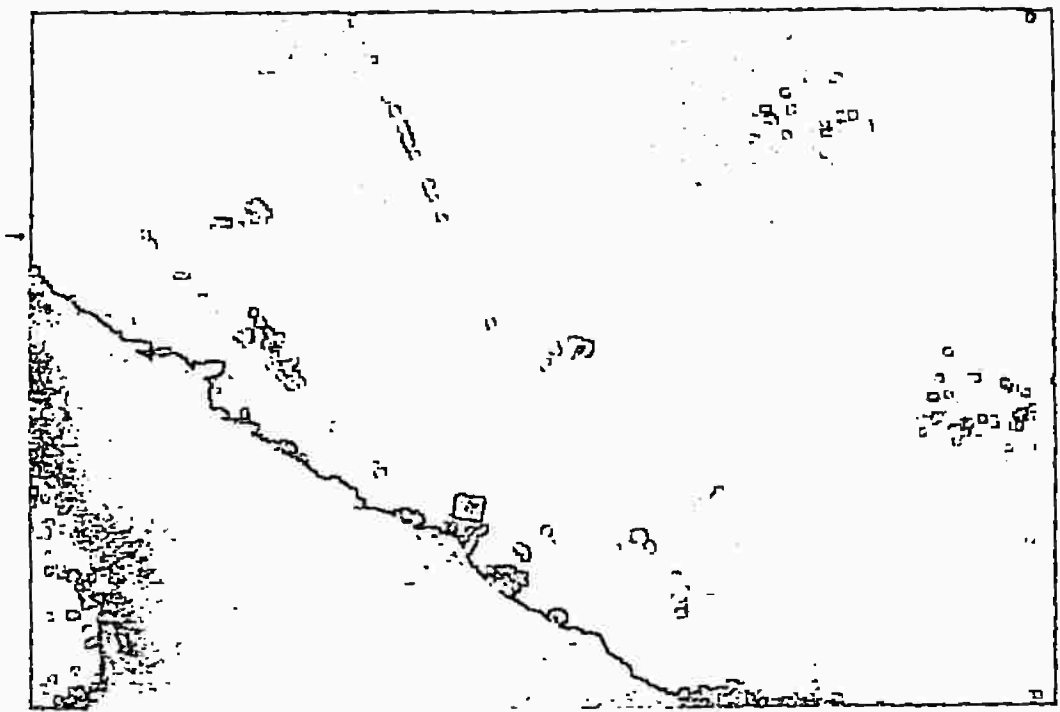


الرسم ٤ - لوحة «الشيستو» التي صُبَّتْ على الهيكل البشري لحفظه في أثناء الحرب، وترى المال يعملون تحت أداة الـ «اب دي» لفطم القطعة بكاملها من الصخرة المجاورة .

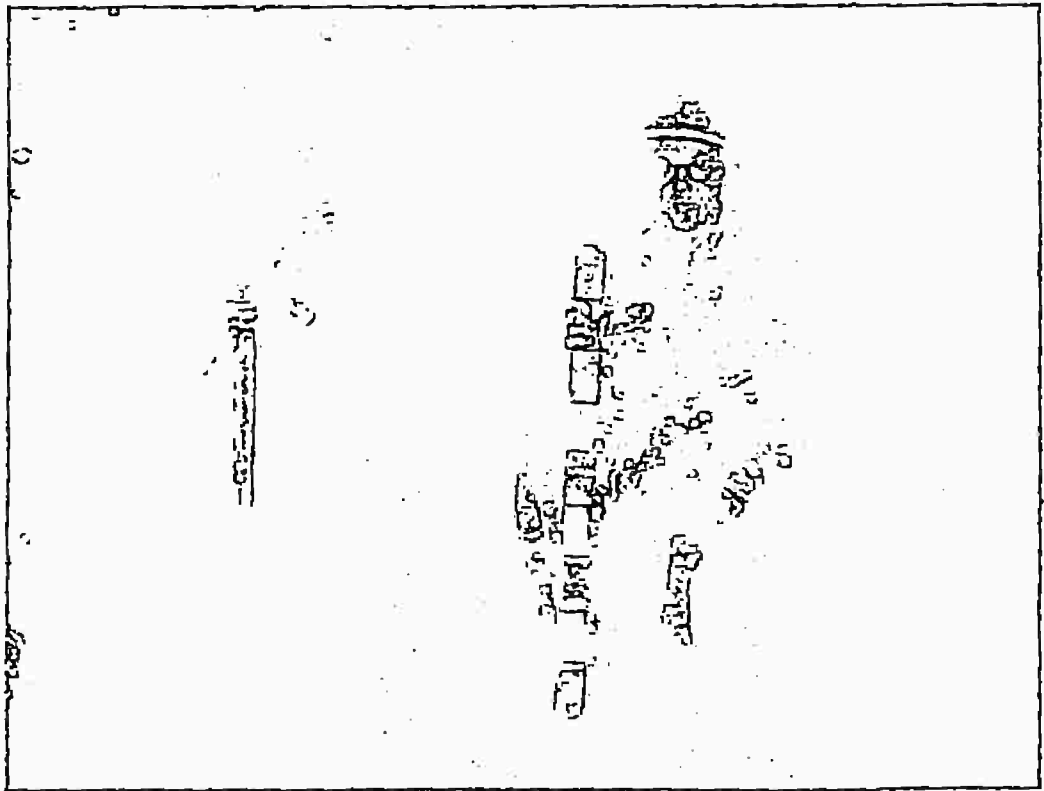
وتسجل الاثرية من الشاطئين^(١) كذلك المناطق الصحراوية فان رياحا تثير الرمال والحصى فتكشف المغابى .

لكن من البديهي ان البحث يجب قصره على المناطق التي كانت موافقة لاعاشة الرجل في العصور القديمة^(٢) . وهناك مصادر بحث غربية تقيّد احياناً كثيرة العلماء البعثين على مثال ما وقع للعلامة الاستاذ فون كونيگفالد (Von Koenigswald) الالماني الذي وجد في بعض الصيدليات الصينية عظماً واستاناً جيولوجية عريقة في القدم جي . بها الى الصيدلية لتسحق ويستعمل مسحوقها في تركيب بعض العقاقير الطبية . ولدى فحص هذه العظام والاسنان توصل الاستاذ كونيگفالد الى كشف الاسنان المشهورة الان بنسبتها الى الرجل الاول المعروف في عالم العلم باسم Gigantipithecus^(٣) . فالكشوف التي يعثر عليها في مثل هذه الطرق تكون ذات خطورة مختلفة ، وزانا هنا في حاجة الى شرح الواقع الاساسي الذي حملنا على اعتماد الحفر في محلة كسار عقيل . هذا الواقع نسميه دافع القرينة ، فبعضه وبتمحيص الطريقة الاثرية التي استعملناها في كسار عقيل ، قنن الاصول العلمية التي حفرتنا واسس التقبذ التي التي قادت خطواتنا الى هذا الاكتشاف .

-
- (١) الاكتشافات القيمة للباكل البشرية التي عثر عليها على ضفاف الاخر نسل الميكل البشري المعروف باسم بيثكانثروبوس (Pithecanthropus) للامام ديبوا (Dubois) ؛ وفي عهد احدث قطعة الميكانثروبوس (Meganthropus) الموصوفة في كتاب F. Weidenreich's : *Giant Early Man from Java and South China Anthropological Papers of the American Museum of Natural History, New York, Volume 40, Part 1, 1945.*
 - (٢) العاديات الجميلة المائدة الى العصر الظرفي الحديث النيولونيك (Néolithique) كُشفت في النجوم بمر في منطقة هي الان صحراوية . G. Caton-Thompson and E. W. Gardner, *The Desert Fayum*, London, 1934 ; S. A. Huzayin, *The place of Egypt in Prehistory*, Cairo, 1941
 - (٣) راجع وصفه في كتاب : F. Weidenreich, *Giant Early Man From Java and South China, Anthropological Papers of the American Museum of Natural History, New-York, Volume 40, Part 1, 1945.*



الرسم ٥ - حالة الخفريات في تموز ١٩٦٧ ، وقد بلغت الـ المسحرة الاساسية على مدى ٢٣ متراً .



الرسم ٦ - صورة الاب برونغ من جامعة برستون ، والى جانبه رئيس عمال البنائي .

معنى القرية المحلية

من زمن طويل جداً اوى الرجل الأول الى هذا المأوى المظلل بالصخر المعروف الآن بكسار عقيل . وهناك تحت هذه المظلة الصخرية سكن واشمل ناره لثي لحوم الحيوانات التي كان يقتنصها ويأتي بها الى مأواه هذا . وبعد اكل هذه اللحوم كان يكسر العظام المستطيلة ويستخرج ما فيها من نخاعات جامدة وسائلة ، وكان يأتي ايضاً بججر من الصوان قطعه من احد الصخور القريبة واقبل على نخته بعزاة ليكمل منه اسلحة وادوات ظرائية كالرؤوس للحراب والسهام ، وكالمقشط لنحت قوائم الحراب الحشوية وصقلا ، كذلك لكشط اللحوم اللاحقة بالجلود ، والسكاكين لقطع مختلف الحاجات المعاشية ، والازاميل لكسر العظام ولنقش الرسوم في القطع العظمية والحجرية .

ان الرجل الاول كان يصنع هذه الادوات وغيرها من الصوان بفضل خصائص هذا الحجر المعروفة ، فانه بسبب صلابته يحفظ حده طويلاً دون ما انشلال ، وهو في الوقت نفسه قابل للتكييف طبقاً للطلبات .

فهذه الادوات ، مع الشظايا المتناثرة من الحجر الصواني عند صنمها ، كانت تقع في الارض فتأتي الحول والافذار المنقولة بالارجل ، والصار الذي يثيرة الهواء ، فتطيرها . كذلك كانت قطع من الصخور المظلمة للمأوى تتساقط وتنضم الى تلك الشظايا تتوأم كلها طبقة على شكل بساط ممتد على الحضيض الحجري .^(١) وبعد مرور زمن كانت الطريقة التي تصنع بموجبها الادوات الظرائية اخذت تتطور ومع تقلب الهواء الذي كان يهب شديداً في بعض الاجيان كانت الحجارة تتساقط من سقف المأوى تارة كثيرة وطوراً قليلة ؛ كذلك كانت اجناس الحيوانات القاطنة هناك تتبدل على توالي الاجيال . فكل تلك التطورات تظهر آثارها في هذه الانقاض المفروشة طبقة فوق طبقة في تلك المحلة

(١) راجع ما كتب من خاصة الصوان والطرق المستعملة لصنع الادوات من في اخر .

الاول من كتاب M. C. Burkitt's . The old stone Age Cambridge, 1933

مُشابهة في شكلها ركائماً من السجايد كما تبدو في مخزن من مخازن تجار اليرم، منها الصفيق والرفيع الناعم واحشن، وقد رصت بعضها فوق بعض . ومن البديهي ان السجادة السفلى فرشت اولاً والعلية هي المفروشة اخيراً . ذلك ما يريده العلماء . تماماً حين يذكرون ناموس تراصف العاديات . هو اعتبار بسيط ، ولكنه اساس وصفي لكل طريقة تتبع في الاعمال الحفرية . فن الواضح اذن اننا متى قفنا بالحفر بطريقة علمية في مكان ، وغابتنا التوصل الى رسم صورة جديدة لتاريخ الرجل الاول ، يترتب علينا الانحفر دون ما تميز فنخلط بين العاديات التي نمر عليها على اختلاف طبقاتها . فقابتنا من هذا البحث ان نتأكد بالتدقيق اي شكل من الادوات الطرائية المكشوفة سبق الشكل الآخر . واي نوع من الحيوانات ظهر في زمن معين ، واي نوع تبعه . فلذلك كل اهمية هذه العاديات من حجارة او عظام سواء كانت تابعة لحيوان او لآدمي هي محصورة في عين العالم الاثري بمعرفة الطبقة الارضية التي وجدت فيها ، والمكان الذي استخرجت منه ، وما اذا كان لها شأن ملحوظ من جهتي الفن والطرافة ، « القرينة المحلية » او « القرينة المصدر »

الحفر الصلي

قبل مباشرة الحفر يدرس العالم بقعة الارض التي يريد العمل فيها بكل ما أوتي من خبرة وعلم سابق ، ثم متى اتم تحديد النقطة التي ينوي العمل فيها باشر قسمها الى مربعات مرقومة باعداد ، لكل مربع عدده ، حتى يمكنه العود اليه في قابل الحين ، فينسب كل اثر الى مصدره « الدقيق » . ففي كساد عقيل قسمنا البقعة الى مربعات عرض كل منها متران ، باعتبار ان هذا الحجم موافق لمرضنا . وقد تكون هذه المربعات اكبر مما فعلنا كما جرى الاحر في جنيل . حيث كانت البقعة اوفر اتساعاً ، فكانت المربعات يؤولف كل منها من عشرة امتار ولدى الشور على شي . ذي خطورة عظمى كان موقه يحدد بارفر دقة . ومن البديهي ان تجاور المراد الاثرية يجب ان يدرك لان ذلك كثيراً ما يساعد على كشف بعض الفراض ، مثال ذلك المقعد الذي وجد مؤخراً في كساد عقيل فان ملكه

كان قد فني ، ولكن الطبقات بقيت منظومة بعضها الى جانب بعض ، فلو لم يشر عند اخذها الى الترتيب الذي وجدت عليه ، ويؤخذ رسمها شمسياً لاستحال اعادتها الى الشكل الذي ظهرت عليه في موقعها .

كذلك اذا وجدنا حجراً مستديراً ملوناً بلون المفرة الحمراء ، فن المحتمل ان يكون قد استعمل لسطح هذه المادة فبقي لونها عليه . واذا كان هذا الحجر المستدير موضوعاً فوق حجر آخر او الى جانب حجر مربع اجزب فيكون ذلك الاحتمال حقيقة لا شك فيها . فكل هذه الاوصاف الدقيقة المتواصلة يستنتج منها العالم البعثة كثيراً من المعلومات . والصبر هو الصفة الاولى الواجب عليه الاتصاف بها في هذا العلم كما في غيره من العلوم ، وهي كثيرة .

بعد البحث عن القرائن السطحية ينتقل العالم الى القرائن الصودية . ويتعم عليه ان يقدر في الحفر الى اي عمق تعود مختلف طبقات العاديات . ولربما وصل الى مرغوبه باكثر سهولة فيما اذا باشر الحفريات من جانب بدلاً من ان يتزل فيها عودياً ، ولذلك فانه يباشر الحفر الى جانب البقعة كما يسهل عليه فحص طبقاتها ، ويتمكن من النظر اليها كما ينظر من جانب الى دكام السجاجيد المرسوفة . ولم يكن من حاجة في كسار عليل الى مثل هذه الطريقة بسبب وجود البئر الفرعية التي حفرها الباحث عن الكنوز في هذا الموضع . والذي ظهر ان هذه الطبقات المتراصة لم تكن في ترتيب منظم كدكام السجاجيد ، لان في ارضها صعوداً وهبوطاً مناسبين لتعرجات الارض عند سطحها او لاختلاف اذوات الرجل الاول في اختيار منزله .

وذ على ذلك ان في كسار عليل طبقات ارضية كثيراً ما كانت مطبورة بالرماد الناتج عن نيران كانت تشعل في تلك المعلة ، وتترك الى ان تنطفئ . ويبدأ من ذات نفسها . كل ذلك لا يفوت الحفارين لانهم يكونون عادة من ذوي المران ، ويتمون اعلمهم تحت اشراف عالم اثري فقدام يميزون من عند انفسهم بين طبقات العاديات الارضية المختلفة ، كما في اعلاه ، ويتبنون بكل امانة وتدقيق تصاميم المربعات .

والجدير هنا بالذكر اننا توقفنا كثيراً في اختيار المهال الذين يقومون بالحفر

في كسار عقيل فانهم من اللبنانيين المهرة الاذكياء . وكثيراً ما اثبت عليهم في احاديثي وكتاباتي مبدئياً الارتياح الى دقتهم ونشاطهم وبراعتهم .

فالحفاريون يضمنون الادوات الظرانية والعظام التي ينقلونها . في اكياس من الورق . وترقم على كل كيس علامة المربع والطبقة الترابية وتاريخ اليوم ، وغير ذلك من المعلومات الاخرى المفيدة بهذا الصدد .

وكل ما يحفر من الارض يجمع ويبأ في قفص ويرفع الى سطح الارض حيث يجري فحصه غربلة . والغربة تكون بفرز التراب والاقذار وتنقية القطع الصوانية والعظمية بها دق حجماً ، ووضعها في اكياس مرقومة تقاتل بارقامها اكياس الحفارين . ويكتسب الحفاريون بالمزاولة مهارة جلي في ملاحظة ما يعثرون عليه بين التراب من قطع الاسنان والصوان المتناهية في دقتها .

وفي اغلب الاحيان يرى ضرورياً تنظيف هذه القطع من التربة اللاصقة بها قبل ان تعرض للدرس . ويكفي لذلك عادة حامض الميدروكلوريك (*acide chlorhydrique*) ممزوجاً بالماء ، والا فليجأ الى الكشط ، واهياناً يكون الكشط ضرورياً ويجري بكشط غليظ على مثال السكين .

ويجري الفرز الاول في القطع الظرانية والعظام . اما الكسر الصغيرة والقطع المكتشفة بالايمام فتحصى بالعدد وتطرح خارجاً . ويمكننا عدد مجموع القطع المحفوظة والمطروحة في كل مربع من تخمين كثافة السكان الاقدمين في كسار عقيل ، في كل زمن من الازمنة الفاربة . وهذه على ما اعلم الحفريات الاولى التي تستعمل فيها مثل هذه الطريقة .

اما الدرس الاخير للقطع المفروزة فينبغي ان يجري في متحف كبير او في احدى الجامعات حيث المجموعات الواسعة من العظام والمواد الظرانية المجموعة من مناطق اخرى مختلفة ، فيقابل ضرورة فيما بينها وتستخرج من هذه المقابلة النتائج العلمية ، اذ لا يمكن ان يجمع في كتاب كل التفاصيل لكل من النواحي والاجناس والادوات والبقايا الحيوانية التي يعثر عليها .

اما كسار عقيل فعلاوة على ما فيه من ملايين القطع تراه مسرعاً لمشاكل اخرى خاصة ، احداها الميكلان البشريان المكتشفان على عمق ١١ و ١٢ متراً .

فاننا عند بلوغنا الى هذا العمق في مربع قريب من جدار المأوى المظلل بالصخر شاهداً عدداً من الحجارة المستغرقة الوضع . فهي حجارة منعمة بتأثير مرور المياه عليها ، مما يدل على انها مأخوذة بأيدي بشرية من مجرى النهر القريب ، فآخذنا لها صوراً شمسية ودوناً بشأنها ملحوظة خاصة أشرنا فيها الى جمها مباشرة من جدار المأوى . ولقد كانت هذه الحجارة ملتصقة بعضها ببعض كما لو كانت طينت باليسير . وقد تم ذلك الالتصاق بما تسرب اليها على طوال الاجيال من المياه المعدنية الحاملة بالخصوص مركبات الكليوم (كيونات الكليوم) التي اكتسبتها بمرورها على صخور المأوى الكلسية . فشرعنا برفع هذا الركام من الحجارة واحداً بعد آخر حتى انتهينا الى هيكلين بشريين احدهما اوضح شكلاً .

وقد سلم راسه لانه على ما يظهر كان محفوظاً تحت بلاطة يسندها من الجانبين حجران . ولكن هذه البلاطة سقطت لسبب لا نعرفه فشوت جانباً من حجمته تشويهاً بسيطاً لحسن الحفظ .

ولما رفعت كل هذه الحجارة من المدفن تبين لنا ان القم الاكبر من هذين الهيكلين قد تحجر . والتحق كلاهما بالارض التي دفنا فيها بمائل المياه الكلسية المشروح عنها آنفاً .

وهذا المزيج المتحجر من التراب والحجارة والعظام الذي يظهر عادة في الحفريات يسمى باصطلاح الاثريين بريتشيا (Breccia) . وهذا حيث وجد في هذا المحل او في اسفل المأوى او غيره من المواقع بكون مشكلة خاصة لارباب الحفريات .

ولما كان هذا الهيكل العظمي لاصقاً بما حوله من الصخور فلم يكن من المتيسر رفعه بسهولة من موضعه . وعلى ذلك كان لا بد من ان يقطع الصخر حول المدفن كله ليسهل رفع هذا المدفن قطعة واحدة . ويرجأ عمل فصل الهيكل الدقيق ريثما ينقل الحجر برمته الى المخبر . أما في غير ذلك من المدافن فلا

(١) اطلقنا على هذا الهيكل البشري الاكثر وضوحاً اسم « اكبرت » (Egbert) ، فاصبح معروفاً بين بين العلماء . وقد فضلناه بسبب ايجازه على غيره من الاسماء اللاتينية التي اعتاد العلماء اطلاقها على ما يكتشفون من الهياكل البشرية وكل منها تاء في الطول والتعقد .

صعوبة في رفع العظام من الارض التي وجدت فيها .
وعلى ذلك فلا بد من تحقيق عدة شروط لحفظ الهيكل من كل ما يضره . من ذلك صيانتة ، حال كونه ، من تأثير المراه ، ونتائج تقلب الطقس بين النشوة والرطوبة ، فان تريضه للهواء يعمل على افساده ويسبب له التحلل والتفتت .

اما البقايا البشرية العائدة الى العصور القديمة الالوية مثل العصر البلايستوساني الاوسط فقلما يثر على هيكل كامل منها ، فنكتفي عادة بعظم واحد او بكسرة منه لدراسة مثل هذه البقايا . وهذه الدراسة تستوجب علماً واسعاً وخبرة طويلة في علم التشريح .

بقي علينا ان نثبت بالتدقيق ما هي العصور العائدة اليها كشفنا في كسار عقيل ، على ان يجثنا هذا ليس نهائياً بل من الممكن تعديله فيما بعد " ، لاننا لا ننجز الحفريات تماماً ولا نقوم على الخصوص بدراس النمودجات التي استخرجناها دراسة مستوعبة لان مثل هذه الدراسة تتطلب سنين عديدة .

كسار عقيل في ما قبل التاريخ

لا يخفى ان العلم المختص بالادوات الظرائية وغيرها مما صنعه الانسان قبل فجر التاريخ المخطوط ، يسمى " علم ما قبل التاريخ " وهذا العلم يقدم الزمن الى عصور عديدة طويلة المدى اخصها العصر الذي عاش فيه الانسان على الارض قبل استنباط الكتابة . فالعصر الاول والاطول من هذه العصور ، هو المعروف بالعصر الظرائي القديم او الباليوليتيك ، يليه العصر الظرائي المتوسط او المتوليتيك ثم العصر الظرائي الحديث او النيوليتيك .
وبعد هذه العصور الحجرية تأتي عصور اكتشاف المعادن ولكن ليس من شأننا هنا الاهتمام بهذه العصور الاحداث عهداً .

(١) قد اشار كاتب هذه السطور الى كل ذلك في مقال آخر نشره في مجلة انكليزية عنوانه : Preliminary Note on the Excavations at the Palaeolithic Site of Ksar: 'Akil, (Republic of Lebanon), Antiquity, London, December 1946 .

ولكنه زاد هنا النتائج الجديدة التي اسفرت عنها الحفريات الجديدة في السنة ١٩٤٧

اما العصر الطراني القديم او الباليوليتيك^(١) فيقدم بدوره الى ثلاثة اطوار : حديث ومتوسط وقديم . فاذا عدنا الى الادوات الطرانية الظاهرة في كسار عقيل وجدنا انها عائدة الى كلا القسمين : القسم الابعد من الطور المتوسط ، والاحداث من الطور القديم الباليوليتيكي .

وقد غلب على مثل هذه الادوات في الاصطلاح الاثري اسم المكان او الامكنة الاولى التي وجدت فيها بكثرة مثل : لفالوا ، وموستيه ، واورينيالك ، (Levallois, Moustier, Aurignac).

ومن خصائص الصناعة الشربية في هذه الاطوار انها كانت سطحية ، اي ان اكثر الادوات المعاشية كانت تصنع من قطع مصفحة من الحجارة الصوانية . وطريقة صنعها انها كانت تقطع من الصخرة العريضة الاصلية وفق المطلب ثم تنحت مصقولة اما من قبل ذلك فكانت هذه الادوات تنحت على القطعة الاصلية نفسها ، فتأتي بشكل في غاية الثقل والضخامة . وقد سميت بالفرنسية (coup de poing) اي ضربة اللكمة او الضربة بجمع الكف ، اشارة الى شكلها الضخم المستدير كاللكمة .

الطور الطراني المعروف باسم موستيه Moustier^(٢)

كان الاقوام الذين اشتغلوا بالظان في هذا الطور يوصلون القطع المصفحة من اصل صخرة صوانية وينحتونها بمهارة من جهتها العليا . والادوات المنحوتة على هذا النحو سهلة التمييز عن غيرها ، ونخص منها بالذكر الكواشط المرققة بطولها من طرف واحد كحد السكين ، ثم المخارز والاسطوانات الصغيرة

(١) ربما كان احسن ترجمة لدرس العصر الحجري القديم او الباليوليتيك كتاب بيركيتز M. C. Burkitt's, *The Old Stone Age*, Cambridge, 1933 وان كان يحتاج الى قليل من التعديل طبعا للاكتشافات الحديثة . ونخص بالذكر من المؤلفات المشتهة على هذا العلم كتاب :

A. Vayson de Pradenne, *La Préhistoire*, Paris, 1940.

(٢) موستيه (Moustier) اسم بلدة من اعمال فرنسا قريبة من (Les Fyziès).

الغليظة الشكل وكان هؤلاء الاقوام من الجنس البشرى المنتمى الى الرجل المعروف بالنياندرتالي (Homme Néandertal) ^(١).

اما الاقوام الذين اتبعوا في اعمالهم الظرائية طريقة Levallois ^(٢) فقد كانوا ينحتون القطعة المراد صنعها في الصخر نفسه ، حتى اذا اكملت واصبحت صالحة للعمل فصلوها عنه بضربة فنية واحدة . والجدير بالذكر انهم كانوا يجيدون نحت اعقاب هذه الادوات قبل ان يضربوها الضربة الفاصلة الاخيرة ، لانها بعد فصلها تصبح غير محتاجة لاي صقل او نحت .

وان اقدم ما عثرنا عليه في كمار عقيل من الصناعات البشرية يعود الى خليط من هتين الطريقتين السابق وصفها ، لذلك سميت هذه الصناعة هنا ، كما سميت في جبل الكرمل ^(٣) بهذا الاسم المركب Levallois - Mousterien . وادوات هذه المجموعة كبيرة الشكل مكونة بالعموم من قطع مصفحة غليظة . ويلاحظ هنا ان ادوات هذه الصناعة كانت في عهدها الاقدام اصغر حجماً مما آلت اليه بعد حين في طور احدث .

وطالت المدة التي بقيت فيها هذه الصناعة اجيالاً . ومما هو جدير بالذكر المشور على طور انتقال من هذه الطريقة الى طريقة اخرى تعرف بالطور الاورينيائي « Aurignac » .

(١) وقد وصفه الامتاذ بول في كتابه المتبر مستنداً حقيقاً بالثقة لدى العلماء : Boule, l'Homme Fossile وهو المنشور لأول مرة في سنة ١٩٢٣ ، وقد اعيد طبعه مرة اخرى احدث عهداً .

(٢) اسم منطقة في احدى ضواحي باريس وجدت فيها هذه الصناعة لأول مرة فاطلق اسمها عليها .

(٣) D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, The Stone Age of Mount Carmel, Volume 1, Oxford, 1937.

١) طريقة اورينياك

اننا نطلق هذا الاسم بالعموم على الطور التابع للطور الذي سبق لنا وصفه في اكتشافاتنا بكسار عقيل، وهو قسبان ويتميز بالخصوص بصناعة الشار الحجرية لكثرة ما يعثر في الحفريات المائد عهدا اليه على ادوات شبيهة بشمار السكاكين . كذلك يتميز عقده المتوسط على وجه خاص بما تحلّف منه من اصناف الكراشط المتقنة الصناعة ، ومن الازاميل المستعملة للنحت . فلهذه الازاميل رؤوس تشبه مفكات البراغي وكان الاهلون في ذاك الوقت يستعملونها ، ولا شك ، في فلق العظام الحيوانية لاستخراج ما فيها من النخاعات . وكانوا ايضا يفسلون بها قطعاً دقيقة من العظام الكبيرة ليحولوها الى ادوات منزلية تستعمل في مختلف الاغراض المعاشية كالمخارز والابر وما شاكل . وكانوا ايضا ينتشون بها على جدران المغاور الرسوم والتعارير .

ونرى الان ان في استطاعتنا تسمية نوع الصناعات المكتشفة في كسار عقيل باسمها الصحيح الذي يحوز بعدئذٍ نسبه الى الصناعات المماثلة التي تظهر في حفريات اخرى ، ولا يعني ذلك اننا لا نعثر على بعض الاستثناءات الجلية حين تقابل ما بين نموذجات هذه الصناعات . فهذه الفروق ستبدو باكثر جلاء عند انتهاء دراستنا في نشرتنا الاخيرة عنها ، ويمكننا منذ الان لفت الانتظار الى بعض نقاطها المفيدة . فالادوات الراحمة الى شكل واحد والتي تؤلف طريقة خاصة من الصناعة القديمة ، تجمع على الطريقة نفسها التي يجري عليها علماء الحيوان في تقسيم عائلاته واجناسه وانواعه ، وذلك بالاستناد الى الإشابهات الظاهرة ما بينها . ولذلك حين نتمكن في عملنا من تمييز شكل من الادوات يصبح من السهل علينا فرز ما يشبهه من الارض ونسبته اليه ، بان نعلم ان هذا او ذاك الشكل من الصناعة موجود في بقعة كذا من الارض . ومثل هذه الادوات تستعمل في المتاحف كنموذجات لكل شكل من الاشكال . وعلى هذا تقتصر فائدتنا من كشف مثل هذا الشكل في احد الحقول . كذلك يمكن القول ان كشف شكل معين من الادوات الظرفانية في طبقة من طبقات الحفريات لا

(١) اورينياك Aurignac اسم بلدة قرب سان غرندنس (St Gaudens) في جبال الپيرنه بفرنسا .

يعتبر كافياً للاستدلال على الزمن^{١١} الذي يعود اليه ذلك الشكل. اذ قد يصح ان تبقى احدى طرق الصناعة الادوات في مكان ما دهرًا طويلاً في حين تكون هي نفسها قد تقدمت وتبدلت بغيرها من الطرق في مكان آخر . مثال ذلك في ايماننا اجمال وجود البنادق القديمة ذات الزناد الصواني (ابو قنيل) في وسط افريقية حتى الان ، في حين ليس من يجهل ان هذه البنادق قد تبدلت منذ زمن طويل في اوروبا والشرق الادنى .

ولكي نثقل من جديد حياة الانسان القديم امثرنا الى خطورة القرائن المصدرية في هذا الامر ، ذلك لاننا بدون هذه القرائن لا يمكننا البتة ان نصل الى الترتيب التاريخي . تصور مثلاً ماذا يكون للعلم من دقة فيما اذا كان المؤرخ لا يعلم عن بعض الوقائع التاريخية في شرقنا هذا الا انها حصلت منذ وقت قديم دون معرفته اياها سبق الآخرواي حدث منها كان ذا تأثير في غيره . فالترتيب التاريخي الذي نحدده في كل من حفرياتنا هو ترتيب نسبي مكاني . اعني اننا نعلم او نحدد ترتيب الحوادث وسياقتها الواحد بعد الآخر كصناعة الادوات مثلاً في كل حفرة من الحفريات على حدة . ولا يمكننا الاستدلال من ذلك على مدى الزمن الذي بقي فيه ذلك الشكل من الادوات الصناعية منتشراً في جميع المناطق بل في المنطقة التي نصل فيها . وهذا يجعل المقابلة بين مختلف المناطق امراً ضرورياً . مع ذلك اذا تيسر لنا كشف حادث جيولوجي جرى في زمن واحد ضمن منطقة واحدة معينة وامكناً قياس زمنه الجيولوجي بالسنين نكون قد توصلنا الى تحديد تاريخي شبه راسخ لارتكازه على شواهد جيولوجية . فلا يمكن القول بترتيب تاريخي جازم الا اذا امكن ضبطه تماماً بمقاييس السنين .

(١) وقد قسم العالم غارود D. A. E. Garrod, *the Upper Paleolithic in the Light of Recent Discovery*, Proceedings of the Prehistoric Society of London, Vol. IV 1938, pages 1-36 الحديث منه ودعاها : الحديث منه ودعاها : العصر الاورينيائي القديم الى ثلاثة اطوار : الحديث منه ودعاها : العصر الاورينيائي القديم ، والقديم منها Gravetien والتوسط واحتفظ له باسم الاورينيائي القديم ، والقديم منها وهي اسما . منسوبة الى امكنة اجريت فيها حفريات مشهورة . واما في كسار عتيل فتعود حفرياتنا الى Chatelperronien فقط ، ولكننا استعملنا كلمة Aurignacien وهي كناية لثابتنا .

وعلى كل فلا يحق لنا الجزم بان هذه الصناعة او تلك انتقلت من هذه الناحية الى غيرها ، الا اذا تأكدنا تميز المنطقة التي ظهرت فيها بادي ذي بدو . وكيف تنقلت بعد ذلك وهذه لمعري نقطة اساسية لان تمثيل تتابع الصناعات وتطورها في منطقة معينة هو ذو خطورة كهى لمؤرخ العاديات ، بل هو من اختصاصيات علمه . ولكنه يحتاج الى كثير غير ذلك ، اذ من النادر ان تكون اداة من الادوات ، وطريقة من الطرق ، او فكرة من الافكار ، قد تطورت في مناطق مختلفة مع استقلال احداها عن الاخرى . والذي حصل في اغلب الاحوال هو ان الحديد الذي استنبت في مركز ما كان يتد وينتقل الى غيره الآهل بالاقوام المجاورة . وهؤلاء الجيران كانوا بدورهم ينتقلونه الى سواهم بعد ان يدخلوا عليه بعض التعديل والتحسين^(١) . فمرفة مثل هذه العلاقات المتبادلة بين مختلف المناطق والشعوب هي غاية الباحثين عن حوادث ما قبل التاريخ ، كما ان مؤرخ الرجل المصري لا يكتفي بمراد كل حادث من الحوادث باطناب وتدقيق ، بل يسمى وراء . كشف المؤثرات الاجتماعية ، ويتناول يبحث العلاقات المتبادلة بين الدول والجماعات ، ميتاً تسلسلها بعضها من بعض وماذا كانت عللها الاولى ونتائجها الاخيرة .

ولنعد اخيراً الى موضوع الادوات المستخرجة من كسار عجيل فترى من واجبتنا القول اننا اكتشفنا بين الادوات المائدة الى طور الاورينيانيان بخارذ من العظم كانت ، على بساطتها ، يواذر لما تبهما من اشياء كثيرة الخطورة تفوقها اتقاناً وجالاً بالنسبة الى مثيلاتها من مكتشفات الطور الباليولينكي (اي الطراني القديم) المكتشفة في اوربة .

في هذا الطور نفسه ، استخرجت الحجارة المستديرة التي كانت تستعمل لسحق المادة الترابية الحمراء المروفة بالمغرة ، ولا يُحتمل ان تكون هذه المادة الحمراء قد استعملت لتغير التجيل ، وذلك بطلي بشرة الوجه بها كما لا يزال دارجاً حتى الان عند بعض الشعوب الابتدائية . ولسوء الحظ لم نجد شيئاً من

(١) راجع الدرس التيمم الذي كتبه الاستاذ كروبر عن مثل هذا الانتشار في كتاب
المسي «انثروپولوجي» . A. Kroeber, *Anthropology*, New-York, 1932 .

الآثار الفنية في كسار عقيل . اما في اوربة فتخصص هذه الآثار بالطور الاخر من العصر الباليوليتيكي القديم والتصاوير والرسوم المستخرجة هناك وجدت في اعماق المغاور .

درس العظام الأوربية في كسار عقيل

لا تشكل العظام الأثرية المستخرجة من كسار عقيل القسم الاهم من العاديات التي عُثر عليها في ارضه . ولكن دراستها ذات فائدة جزئية . فهناك مظهران خطيران للحياة الحيوانية القديمة في بلادنا يسترعيان النظر . الاول عثورنا على عدد ليس بقليل يناهز الالف من اصداغ الحلزون الصغير ، اي البزاق^(١) ، في عمق يهبط قليلاً عن الطبقة التي وجد فيها الهيكلان البشريان . ثم انقطعت هذه الاصداغ بصورة فجائية جازمة . والذي يرجع في تفسير ذلك ان شعوب الطور الاورينياني في انطلياس كانوا يتغذون بالبزاق بكثرة بينما كان غيرهم من الشعوب ، ومنهم النياندرتال العائدين الى طور «ليفالوا موستريان» لا يعرفون هذه العادة اي عادة التغذي بالبزاق .

فوجود هذه الاصداغ يؤدي الى نتائج ذات اهمية في ترتيب ازمة الصناعات في كسار عقيل . وهكذا ينال البزاق الحقير اهمية خطيرة في العصور السابقة للتاريخ . المظهر الثاني ، الذي يفوق المظهر الاول خطورة ، هو التغير الكبير الذي نشهده حالاً في الحفريات على عمق ١٦ متراً ، اذ عثرنا هناك على بقايا عظام الحيوان المعروف بوحيد القرن مع غيره من عظام حيوانات تصعب معرفتها^(٢) ، تعود الفرق بين ما كان عليه لبنان سابقاً وكيف اصبح الان خصوصاً في اثناء الصيف ،

(١) هذه الاصداغ مكونة خاصة من جنس الحلبيكس (Helix) وهو جنس من الحلزون يشابه تماماً جنس البزاق الذي نأكله نحن اليوم . وهناك عدد كبير من جنس الباتلا (Patella) والتروكوس (Trochus) وكلاهما من الجفرا الآتي عن شاطئ البحر .

(٢) هذا الحيوان الوحيد القرن الذي اسمه من بيت Bate في حفريات جبل الكرمل باسم : Rhinoceros cf. hemitocchus يختلف في كل حال عن وحيد القرن البارد المكتشف في اوربا في العهد البليوسيني . واما غيره من الحيوانات المكتشفة معه في كسار عقيل فهي الضبع الكبيرة Hyana crocuta والجاموس Bubalus وعدد كبير من الحيوانات الصغيرة مثل Arvicolinae و Cricetinae

الفصل الحار الثامن ، فان هذه الحيوانات الوحيدة القرن لو كانت لا تزال باقية لما استطاعت العيش الان في منطقة انطلياس . واتنا فعلم من الابحاث التي اجريت في مناطق اخرى اننا في ابتداء الطور الاخير للعصر التاجي في اوربة نجد تغييراً عاماً في جنس الحيوانات^(١) التي كانت تقطن هناك ، ونشاهد ما يماثل ذلك في جوار جبل الكرمل^(٢) . وهذا يساعدنا على وصل طبقات حفرياتنا بطبقات سائر المناطق التي كانت عرضة لمثل هذا التغيير . ونسود الى متابعة هذا البحث في موضع آخر .

وتذكر الآن ان البقايا العظمية التي عُثر عليها في كدار عقيل تعود الى الحيوانات التي تزكّل ، اعني الحيوانات التي كان الانسان القديم بصطادها ثم ينقلها الى منزله للاقتيات بلحمها .

وهنا عامل جديد يحدو الى التمييز بان ميل السكان في هذه المنطقة الى الطعام كان يتراوح بين البراق ولحوم الحيوانات مع ذلك يمكننا التاكيد ان الحيوانات التي يُعثر على بقاياها بكثرة في احدى طبقات حفرياتنا كانت تقطن بكثرة في هذه المنطقة في ذاك الزمان . وبعض تلك الحيوانات كالايائل مثلاً تفضل المناخ الرطب حيث الجبال والادوية المغطاة بالامابات . اما غيرها مثل الثرلان فتفضل الصحارى والبراري^(٣) . فبما كاننا اذن ان نحصى بقايا هذه العظام الحيوانية فنستنتج ان تملب جنس منها على آخر كيف كانت حالة المناخ في

(١) راجع : F. E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1946, p. 229

(٢) راجع : F. E. Zeuner, *op. cit.* : and D.A.E. Garrod and D.M.A. Barr, راجع :

The Stone Age of Mount Carmel, Vol. 1, Oxford, 1937, p. 155 155

(٣) وما عُثرنا عليه كثيراً في حفرياتنا بقايا الايائل *Dama mesopotamica* كذلك الايل الاحمر المروف باسم *Capreolus capreolus* والمزى *Capra sp.* فهذان الاخيران مع الثرلان *Gazella sp.* يكثر عددها في الطبقات الحفرية الاحدث عهداً . واما الثغبر البري *Sus scrofa* والبقر فيكثر عددها كلما عمقنا في الحفر واجتدنا عن التاريخ ، واما غير ذلك من الحيوانات فيعثر عليها بصورة نادرة مثل عظام الدب الاسمر الصغير *Ursus arctos* ، ومن عائد الى فهد *Panthera pardus* كذلك العظام المائدة الى الثعلب *Vulpes sp.*

ذلك الوقت . وهذا العمل قد أجري بنجاح باهر في حفريات جبل الكرمل^(١) واملنا ان نخصص مثل هذا الدرس بالحيوانات المكتشفة في كسار عقيل ، وان نستنتج منها حقائق علمية ثابتة ، واطرح هذه الحيوانات عدد كبير من الايائل والمغزى والفزلان والحخزير البري والبقر ، وعدد قليل من الدب الاسمر والثعالب والجاموس والضبع من الجنس الضخم الخ . . .

والخدير بالذكر اننا لم نجد في كسار عقيل اثرًا للسك . ويستنتج من ذلك - ألا اذا ظهر ما يفيد الخلاف - ان سكان كسار عقيل الاقدمين لم يكونوا من العيادين ، ولا من اكلة السمك ، الا اذا كانوا ياكاون السمك على شاطئ البحر دون ان ياتوا به الى منازلهم في النقطة الجاري الحفر فيها . وهذا الامر يبدو لنا غريباً لانهم لم يتأخروا عن نقل الاحصاف البحرية اليها ، فكيف اغضوا عن نقل الاسماك .

ومعلوم ان العلماء اهتموا في الازمان المتأخرة الى طريقة جديدة لفحص مثل هذه الشؤون تكاد لا تمدو الحقيقة وقد اسموها « طريقة فحص الطاع » (والطلع هو الثمار الذي تلقح به الازهار بعضها من بعض) .

هذا الطلع الواقع في الارض من النباتات والاشجار منذ آلاف السنين يفحص ويحدد به جنس الاشجار الذي كان ينشئه في ذلك العهد ، وتحدد ايضاً كثافتها بطريقة ذات حساب يكاد لا يختلف عن الحساب المستعمل اليوم في فحص الدم في مخابر مستشفياتنا^(٢) .

هذه الطريقة افادتنا كثيراً في مكتشفات شمالي اوربة ، وربما تكون ايضاً ذات فائدة في مكتشفات كسار عقيل . ولكن الاحوال هنا لم تكن تساعد على حفظ الطلع ، كما كانت تساعد في اقطار اوربة الشمالية ، ولا يسعنا الا انتظار نتيجة الفحص الجاري الآن حتى يمكننا الحكم .

D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, (١)
Vol. 1, p. 141 - 2.

G. Erdman, *An Introduction to Pollen Analysis*, Waltham, Mass., 1943 (٢)

البقايا البشرية في كمار غفيل

سبق لنا ان تحدثنا عن كشف الهيكلين البشريين في مكان لا اثر فيه لمدفن خاص لهما . فانهما وُجدا في ارض تحوات الى حجر بفعول تراب المياه الكلية اليها . واذ كنا حتى الآن لم نتمكن من فصلها عن موقتهما الجبري، كان من المتعذر علينا ان نثبت شيئاً عنها سوى القول انها وجدت . ومع ذلك ، بما ان جمجمة واحدة منها وجدت خارجة في قسم منها عن المنطقة الجبرية ، فهذه يمكننا أن نبيدي بشأنها بعض الملحوظات^(١) .

هذه الجمجمة لفتى كان حين وفاته في نحو الثامنة من عمره ، نستنتج ذلك من حالة اسنانه ، فان العمر المتوسط للانسان عند فتان هذا العصر معروف . ويجوز لنا القول ان هذا العمر لم يتغير كثيراً عن عمر الفتان في تلك المهدد المريقة في القدم . اما القحف الدماغية فيه فيشابه تماماً في الحجم والشكل وكثافة العظم الاتحاف امثاله في انسان هذا العصر .

والهيكل يعود الى شكل الرجل المعروف عند العلماء الاثنيين باسم « الرجل العاقل » (Homo Sapiens) ، اما اسنانه فأكبر مما توجد عادة عند امثاله من الاطفال المعاصرين وفي فككه الاسفل شيء من الغلاظة ؛ ونحذاه . مهما دقت في البحث يظهران غير موجردين . كذلك لم نمثر على الانحدار الخلفي الذي يلاحظ في قمة الوجنة في جنس الانسان النياندرتالي ، وانما وجنته قائمة بصورة عمودية مع استواء كاصفحة . وهذا لا ريب من اخض ملامح الاقدمين ، على انه يوجد بعض الاوقات حتى بين افراد عصرنا الحالي^(٢) .

وبما ان هذين الهيكلين يعودان الى صدر الطور البشري الارينياني

(١) راجع ما كتبه المؤلف عن ذلك في مقاله : Aurignacian Man in Syria : (Abstract), *American Journal of Physical Anthropology*, New Series, Volume 4, 1946, pages 252 - 3.

(٢) نجد امثال ذلك الشكل عند امالي كاليدونيا الجديدة New-Caledonia وقد خصص له الاستاذ ساراكن درسا في كتابه :

F. Sarasin, *Atlas zur Anthropologie der Neu - Caledonier und Loyalty - Insulaner*, Berlin, 1922.

مباشرةً بعد الطور قالوا ، «موسيه» الذي يت بالصلة الى اقوام النياندرتال ، وبما ان هناك مظاهر واضحة لتابعة الصناعة العائدة الى طور قالوا - موسيه في الطور الاورينيا-ي ، فينجم عن ذلك ان لهذه البقايا المكتشفة عندنا خطورة عظيمة . ومن المحتمل ان نجد هناك ايضاً اختلاطاً في شكل الانسان في ذلك العهد ، كما وجد هذا الاختلاط في عصر اكثر قدماً في حفريات جبل الكرمل .^(١) وعلى كل فلهذين الهيكلين خطورة كبرى لانهما اول الموجود من نوعهما من العصر الاورينيا-ي في الشرق الادنى .

ميولوجية كسار عجيل^(٢)

لقد ميزنا عدة طبقات جيولوجية في ارض كسار عجيل : منها ما يعرف بلونه الاحمر ، ومنها بصلابته الدلانية ، ومنها برمله ، ومنها بحصاه . ولا نذكر هذه التفاصيل رغبة منا في معالجة علم الجيولوجية ، ولكن لان الارضات الجيولوجية تستطيع ان تساعدنا ، وهي في الواقع تساعدنا على فهم الاحوال الجوية خاصة ، التي تقلب فيها تاريخ الانسان القديم في كسار عجيل . ولا سيما لانها تمكنا من وضع اركان الترتيب التاريخي المعروف « بالكرونولوجية » او علم تقويم الازمنة .

وانما مع غض النظر عن الظواهرات الجيولوجية المفيدة بذاتها ، وان تكن غير مهمة ، لا بدنا الا الاشارة الا ثلاث كتل او مناطق ارضية ، وهي جوهرية فيما يخص معارفنا الحالية للترتيب التاريخي (الكرونولوجية) في كسار عجيل .

وزبدة القول ان تلك المناطق هي عبارة عن طبقة او طبقتين من الدلفان

(١) راجع : A. Keith and T. Mc. Cown, *The Stone Age of Mount Carmel*, Volume II, Oxford, 1939

(٢) رجه الاستاذ هربرت رايت (Herbert E. Wright العالم) الميولوجي التابع لبعثتنا العلمية الجيولوجية الينا بعض ملاحظات قال فيها : ان الركبات المكتشفة في كسار عجيل ترجع باجمها الى العصر الثلجي الاخير . ويتطلب هذا الرأي بحثاً اوسع ومقابلات مع القرائن للتوصل الى نتيجة ثابتة لتقدير الزمن الجيولوجي في المنطقة المجاورة لكسار عجيل .

اللزج ، والحصى الصغيرة الحشنة وتحتها بساط من الدلائل الاحمر الصافي صفاء ، يكاد يكون تاماً .

وهذه المناطق تمثل «الاطوار المطيرة» . وذلك يحتاج الى بعض الايضاح . في شمالي اوربة ، في زمن رسوب الطبقات التي ذكرناها ، ظهر راس جبل جليدي جبار ما لبث ان زحف من الشمال يقدم مرةً ويحجم اخرى ، وفي حركاته هذه كانت العواصف الهوجاء تطوقه وتهب منه في ذهابه وايابه . وفي غضوننا على بعد الوف الايام ، في لبنان ، كانت الانواء تتأثر بجنايل الراس الجليدي فتحدث الشرفة طوراً والرطوبة تارةً ، فسميت ايام الرطوبة تلك «الايام المطيرة» (Pluvial periods)^{١)}

فكل من التشكيلات الجيولوجية التي ذكرناها كانت تتكون في طور من «الاطوار المطيرة» . فاذا صح كلامنا هذا - وكل عالم جيولوجي يزدر كسار عقيل يوافق على ان تشكيلاته الجيولوجية تمت في الطور الرطب - امكنتنا ان تربط بالاطوار المطيرة زحفات الجليد الثلاث التي حدثت في العهد الاقرب زماناً منا ، ومن ثم تيسر لنا ان نطبق على الشرق الادنى نواميس ترتيب الازمنة الذي وضعه الاوربيون وطبقوه على مثل تلك الظواهر التي وقعت في بلادهم في مثل العصر الذي نحن باحثره الان في بلادنا .

وها نحن للمرة الاولى يمكننا التحقق باننا نتمثل الاصطلاحات التاريخية الجيولوجية ذاتها ، المتعملة على السواء في كسار عقيل في العهد الظراني الاول ، وفي اوربة في الامكنة المناسبة له قديماً . وان كل موضع في الشرق الادنى مجاور لكسار عقيل ، وله معه تناسب جيولوجي ، يناسب واياه في رتبة واحدة على جدول الازمنة الجيولوجية التاريخية المعروف بمجدول ترتيب الازمنة او الكرونولوجيا . هذا اهم ما يجب ان نستدعي اليه الانتظار فيما خص كسار عقيل عند درسا الانسان الاول .

(١) نظن ان الحجارة الصغيرة في مناطق الخفريات الكبيرة وقعت من مغف الأوى الصخري تحت تأثير العوامل الطبيعية لاسيما الرطوبة الشديدة ، وربما ايضاً تأثير التبلور . واما اللون الاحمر فهو ناتج عن تحول الراسب الكلسية في المكان نفسه ، فاحا بنحوها تركت المركبات الحديدية وغيرها من المواد في محلها ، فظهرت بهذا اللون الاحمر .

ترتيب الازمنة التاريخية لكسار عقيل

آني استطيع تبيان العلاقات بين الجيولوجية وترتيب الازمنة في عاديات كسار عقيل ، وذلك على سبيل المحاولة والتخمين والترجيح ، مستنداً الى مختلف الادلة المأخوذة من المكان نفسه او من غيره من الامكنة . ان ترتيب الزمان بالضبط الكامل مع تاريخ السنين لامر جدّ عسير ، ومهما بذل فيه من عنا . فلا يتعدى حدّ الافتراض . قال الاستاذ ف . ١٠ زوينر^(١) ، من احدث العلماء عصرًا : قد يكون بدأ عمران كسار عقيل من نحو ١٢٥ ٠٠٠ سنة ، وان اصبحت في ظني كان الزمن الذي استغرقه عمر تلك الطبقات القائمة في كسار عقيل ، لا يقل عن الزمن الذي حدث فيه آخر تجمّد في شمالي اوربة .

ومع ذلك فان تقويم زوينر هذا عرضة للنقاش والجدل مع غيره من العلماء ، ولست ابني الدخول وايامهم في مناظرة حول هذا الموضوع في مقالي هذا . وغاية ما اريد مجته هنا انما هو تاريخ السنين النسبي ، ويوجه خاص الترتيب الزمني الجيولوجي مع مراعاة الوقت الذي برزت فيه الحيوانات الى عالم الحياة ، واعتبار ما يؤدبه لنا علم ما وراء التاريخ وعلم الجيولوجية من معلومات وفوائد . فيغلب على ظني ان طبقتنا هذه تكونت ردًا لقوى الزحفات الثلاث التي حدثت في الطور الجليدي الاخير في اوربة .

والزحفة الاولى او الابتدائية قد تكون حدثت عندما تشكلت طبقة كسار عقيل السنلي ، وموقعها في عمق ١٥ الى ١٦ مترًا تحت سطح الارض . اما الثانية فقد تأتي معاصرة للطبقة الواقعة على عمق ١٠ امتار .

وتكون الثالثة معاصرة للطبقة الواقعة على عمق متر و ٥٠ سنتيمترًا^(٢) . ولم نأت بهذه الاقوال الا من باب الحدس والرجحان اذ لا يسعنا التأكيد . كما اننا نشك في ان مدة ما من الزمن انقضت بين زحف الجليد وحدث «الطور المطير»

(١) راجع : F.E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1945, e. g. page 145 and id., *The Pleistocene period*, London, 1944.

(٢) حسب تقدير العالم زوينر Zeuner المذكور تعود هذه الطبقات الى ١١٥ الف سنة ٢٢ الف سنة و ٢٢ الف سنة .

في لبنان ، وليس من يعرف كم كانت تلك المدة . ولكن ، ونحن في معالجة العهد الحجري القديم ، نفترض مقاييس الزمان فضفاضة على خلاف التاريخ المصري الذي يضبط الزمان محددًا بالسنين والشهور والأيام . اما نحن ، معشر الباحثين عن حال الانسان القديم ، فلا بد لنا من الاكتفاء بتقويمنا الزمني على علاقته ولو اضمنا منه الوف السنين . هذا ولا بد من ان نتحقق من اننا ندرس التطورات في نواحي الصناعة والفن المتصلة بالحياة الاجتماعية . وهذه تطلبت زمانًا أكثر طولًا ، وقد تحركت مجرعات ابطنًا جدًا بما حدث مع امثالها في عالمنا المصري . عهدئذ اي في العهد الظراني الاول لم يكن المذبايح ، ولم تكن الطيارات ، مما يوذي الى سرعة التواصل في الافكار والى استعمال وقوع الحوادث .

ما نعرفه عن الانسان القديم

لقد بحثنا معيشة الانسان القديم والاساليب العملية في درس بقاياه ، وامعنا النظر في كيفية الوقائع المختصة به وبتملك البقايا . ومن البديهي اننا كلما تقربنا بالزمان الى الانسان المصري اتسع المجال لاكتشافاتنا وتعلمياتنا عن انسان العصر الحجري الاقدم ، وقلنا اننا نستطيع ان نعين له موضعًا ما ثابتًا في احد اطوار الزمان . ويمكننا بكل سهولة ان نقرر في اي جوة عاش في مختلف اطوار حياته ، وان نعرف الكثير من اغذيته وقد ترداد معرفتنا مع تكرار الحفريات بما كان لديه من آلات .

هذا وقد المعنا في بحثنا السابق حول موضوع التراب الحديدي ، الى عادات الشعوب غير المتحضرة ، وهي تساعدنا اليوم ، على ان نعرف اكيذا كيف كان الاقدمون يستخدمون بعض الاشياء والآلات وربما قدمت لنا الاثنولوجية ، وهي علم عادات الانسان ، المادة اللازمة لابرار الحكم في هذه الامور تارة عن يقين تام ، وطورًا على سبيل التكهن والتخمين .

ولقد ترداد حاجتنا الى التيقيد بهذه القيود في ما نبخه من الاحداث المتتاربة من عهد التاريخ المكتوب .

اما في العهد الحجري القديم فلا تزال اشياء كثيرة غير التي ذكرناها لا يعرف شيء من احوالها ، ويعتبرها العلماء سراً مطلقاً . وليس بين ايدينا حتى الآن ما يقتض لنا مفهوماتها او يظهر امامنا طريقة احتمالها حتى في الامس القريب منا .

وبينا انا اخط هذه الاضطراب ، وجدنا في كسار عقيل قرني بقر لم يبق منها الا اصلاهما ، مع قطعة من جمجمة ملتصقة بكل منها . وقد وجد الواحد بجانب الآخر وكأنهما صنعا لغاية ما ، ولكن مها قلت الآن عنها فلا يعدو قولي ان يكون ضرباً من التكهّن والتخمين .

وهناك اشياء لا يمكننا حل رموزها . واشياء اخر لم نعتد قط على اثر لها . مثال ذلك القول اليس من المستحيل ان يكون الانسان قضى الاطوار القديمة لتدنه دون ان يفكر في صنع بضع آلات خشبية ، ولو قدرنا انه صنعها افا تكون مع مرور الايام قد بليت وعفا اثرها . واذا صح قولنا هذا في الاشياء المادية فكيف يكون صحيحاً في الشؤون المعنوية . مما لا تزال نجهل امره كالنظام الاجتماعي ، ومبادئ العدالة ، وطرق التفكير وغير ذلك .

تلك هي العناصر الهامة التي تبين الفرق الجوهري بين الانسان والحيران غير الناطق .

ومع ذلك ، يمكننا بقليل من الحصافة وكثير من المعرفة ، ان نقبّس من درجة اتقان الشغل في الآلات بصيصاً من النور حول صناعة العامل ، وباستطاعتنا ، ونحن عائدون الى الازمنة السوالف ، ان نتكهن عن نشأة النظام الاجتماعي ، ونقابل بين البلاد الآهلة والبلاد غير الآهلة ، ومن ذلك نستنتج عقلياً ان الدفن عن سابق تصميم معناه بعض الاعتقاد بحياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا . وان آثار الانسان القديم تشهد مباشرة ببلوغه درجة من الصناعة والفن في محطة من الزمن يمكن الاشارة اليها . وان هذه الحالة ، على ما فيها من صناعة وفن ، لا تؤدي الى ادلة تستدعي اليقين فيما يختص بغير انواع من العادات ، لان تلك الآثار لم تشمل الا تمثيلاً ضئيلاً في مكتشفاتنا . والبرهان على ذلك ان بعض القبائل في يومنا هذا لم تبلغ بعد من الرقي الصناعي والفني

الدرجة حقيرة جداً ، ومع ذلك فقد تموج فيها مجاري افكار سامية مثلاً فيما يخص طبيعة الله^١.

وان رجال العلم لا يجراءون على الاشادة بنظرياتهم فيما يخص الانسان الاول ، كما لو كانت هذه النظريات ثابتة لا جدل في صحتها ، وهم مجمعون عن الخوض في بحث الامور العائدة الى ما وراء التاريخ ، فيترصرون ولا ينطقون الا بالفطنة ، والعاقل يميز في ما يعرفه معرفة الترجيح او اليقين .

الخام

اكل حكاية مفزاها وحكاية الانسان الاول مفزى . اتنى للقراء ان بقدر ما يقتضيه مثل هذا الدرس من دقة وتمب ، وان يتخطوا ذلك فينظروا بهين الاحترام الى الانسان الاول ، والى البقايا التي تشهد بصنع يده . فاذا برز شي منها مثلاً في حفر اساس لبناء بيت ، اصبح من الواجب عليهم ابلاغ الامر حالاً الى دائرة الآثار مقدمين لها المعلومات الكافية السريعة عن حالة الموضع وعمقه وطبيعة ارضه وتاريخ اليوم الذي حصل فيه الاكتشاف . ان آثار الزمان الغابر جديرة بان يحفظها الجيل الحاضر . انها ثمينة في نظر رجال العلم ، وثمينة بذاتها لا من حيث هي تحف من روائع المتاحف ولا من حيث تقديرها بالذهب الاصفر الزمان ، ولكن من حيث انها مواد يتبع بظهورها ميدان المعرفة عن الانسان القديم وتاريخه . هذا وان البحث في الانسان بذاته ، بعد البحث في طبيعة الله وتدييره ، لأعلى من ان تقدر قيمته .

(١) راجع كتاب العلامة الاب شيد عن ظهور اول تفكير بالله : Wilhelm Schmidt.

Die Ursprung des Gottesidee.

وثائق تاريخية عن حلب

في القرن الثامن عشر

(١) عدد السكان (٢) الفرامات (٣) التراجمة

بقلم الاب فردنان نونل اليسومي

سيكون هذا المقال وسيله ، ان شاء الله ، فاتحة لسلسلة ثالثة نتبع ما نشرناه في المشرق (١٩٤٠-١٩٤١) وقد طبع على حدة في مجلدين الاول عن يومية البخاش والحوادث المتصلة بها في منتصف القرن التاسع عشر والثاني عن منظومة الشيخ ابي الرقاء الرقاعي في اولياء حلب المسلمين .
ويتألف من هذه السلسلة الجديدة مجلد ثالث من « الوثائق » نرجو ان يستقبله الادباء وعلماء القراء الكرام بالرضى والارتياح كالكتابين السابقين .

(١) عدد سكانه حلب في القرن الثامن عشر

ان العلامة سوثاجه الفرنسي في الكتاب الجليل الذي وضعه عن حلب^١ وساهمت بنشره الجمعية العلمية للنقوش والاداب سنة ١٩٤١ ابدى تدقيقاً لم يسبقه اليه غيره في وصف التطور الذي حدث في الشهباء ، منذ تأسيسها في القرن العشرين قبل المسيح الى منتصف القرن التاسع عشر بعده .
ليست غاييتي ان اعرف الى القراء هذا المؤلف الخطير الا اني قرأت في الصفحة ٢٣٨ من المجلد الاول منه حاشية (رقها ١٠٨) في عدد سكان المدينة في القرن الثامن عشر فاردت ان اقتطف منها اهمها واضيف اليه بعض تعليقات عثرت عليها في اثناء مطالعاتي في دار الكتب المارونية في حلب

١) J. Sauvaget, Directeur d'Etudes à l'Ecole Pratique des Hautes-Etudes, (Sorbonne): ALEP, Essai sur le développement d'une grande ville syrienne des origines au milieu du XIX^e siècle, I^{er} Volume : Texte, II^{er} Volume : Album. Petit in ٨°. Paris, Geuthner, 1941 .

فيكون ذلك تكملة لما حرره العلامة سقاجه يتفكه به بحبر المطامسة من اخواننا الشرقيين عامة ومن مواطنينا الحليين خاصة.

قال : ذهب الرواد الاوروبيون شتى المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب فتخاربت اقوالهم وتباينت احصاءاتهم . وذكرت لائحة باسمائهم انتخبت منها اولئك الذين تكلموا في العهد الذي يسمونه امريه وهي هذه :

دارفيو قنصل فرنسة في حلب سنة ١٦٧٩ قدر عدد سكانها استناداً على عدد المصاييح التي تضاء في بيوتها فكانت ١٣٣٦٠ مصباحاً .

شيلينجر في سفرة اليها سنة ١٧٢٧ قدر سكانها بمتي الف نسمة .

ميلر سنة ١٧٣٥ قدرهم بنحو مئة الف

اوثر سنة ١٧٤٨ عدد البيوت الا الحانات والمدارس وغيرها فقدّرناها بأربعة عشر الف بيت .

فولكه سافر الى سورية ومصر سنة ١٧٨٣ و ١٧٨٤ و ١٧٨٥ و كتب عن حلب فاحصى سكانها فكانوا مئة الف .

البارون دي طوط سنة ١٧٨٤ قدر عددهم بمئة وخمسين ألفاً .

تايلور في رحلته الى الهند بطريق الصحراء الكبرى سنة ١٧٨٩ مرّ بحلب وعدّ سكانها فكانوا سبعين ألفاً .

ديثيزين قنصل انكلترة في حلب قدر سكانها سنة ١٧٩٣ بستة وثلاثين ألفاً .

روسل في كتابه عن تاريخ حلب الطبيعي المطبوع في لندن سنة ١٧٩٤ حسبهم مئتين وخمسة وثلاثين ألفاً .

وختم العلامة سقاجه كلامه فقال ان احصاء دارفيو دون غيره هو وحده حقيق فان يعتمد عليه .

واننا في اثناء مراجعتنا سجل الوفيات من ٢٦ لـ ٢ سنة ١٧٣٣ الى ١٤ لـ ٢٦ سنة ١٧٦٤ المحفوظ في خزانة آثار الطائفة المارونية المذكورة سابقاً عثرنا

على وثيقة باسم القس انطون صقر جاء فيها احصاء البلدة استناداً الى اربع حجج :

- ١ : نسبة عدد ابناء الطوائف الى ما يترتب عليها من الضرائب .
- ٢ : التقدير اخذاً عن اقوال الارروبيين الموجودين في البلد آنذاك .
- ٣ : تخمين عدد السكان من كمية الحبز او الطحين المطلوبة يومياً لاعاشتهم .

٤ : المقابلة بين عدد الاموات نسبة الى الاحياء . في مختلف الطوائف على مدى السنة الواحدة .

فجاء الاحصاء مستنداً الى قواعد ثابتة تمكنتنا من تقدير سكان حلب في منتصف القرن الثامن عشر بثلاث مئة الف نسمة .

ولم نستطع ان نعرف من هو القس انطون صقر محرر الاحصاء . فلهذا كان من الكهنة اللبنايين الذين كانوا يأتون الى حلب لخدمة الرعية ولا يزال سجل الطائفة المارونية في حلب يحفظ اسما . عدد غير قليل منهم . وكان يدور بالتورية مع المطران جبرائيل حوشب لزيارة الرعية . وترك حابات سنذكرها وهي غير مضبوطة . ولعل السبب في عدم ضبطها اما المؤلف ذاته " واما ناسخه واما طريقة توزيع التذاكر فان ذاك التوزيع لم يكن يجري بالنسبة الى الاحصاء على الاطلاق . كان يضرب مثلاً على كل مئة شخص من ابناء الطائفة عدد خاص من التذاكر الملزمة بدفع المال الاميري المطلوب ولكن كان يتنازل فقط من ابناءها القادرين على الدفع عن انفسهم وربما كلفوا الدفع عن غيرهم من الفقراء ومن ثم حصل التفاوت في تناسب بين عدد التذاكر وعدد ابناء الطائفة وبين القراريط المذكورة كما سقى . وليس في ذلك عظيم اهمية فيما يخص موضوعنا مادامت النتيجة واضحة صحيحة . مثال ذلك مشكل حساب غلظت في عملياته ومع ذلك بلغت الى حله الصوابي . واليك الوثيقة على علاقتها :

« يوجد بمدينة حلب نحو ثلاث كرات^(١) وثلاث من البشر منهم ثلاث كرات مسلمين ومنهم ثلاثين الف نصارى ومنهم اربعة آلاف يهود وايضاح ذلك هذا هو :

(١) ان بعض الارقام يتبها الكاتب بخط يشبه ذيل الهاء فرناه بكلمة [تقريباً]

(٢) الكرة : مئة الف

اولاً من خصوص عدة انفار النصارى في سنة ١١٥٣ هجرة الموافقة الى سنة ١٧٤٠ مسيحية ادعوا طايقة الموارنة على طايقة الروم امام حضرة احمد باشي الدوزكلي والي حلب وامام حضرة الملا حاكم الشريعة وقالوا بدعواهم ان الترامات العرفية التي تنزل على النصارى القاطنين بحلب يوزعها طايقة الروم على طايقتنا باعتبار خمسة قراريط ونصف قيراط ويصير لنا بسبب ذلك غدر . وزيد الآن ان توزع الترامات العرفية التي تنزل بعد اليوم على الاربع طوايف النصارى بحسب الروس [كذا وهو يريد عدد الاشخاص] فحكم لهم حضرة الدير وحضرة الملا المحترمين بذلك وامروا ان يراجع دفتر الجزية لاجل اخذ عدد روس كل طايقة من الطوايف الاربعة لبيان ما يلحق كل طايقة منها باعتبار الروس فلحق طايقة الموارنة بعدد اعتبار روسهم بتوجب دفتر الجزية قيراطان وثلاثا قيراط لكون عدة روسهم باعتبار تذاكر الجزية تسماية تذكرة ولحق طايقة السريان بعدد اعتبار روسهم ثلاثة قراريط وثلاث قيراط لكون عدة تذاكر جزيتهم الف ومائة وثلاثون تذكرة . ولحق طايقة الارمن باعتبار عدد روسهم ستة قراريط لكون عدة تذاكر جزيتهم الفين وثلاثون تذكرة . ولحق طايقة الروم بعدد اعتبار روسهم اثنا عشر قيراطاً لكون عدة تذاكر جزيتهم اربعة آلاف وستين تذكرة . من المعلوم ان رئيس كل طايقة يترتب عليه ان يؤدي عن طائفته المال المضروب بموجب عدد التذاكر . وهذه التذاكر توزع على ابناء الطائفة والتي منهم يؤدي المال عن الفقير .

طايقة الموارنة قيراط عدد	٢	تذاكر عدد	٩٠٠	نفر	٣٠٠٠
طايقة السريان قيراط عدد	٣	تذاكر عدد	١١٣٠	نفر	٣٧٥٠
طايقة الارمن قيراط عدد	٦	تذاكر عدد	٢٠٣٠	نفر	١٧٥٠
طايقة الروم قيراط عدد	١٣	تذاكر عدد	٤٠٦٠	نفر	١٣٥٠٠
٢٤ قيراط		٨١١٠ ^{١)}			٢٧٠٠٠

« يكون لحق كل قيراط ثلاثية وثمانية وثلاثين تذكرة ٣٣٨ [تقريباً] »

ثم انا الحقيير القسيس انطون صقر تلك السنة عينها اي سنة ١٧٤٠ ضبط [يريد ضبطت] انفار الموارنة حين كنا دايرين بجميع النورية فطلعوا ثلاثة آلاف وثلاثة وثلاثين نفر منهم دكورا الف وخمماية وواحد ومنهم اثاث الف وخمماية واثنين وثلاثين نفر فيكون خلق كل قدياط من قراريط الموارنة الف ومائة وخمسة وعشرين الف^١ .

» فلي هذا التياس يكون السريان ثلاثة آلاف وسبماية وخمسين نفر .
ريكونوا الارمن مئة آلاف وسبماية وخمسين نفر ويكونوا الروم ثلاثة عشر الف وخمماية نفر .

الموارنة انفار عدد ٣٠٠٠

السريان انفار عدد ٣٧٥٠

الارمن انفار عدد ٦٧٥٠

الروم انفار عدد ١٣٥٠٠

٢٧٠٠٠

» ويوجد ايضاً بحلب نصارى عربية منهم اناس مزوجين بحلب والباقي غرباء مسافرين^٢ وهم خارجين عن حساب عدد النصارى الذين اخرجوه من دفتر الجزية وهو نحو ثلاثة آلاف نفر فيكون جملة النصارى الموجودين بحلب كبار وصغار رجال ونسا نحو ثلاثين الف .

» ثم نقول من خصوص عدد انفار اليهود فعلى موجب كلام وكلامهم انهم الف ومائتين واربعين تذكرة فعلى موجب حسابنا هذا يكونوا ثلاثة قراريط وثلاثين قدياط ويكونوا اربعة آلاف ومائة وثلاثين نفر لان ييلحق كل قدياط تذكرة ٣٣٨ [تقريباً ؟] وييلحق كل قدياط انفار ١١٣٥ [تقريباً ؟] .

» ثم نقول من جهة عدة انفار المسلمين

» قد استدلينا على عدة انفار البشر الموجودين بمدينة حلب من ثلاثة اوجه

(١) ١١٣٥٠٠٠ لم استطع ان اتين صحة هذا العدد .

(٢) قال كامل النزي في خر الذهب ٣ ص ٢٩٨ : في ١١٥٣ كانت القتالة من الانكليز في حلب فكان لهم فيها قتل عشرة تجار وقيس وكاتب اسرار وطبيب .

« الوجه الاول وهو قد يوجد مجلب ناس من طائفة الافرنج معلمين بصناعة الهندسة وممارسين على تقدير عن البشر من بلادهم فقدسروا البشر الموجودين بمدينة حلب انهم نحو ثلاث كرات وثلاث .

والوجه الثاني هو قاطية البلد من الخنطة لان قاطية البلد كل يوم خمسين مكوك^١ خنطة والذي يياكلوا الخبز من السوق فهم اقل من ثلث البشر الموجودين مجلب . والباقي هم الذين اكثر من الثلثين الذي يتدونا الخنطة فعلى هذا القياس تكون قاطية البلد كل يوم مكوك ١٦٤ مائة واربعة وستين التي تكون شبل ٢٦٢٤ وقدردنا كل شبل ارطال ٢٤ فيكون طحين ارطال ٦٢٩٧٦ وحسبنا كل رطل طحين يطلع رطل واربع اواق خبز فتكون جملة ارطال الخبز ٨٣٩٦٨ ثم قدرنا ان كل انسان يياكل كل يوم ثلاث اواق خبز فتكون جملة البشر على هذا الحساب انفار ٣٣٥٨٧٢ اي ثلاث كرات وخمسة وثلاثين الف وثمناغاية واثنتين وسبعين نفر . فهذا الحساب يكون زاد عن الثلاث كرات وثلاث نفر ٢٥٣٩ .

« والوجه الثالث من عدد انفار موتى النصارى لان النصارى ثلاثين الف نفر مات منهم ١٥٨٧ فيكون مات منهم حساب خمسة بالمائة والمطين مات منهم خمسة عشر الف ومائة فاذا حسبنا موتاهم خمسة بالمائة نظير ما مات من النصارى فتكون عدة الاحياء ثلاثة كرات قام والله اعلم » .

ذكرنا اسماء الرواد الاربيين وما ذهبوا اليه من المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر ولم نأت على ذكر المزدخين العرب في هذا الصدد . ولماذا ؟ - لان بني عثمان كانوا في ذلك العصر يحكمون سورية فلم يكن للناطقين بالضاد مكانتهم في عالم الحياة الاجتماعية والسياسة التي تتمتع بها فيما بعد بفضل اليقظة الوطنية والرعي الترمي . فضلاً عن ان احصاء السكان طبقاً لقواعد دقيقة لم يأخذ بالانتشار في العالم المتحضر الا منذ عهد غير بعيد عن عهدنا . فاول احصاء في دول المانية كان سنة ١٧٤٢ ، وفي اسوج سنة ١٧٤٨ ، وفي الدانرك سنة ١٧٦٩ ، وفي

(١) المكوك : مكيال يسع مائة ونصف صاع او نحو ذلك .

اسبانية سنة ١٧٨٧ . اما في انكلترا فبعد ان ضموا التصحيات للاحصاء .
العام سنة ١٧٥٣ لم ينفذوه بالواقع الا سنة ١٨٠١ . واخذت من ثم سائر
الدول تحصى سكانها وآخر من اتبع هذه الخطة من الدول في العالم المتسدين
كانت تركية سنة ١٩٢٧ .

اما في سورية فكان آخر احصاء فيها في ٢٥ اذار الماضي ولم تظهر
بعد نتائجه .

نفيدينا ان نقابل بين عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر وعددهم
في عصرنا واليك احصاء سكان هذه المدينة في سنة ١٩٣٥ كما وصل البنا
عن دائرة الاحصاء . وفي سنة ١٩١٧ عن لسان محافظ حلب الامير مصطفى
الشهابي (راجع جريدة التقدم الحلبية في ٢٢ ك ٢ ١٩١٧) .

احصاء سكان مدينة حلب اخذاً عن السجلات الرسمية وكالها على التقريب

سنة ١٩٣٥	المسيحيون الكاثوليك	سنة ١٩١٧
الروم الملكيون	١٠١٠٣	١٢٢٧٩
الارمن	٦٧٥٤	٧١٥٣
الريان	٥١٢٠	٦٢٨٩
الموارنة	٣١٥١	٢٨٣٨
الكلدان	١٨٥٢	
اللاتين	١٨٢٣	٢٢٥٣
المجموع	٢٨٨٠٣	

المسيحيون غير الكاثوليك

الارمن	٤٩١١٤	٦١٥٢٩
الروم الملكيون	٣٥٠١	٦٣٥٢
الريان	٤٤٨٣	٥٦٣٣
البروتستانت	١٩٨٦	
المجموع	٥٩٠٩٤	

١١٣١٣١	٨٧٨٨٧	مجموع المسيحيين
٢٠٩٢١٤	١٥٣١١٤	المسلمون
١٣٩٠٢	٩٩٦١ ومهم الكلدان	اليهود
٣٣٦٢٤٧	٢٥٠٩٦٠	المجموعات

هذا واذا فطنا الى حركة انتقال السكان الى حلب من السنجق بعد انضمامه الى تركية ومن الجزيرة بعد وقوع حوادث سنة ١٩١٥ لم نتعجب من التفاوت بين احصاءات سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٧

اما السبب في زيادة عدد الارمن غير الكاثوليك العظيمة فيما اذا قوبل بين احصائهم اليوم واحصائهم في منتصف القرن الثامن عشر كما قلنا فيظهر انه لم يك الا المذابح التي رقت في ارمينية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٨ وخاصة جلاؤهم عن الاناضول وقيليقية في ايام « سفر برلك » او في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨

(٢) الفرامات

بعد كل البعد من فكرنا فيما اذا ما ذكرنا تظلم المسيحيين من حكامهم في ذلك العهد ان نلقي التبعة في اضطهادهم على العقلاء والصالحين من مواطنيهم الذين كانوا يشاطرونهم السراء والضراء في حياتهم .
وان ننسى فلا ننسى ما كان لحسن الجوار والتضامن بين الاهلين من الوسائل التي تقيم شرور الساعة وما كان لآل العظم « السوريين » من الايادي البيضاء على بلادهم حين توليهم شؤونها كحمد باشا العظم سنة ١١٧٧ هـ ١٧٦٣ م . فقد كان يتنكر ويتفقد احياء البلد ليلاً لينزع الجور والفساد وهو الذي ابطل بدعة الدومان وهم جماعة كانوا يحتكرون اللحم لبيمه باغى الاسعار . ولم تحل البلاد لله الحمد تماماً من مثله . على ان عهد الباشاوات في تلك الايام كان غالباً عهد استبداد وطيان مما لم ترل اقلام الكتبة والمؤرخين من عرب وعجم تصدى لتيانه .

كانت المناصب تعطى لا للذين يستحقونها دون غيرهم ولكن لمن كانوا يتعاونونها بالاصفر الزنان . حتى اذا فازوا بموادهم وجلسوا على كرسي الحكم

أخذوا يسلبون الرعية أموالها ليقتاضوا بما فقدوه بالوصول الى مناصبهم^(١).
 وإذا ارتفعت اسعار الحاصلات واشتدت ازمة اللحم او الخبز لم يكن من
 النادر ان يتآمر الحاكم خفية مع الجزائريين او الطحّانيين على ان يساعدوا في
 احتكار اللحم او الطحين تلقاء الاموال الطائلة التي يبتزها منهم . ومن ثم
 تحدث الاضطرابات « وتقوم البلد » ويهاجم الجياع دار الحكومة ويوتسدون
 منها لنهب الاسواق فيضطرب حبل الامن وتشتمل الفتنة^(٢) . ويقع قتيل يفرم
 النصارى بدفع دية فيما اذا كان وقوعه في حيزهم او على مقربة منه . وربما
 دبت عقارب السعاية الى ما بين صفوفهم فيترافعون امام القضاة ويلجأ رؤسائهم
 الروحانيون الى التدخل في الامر مما يجبر عليهم العذاب والسجن والاضطهاد
 والنفقات ومن ثم ترفع الشكاوي والدعاوي الى من كان باستطاعتهم
 التوسط بين الراعي الظالم والرعية التائعة كالتناصل . فالتناصل كان غالباً من
 كبار التجار ذا مقام رفيع عند الباشا لانه كان بسميه ونفوه وحسن سياسته
 يساعد على تهدئة الحوادر واصلاح ذات البين . ومن الذين اشتهروا
 في تلك المهمة آنذاك اسرة بيت يتشوتو القنصلية فقد كانوا تجاراً وصيارفة
 « يقضون القرض » للباشا عند اللزوم ولا يفوتهم فرصة للاستفادة من رهن
 املاك الدولة وشرائها على حساب الباشا . واليهم والى غيرهم من التناصل كان
 المضطهدون يلجأون في ضيقهم . وربما افادهم التجارهم الى بطور كبير
 وكان لهذا صوت مسرور ما وراء الحدود فيبلغ آذان الباب العالي عن
 طريق السفارات واليك صدى تلك الاستغاثة في آثار الطائفة المارونية المذكورة
 في اصابة المطران جبرائيل حوشب (رتم ٧٨) « نسخة تحرير ابناء الطائفة
 مجلب الى البطريرك طريسا (الخازن) تاريخ ١١ تشرين الاول سنة ١٧٥٦
 وفيه يصفون الاضطهاد اللاحق بهم من الحكومة وعدم امكان احد من
 الكهنة والعوام الذهاب اليه لان اسم لبنان مكروه ... من قبل حكام
 البلد الذين لم يزالوا فاتحين افواههم ليتلونا ... »

(١) راجع كمل النزي ، نحر الذهب ٣ : ٢٨٥ وما بعدها . وكتاب سقاجه
 المذكور عن حلب ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) راجع كمل النزي نحر الذهب ٣ : ٢٦٧ في كلامه عن قتل شيخ الدارانية .

«... ونحن احيا ويسلبرامالنا . ونحن ما بقينا قادرين على العطا مثلما كنتم
تصرفونا خصوصاً اذا عرف الحاكم ان الكهنة متوجهين الى الجبل لعند بطركهم
فيسك علينا حجج كثيرة ولو كانت بغير حق . من الجملة اسم بطرك جديد
يقول لنا اين فرمان . واسم الجبل مكروه عند حكام بلدنا . لان كلما
غاب مسلماني يقولوا لناس ارسلوه للجبل حتى ينتصر . ويا ما خسرنا اموال
فوق طاقتنا بسبب هذه الكلمة . والشاهد لصحة قولنا هو امر اليهودي الذي
قدد من حلب في الايام التي كان عندنا القس اغوستينوس يازجي قدسكم
والقس ارمانوس شكوري الحكيم . وكيف تهونا بارساله الى الجبل
وحبسوا مطرائنا والقس ارمانوس المذكور وبعض من الكهنة وجملة انفار
من الطائفة مدة اثني عشر يوماً في الجدير . ولم يخلصوا الا ببلغ عظيم من
المال . فليسأل قدسكم القس اغوستينوس المذكور فيخبركم بالجميع ومثله
مرات كثيرة وهل يخفى سفر الكهنة عن الحكام فالعوانية كثيرون فلا
تقاس بلادكم وحكامكم على بلادنا وحكامنا . انتم احرار مثل البلاد
الافرنجية ونحن في الاسر والسودية فلا يتعجب قدسكم من قولنا بان علينا
اخطار عظيمة من توجه الكهنة نحو يادتكم » .

واليك ما جاء في « اضارة تحارير المطران جبرائيل حوشب » (ارتسم ١٧٣٢
توفي ١٧٦٢) .

« بيان مصاريف الذي انصرفت في زمان حضرة يعقوب باشا » . تحريراً في
غرة شهر جماد الاول ١١٥٣ الى يوم طلوعه من حلب « اما تقاسير الالفاظ
التركية فيها فقد اخذناها عن كتاب Barbier de Meynard الدرر العمانية في
اللفة العثمانية - طبع في باريس ١٨٨٦ وهو قاموس تركي افرنسي راجع كل
مادة بمادتها المرتبة طبقاً لترتيب الاحرف الهجائية .

(١) لم نجد له ذكراً لا في نص الذنب ولا في تاريخ السلطنة العثمانية لحامير . ولعل مدة
اقامته في حلب لم ترد على الاشهر شأن الولاة العثمانيين في ذلك العهد

١

بارة غرش ^{١)}	مادية ^{٢)} الاولاد كلفة الحج ^{٣)} والبيوردي ^{٤)}
١٥٠٠	الى الخزانة العاصرة ^{٥)}
٢٧٥	الى الكاخية ^{٦)}
٥٠	الى المباشر ^{٧)}
٤٧٤	الى باش جاويش ^{٨)} وخرج ^{٩)} الباب
٤٠	الى ويس اغا
٣٠	الى الصراف
١٠	الى دويدار
١٥٠	الى الملا السابق ^{١٠)}

١) وفي دفتر حجاج ملكية وقف الطائفة المارونية جاء في سنة ١٧٨٠ ذكر حجة بيع دار في الصليبة بثلاثة غرش جديدة سلطانية فلا بد ان تكون الفروش السلطانية سعرها غير سعر هذه الفروش الفضية وقبضها اربعمائة بارة الفرش . وكان سعره ٢١ ستيماً ذهباً على التقريب (Encyclopédie de l'Islam II, p. ١٣٥)

٢) مادية لعله يريد بها المادة .

٣) كان مرور الحجاج في حلب يتطلب اعانات توزع على المكلفين .

٤) البيوردي او يورلدي اسم كان يطلق سابقاً على الامر المطلق او الارادة السنية . من جانب السلطان او الصدر الاعظم وقد اطلق بعد ذلك على البلاغات والتمايات الصادرة من مدير دائرة الشرطة .

٥) الى خزنة او صندوق الباشا .

٦) الكاخية او الكخية او الكشخدا : من الفارسية ومناعاً صاحب (خدا) البيت

(كت) وهو النائب الفوض من قبل سيده في تدبير الامور .

٧) المباشر هو احد المال في دوائر الحكومة - الحاكم .

٨) جاوش : الخادم في المحكمة . باش جاوش : كان سابقاً رئيس اورطة الانكشارية الخاصة .

٩) خرج : النفقة من المال للدخول .

١٠) الملا : السيد

الى نايب وكاخية وخرج الباب	١٤٠
وايضاً خرج باب المحكمة البراني	٢٠٠
الى خزينة دار الباشا	٢٥٠
الى احمد افندي	١٥٠
	٣٠١٣
الى باش جوقه دار ^{١)}	١٣٤
الى القاضي لاجل قليط ^{٢)}	٣٧٤
الى كاخية القاضي	٣٧٤
الى الحاج عبدالله والي ترجان والمحضر	٣٢٤
الى احمد افندي من بد نحه	٣٠٠
قتالة القاضي مع الكاخية	٣١٢٤
الى صراف الباشا	١٠٠
الى كيخيه	٣٧٤
	٩٦٤٢ *

٢

مادية الزفراف مع دعوة المرو	س . .
الى خزنة الباشا	٢٥٠٠
الى الكاخية	٣٥٠
ايضاً الى الكاخية ده يك ^{٣)}	٢٥٠
خرج خزنة وخزينة دار	٢٧٥
الى قبجيلر كاهياي ^{٤)}	٥٠

١) باش جوقه دار : الاول بين خدمة السلطان وكان تحت امره اربعون خادماً .
كان يثني على عيني السلطان ويضع يده اليسرى على ظهر حصانه ويحمل يده اليمنى كياً من
حرير فيه باورج السلطان .

٢) قليط . جاء في الدرر : قليته وهي نوع من الطعام .

٣) ده يك ؟ قد يكون معناها من اجل الدية ؟

٤) قبجي منلوط عن بكجي اي الحارس او البواب .

الى ديوان افنديسي	١٠٠
الى مهر دار	٥٠
صاحب الختم	
الى دويدار	٢٠
صاحب الدواة	
الى ويس اغا	٥٠
الى امين وترجان	٢٥
الى عربي كاتب	١٥
الى جوقه دار الكاغيه	١٥
الى مطرجي "الباشا	٤١٥
الى رالي افندي	٢٥٠
الى كاخيہ اعاسي	١٥٠
الى خزينه دار اغاسي	٢٥
الى جوقه دار اغاسي	١٠٠
الى اولاد القاضي	٣٠
الى باش نايب	٢٧٤
ثمان ساعات عدد ٢	١٥٠
الى جوقه دار القاضي	١٣٤
الى احمد افندي من يد نحه	٣٠٠
الى (?) من يد نحه	٥٥
الى يسقيه ^(٢)	٥
الى الحاج عبدالله والمخضر والترجان	٤٠
الى معلم سلطان ثمن جرخ وشاش	٢٧٤

٥٢٨٩

(١) مطرجي او مطارجي : حامل المطرة او السقا . والمطرة كانت قنينة من حديد
قلاً ماءً وتحمّل على الدابة في السفر ومنها المطرة اسم لوعاء الماء يحمل الجند في رقايم .

(٢) البسفي او الباسفي : مأمور التنفيذ

٣

س ٠٠	مادية الراهب
٣٦٠٠	الى خزنة الباشا
٣٥٠	ده يك
١٥٠	الى ديوان افندي
٢٥	الى سلام اغاسي
١٠٠	الى المباشر
٧٧٤	الى ويس اغا
١٥٣٤	خرج مفردات
٣٥٠	الى (٩)
٤٨٠٦٠	
٥٠٠	دمرة قسيس الذي مكروه على بكره
٥٠٠	دعرة البندوق
٥٨٠٦٠	

٤

س ٠٠	مادية الحكيم الذي مات في دكانه
٢٥٠٠	الى خزنة الباشا
٢٥٠	ده يك الى الكاخيه الديه
٢٨٨٤	ده يك الده يك [لم يكتفوا باول دفعه ٩]
١٣٩٥	خرج خزنه
٥٠٠	الى الكاخيه
٤٠٠	الى القاضي والثايب الذي سافروا
٦٥٠	الى باش جاويز
١٢٤	الى ويس اغا ظاهر ومضفي
١٠	الى اولاده

الى امين والترجمان	٢٠
الى عربي كاتب ١٥ وديوان افندي ١٠	٢٥
ثمان جوخ لويس اغا	٥٣٤
الى خزينه دار الكاخيه	٥٠
الى لطاخ رخت فهي الكاخيه (?)	١١٤
الى ديوان افندي	٢٧٤
الى سلام اغاسي	٢٥
الى المردار (?)	١٠
الى عثمان اغا الباش	١٢٨٠
الى صراف الباشا	١٣٩٤
الى تابع الصراف	٥
ليلة الذي سافر الكاخيه مع الاجلي في يد الكاخيه	١٠٠
الى اسير تابع الحرينه دار	١٥
مصاريف متفرقة	٢٣٧:
	٤٩٨٢

٥

مادية قتالة البسارنه ^(١) عند التتلاز	
الى الكاخيه	١٥٠
الى ويس اغا	٢٥
خدم تفنكجيه وعيادية جواويز زلطين وخمسه	٤٨٧
	٥٦٤٤٤

٠٠ الفرش ٤٠ باره

٥ ثمن غرش

١٠ ربع غرش-

١٥

(١) البساوئة جماعة بقي ذكرهم في حلب بالكلمك البسارني - التاتلر حي في حلب
(راجع ذكره في كتاب نحر الذهب للتزي ٢ ص ٢٢٦)

الفرش يقسم الى ٨ اقسام

الاول	٥
الثاني	١٠
الثالث	١٥
الرابع	٢٠
الخامس	٢٥
السادس	٣٠
السابع	٣٥
الثامن	٤٠

في يد ويس اغا	٥٦
في اجارة الصراف اليهودي	١١٥
الى عثمان اغا ثمن عبايه	٣٨
مصاريف في يد مناحي متفرقة	١٤٥
	٣٥٤

٦

جرم مادية رجم المحكمة	٥٠
الى خزنة الباشا	١٠٠٠
الى الكاخيه	١٠٠٠
ده بك	١٠٠
الى خزينة دار الباشا	١٠٠
الى ديوان افنديسي	١٣٠
الى باش جاويش	١٦٢٤
الى ويس اغا وامين ترجمان وعربي كاتب	٤٥
	١٥
الى محمد زغير واوضه باشي	٢٨
الى ويس اغا طالب من كل طائفه وكيل	١٠٠
الى باش جاويش ثمن بزه (?)	١٨

١١٥	خدمة تفنكشي باشا
٢٠	عبايه الى ويس اغا
١٨	ثمان جوخ الى مطرجي وسلام اغاسي
٢٠	الى سلاح دار وتوابه
٢١	الى ويس اغا على دفتين
٥٥	الى ديوان افندي
١٤٤	في يد الكاخيه لما رجع من وداع الالجي
٢٢٥٤	مصاريف هل مائه وخدمها
٣١٥٣:	

٧

٥٠ س	ماديه لما جاب الاربع مطارين ^{١)}
٤٠٠٠	الى خزنة الباشا
١٠٠٠	الى الكاخيه
٦٠٠	الى خزنة دار الباشا وخروج
١٥٠	تبيجلر كامياسي
١٥٠	الى ديوان افندي
٥٠	الى سلام اغاسي
١٠١٤	الى باش جاويش
١٠	الى جاويشيه
١٥٠	الى ويس اغا
٣٠	الى امين وترجمان
٢٥	الى عربي كاتب
١٧٥	خدم جوقه دايرة الكاخيه
٣٠٠	الى خزنة دار الكاخيه
٤٠	الى محمد الزغير وخاله

(١) نجد تفاصيل ذلك في دفتر اخوية التريتان الارمن في تاريخ ١١ كانون الاول سنة ١٧٥٧ ونشره في المشرق ان شاء الله .

الى القاضي	١٢٥٠
ايضاً خرجها	٣٠٠
الى كاخية القاضي	١٥٠
الى خزينة دار القاضي	٢٥
الى باش نايب	٢٧٤
دعوة بندوق الروم	٠٠ س
الى الخزنة	٢٠٠٠
الى الكاخيه	٧٠٠
الى ريس	٥٠
مصاريف	٨٥٠
	٣٦٠٠
دعوه ثاني بندوق	١١٥٠
من طايقة الروم لما قاموا يلوا دين الفرنجي	٢٥٠٠
	٧٢٥٠

٨

ماديتين تبين وشاشات وبشاكيش معها	٨٢٠٠
	١٥٦٥٠
مجموعات	٥٨٠٦
	٣٨٢٨
	٥٢٨٩
	٢١٨٠٧
	٥٥٠
	٥٣٧٣٠

وقد تأتي بعض المجموعات في النصوص التي ثمرناها منلوطة باليد وليس للفظ اهمية عظمى بالنسبة الى النتيجة وهي البرهان على ان حمل الفرامات كان ثقيلًا على الرعية الى ان تبلغ منها الروح التراقي فيضطر الكهنة الى بيع

آية الكنيسة ليدفروا بشمها الاذى عنهم ومن رعاياهم .
ولك الحجة على ذلك فيما نسخته من اصابة المطران ارسانيوس مكري حاكم
اروتين مطران الموارنة في حلب ١٧٦٢ الى ١٧٧٦ وهذا ما جاء فيها (الوثيقة ١٨) :
بيع فضي الكنيسة

« بالنظر معنا في حال الطائفة التي عجزت وضمف حالها من كثرة دفع
التكاليف العرفية والجرايم الثقيلة التي طرت عليها في هذه الايام الصعبة التي
لم يرى مثلها قط فلاجل حفظ الكنيسة والطائفة من الغايلات المذكورة اعلاه
وقد تحققت جداً لدى الجميع وما عاد خلاص الا ببيع جانب من فضي
الكنيسة بجانب معين الموقوفة لها من الحسين وبشورتنا نحن وبعرفة
الجميل قد باع من الفضي المذكور وزن ١١٥١٠ درهم وهذه دفعا جرماً
لاجل خلاص الكنيسة من الغايلة المذكورة وقد حررنا هذه الوثيقة برضانا
١٧٨٠ ١١ ايلول كسنة الطائفة بحلب »

وجاء بعدها الوثيقة ٣٥ من دون ترويح : « وجها . الطائفة يطلبون مساعدة المطران
ارسانوس مكري . غير خاف من علم قدسكم ضيقة الحرب والحبا والحبس والضرب
والتعطيل الحاصلين به نحن اولادكم اصغار طابقتكم هذا ما عدا تسكير الكنيسة
وابطال الذبايح وخطايا الندم التي من شأنها ان تصدر من الضيق وعدم النظام . »
تلك كانت الاحوال في زمان كثرت مظالم حكامه واستبدادهم .
ولست اخشى ان يلومني لانني اذا كشفت عن جراحات قديمة ضدها
الزمان لان في المقابلة بين ايامنا وايام حوشب واروتين مدعاة للعبرة المفيدة .

(٣) الترابية

كانت الضرائب والقرامات تتقل وطأتها على الاهالي على اختلاف
طوائفهم فصار الناس يلتصقون السيل الى التهرب منها كل فيما يوفق اليه
من الوسائل ، وكان للسليق اسياذ واشراف يوالونهم وهؤلاء كانوا يشتمون
بالاعفاء من كثير من الضرائب . وكان للسيحيين القناصل فمن وفق منهم
الى الدخول في خدمتهم كترجمان او غير ذلك او من تمكن من اكتساب
ودهم بسطوا حمايتهم عليه ووتره اداء البص والقرامات .

كان لكل قنصل ترجمان واحد في بادئ الامر واذا كان القنصل في الغالب لا يفقه لغة البلاد كان يضطر الاستعانة بترجمانه في تعاظم اشغاله مع الحكام ومع الاهالي . ولم يلبث عدد الترجمة ان زاد حتى صار لكل قنصل عدة رجال يخدمونه فيستفيد منهم جاهاً ويوسع بهم دائرة اشغاله التجارية وكان القنصل في الوقت عينه ممثلاً لدولة اجنبية وتاجراً . وكان الترجمة يستفيدون من مكانتهم تحت حمايته فتأتيهم السلع من البلاد الاجنبية ولا يدفعون عنها نفقات المكوس شأن القناصل ولا يحاكون في الدعاوي الا في محاكم القناصل ولا يكلفون اداء الضرائب كما يكلف غيرهم من مواطنيهم . واذا كانت التراخيص كما رأيت سابقاً تعرض على الطوائف وكان الاغنياء فيها يؤدونها عن قرائنها كان انتماء بعض وجهاء الطوائف الى دولة من الدول الاجنبية في خدمة الدوائر القنصلية يحرم الطوائف من مساهمتهم في تأدية الاموال ويثقل عبئاً على كاهل المكلفين بنسبة قلة عددهم ، وكما في وثيقة نسختها عن اضرارة المطران حوشب وصف لهذه الحالة^١ .

طلب المطران الى اهل « الحماية » دفع ما يترتب عليهم من المال للطائفة وتأييد رؤساء المرسلين الاوروبيين لطلبه ولا يخفى ان لمصادقتهم على الامر اهميتها عند القناصل وهؤلاء بالغالب ينتسبون الى الطائفة اللاتينية فلا يسعهم الا ان يوافقوا المرسلين على الزامهم اهل « الحماية » والترجمة بالقيام بواجبهم نحو طوائفهم . واليك الوثيقة المذكورة :

شهادة تاريخ ١٦ تشرين ١ سنة ١٧٥٨ مصادقة من رؤساء المرسلين بحلب على اجتماعهم عند المطران جبرائيل بخصوص اولاد الطائفة المنتهين الى الاجانب انهم ملتزمون بدفع الغرامة الموضوعة على الطائفة للحكومة .

« في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول ١٧٥٨ قد [اجتمع الآباء] المكرمين سر-لين بيعة الله المقدسة القاطنين يومئذ بمدينة حلب جميعهم بطالب حضرة المطران جبرائيل حوشب لاجل تدبير ونظام طابقتهم المارونية حيث ان الكثيرين منهم ملتجئين الى حمايات متنوعة وتاركين ما يجب عليهم من

(١) حاشية رقم ١٠٣ من اضرارة المطران جبرائيل حوشب في كنييسة آثار الطائفة المارونية بحلب .

المساعدة لقيام وثبات كنيتهم ومطرانهم وكنيتهم فبعد النظر والاطلاع على هذه الحوادث طبق رأي الجميع:

أولاً: بان يتوجه اثنان من الآباء المذكورين لحضرة قنصل فرنسا المكرم واثنان لحضرة قنصل البندقية الاكرم واثنان لحضرة الحوaja جرجس عابدة ويطلبوا منهم ان يلزموا كافة تراجهم وحمايتهم وتوابهم لان يحضروا في اليوم الثامن عشر من هذا الشهر في دير حضرة الآباء المكرمين رهبان القدس حيث عقدت هذه الجمعية لكي ينهؤهم ويعرفوهم الواجب عليهم بل الالتزام الاضرائي بقيام كنيتهم ومطرانهم وكنيتهم ليس الاختياري فقط. ثانياً: لكي يختار منهم بمعرفة حضرة المطران جبرائيل المشار اليه ثانية انفار من كل صنف حماية يكونوا اصحاب (?) وقرار (?) ولهم وقوف في احوال الطائفة المذكورة بحسب الامكان لان يتقربوا عليهم وعلى بقية طائفتهم المارونية شيئاً معلوم في كل سنة ويكونوا ملتزمين بدفع ما يترتب عليهم ويخطوه من غير تعطل ولا اهمال.

ثالثاً: ان اتوجد بعض الناس مخالفين لهذا الاتفاق ولم يرتضوا بالذي ترتب عليهم ولذلك قاصصهم حضرة المطران جبرائيل المكرم قاصداً كنانياً ولو انه بالحرم اذا راه مناسباً لدعهم وردهم فلا يمكن ان احذر من المرسلين المكرمين يتحارصه بذلك ولا يقبلوهم بنوع من الانواع الا بدون طاعتهم وخضوعهم لامر حضرة مطرانهم واثباتاً لذلك حرروا هذه الوثيقة بخطوط اياديهم لاجل البيان في التاريخ المذكور.

Raimondo di Matta di Terra S^{ua}.

Federico di H. Wenceslao Carinelitano.

H. Cuisset, Sup. Jésuite.

Eleuhère Capucin

et leurs religieux.

التوقيع:

ريموندر دي ماتا من ارسالية الاراضي المقدسة.

فيدريكو دي فنسيلاو الكريلي.

ه. كويسة رئيس اليسوعيين.

ألويير الكبوشي وسائر رهبانهم.

ويظهر ان طلب المطران وتهديده التراجمة بالقصاص والحرم الكنسي لم تكن
ليبلغ النتيجة المرجوة فيها الى مدى بعيد وزى في اضارة المطران ارسانوس
شكري خلف المطران حوشب تحت الرقم (٣٧) تحريراً منه ومن كهنته (من
دون تاريخ) «الى قنصل الفلنك بخصوص التراجين وما يلحقهم من الترامة على
«الكنيسة» طالباً مساعدته بلاحقتهم واجبارهم على دفع حسابهم وما يلحقهم
في التحرير ذاته . وفي (الرقم ١١) بتاريخ ٢٧ نيسان ١٧٦٤ يتفق المطران
ارسانوس مع انطون البيطار ترجمان الفلنك ويسلمه الوكالة ليقبض من اولاد
طايفته التراجين والاجانب ما يلحقهم من الترامة بجاذب الطائفة . ويذكرها
تحت الرقم (١٥) فهي عشرة آلاف عرش . وهذا فيما يخص التراجمة الموارنة .

وفي سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ يتدخل سليمان فيضي باشا بامر تخفيض عدد
تراجمة قناصل الدول الاجنبية اجمالاً فيكتب الى الباب العالي بان عدد تراجمة
القناصل في حلب بلغ نحو الف وخمسة وذلك لان الدولة اذنت لكل سفير في
استانبول ولكل قنصل خارجاً عنها بترجمان واحد اعفته من تادية الاموال
الاميرية .

وما لبث ان كثرت طلب الاستخدام في دور القناصل وتكاثر عدد التراجمة
فكنت ترى في ازقة حلب رجالاً كثيرين على رؤوسهم فلانس السمور وهي
علامة التراجمة وقد بلغ عددهم على ما يقال في تلك المدينة ألفاً وخمسة ترجمان
واكثرهم وصلوا الى مهنتهم بالحيلة . وفي ذات يوم عينت الدولة مفتشاً
يبحث عن حالهم فدعاهم اليه ليتأكد من هويتهم وحقوقهم فلم يجد بينهم الا
سنة حقيقين ينصبهم . فثبتهم فيه وحكمهم على الباقيين بتادية الاموال الاميرية
المتأخرة عليهم . فدفعوا للكمركجي وللتحصيل دار خمسة آلاف ذهب وللوالي
مثلاً...^{١)}

ومن المعروف في ايامنا ان التراجمة اصبحوا كدائر السوريين متساوين
بالحقوق والواجبات بعد إلغاء الامتيازات الاجنبية .

مكتبة المشرق

ديوان ابن الساعاتي

عني بتحقيقه ونشره انيس المقدسي
استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

الجزء الثاني ١٣٨ صفحة

المطبعة الاميركانية . بيروت . آب سنة ١٩٣٩

نقد واستدراك بقلم حبيب زيات

تقدم لنا الكلام على الجزء الاول من هذا الديوان في « المشرق » (٣٧)
[١٩٣٩] ١٦٨ - ١٧٨) ، و « الحرائة الشرقية » (٣ : ١٧٠ - ١٨٠) وقد
انتهى الينا اخيراً الجزء الثاني وهو الحتام . فاقبلنا على تصفحه والنظر فيه ،
فألقيناه حافلاً بالخواشي والشروح . ومرر بنا في اثناء المطالعة مواضع كثيرة
تستدعي البحث والاستدراك ، فاحببنا التنبيه على اهم ما فيها وفاء بحق
العلم والتدقيق ، وفي الصفحة الاخيرة فهرس لا غلاط الطبع يتضمن اربعة منها
فقط ، قال : « وهناك هفوات مطبعية لا تحفى على القارئ » وكان الاولى
سردها جميعها لحفاء بعضها ، وقد عددنا منها ما يبلغ ١٥ غلطاً من اغلاط
الضبط والشكل . وعثرنا على اوام اخرى ترى من الفائدة الاشارة اليها .
وقد قسمنا الكلام على هذا الجزء اجمالاً الى عدة اقسام نذكرها على التوالي :

اغلاط الطبع والسهو

ص. س	الخطأ	الصواب
٧ ١٦	كفّ بلا زند	كفّ
٧٤ ١٠	وناقد ابريز المزال وزينه	وزينه
٨٠ ٢	فانما انساخا حتى اماها	انما كما في الحاشية ١
١٠١ ٤	ولست من مشر الايام ولا	ولست
	الفضل اذا ما نصرت من خذلك	
١١٧ ١٩	فيه اجلاؤه واللزوم	اجلاؤه بالياء
١٢١ ١٧	ريارة ما سُجِّت بمب	ريارة
١٨١ ٩	لقد سرت فيها -جرة عمرية	سرت لقوله قبلنا نذار كنت مصرًا
١٨٥ ٢	يوم الزرقاف	الزرقاف
٢٦٦ ٦	نقى الملاحة فيك بالآ بالياء	فيك لقوله في البيت السابق :
		كم قد ركبتي الي
٢٧٠ ١٩	فالتناء بكفه	فالتناء
٢٧٠ ١٩	كم جئت مادحه فاحسن منه رقي ..	منه بالضم فاعل احسن ورقي
		مفعول به
٢٨١ ١٦	جنة الحد	جنة الحد
٢٨٢ ١٧	الجد (حاشية ٣)	الجد بالياء لقوله في المتن وقد
		صحت العبد الانام
٢٩١ ٧	والمالي رحل	خيال بالهاء كما في الحاشية
٣٠ ١١	الثاني - وفي فخرس الاغلاط الثاني - (الثأى	الثأى بالثاء
٢٥١ ٩	واي ظل	واي
٢٥٨ ١٥	وقاسوا بك الاشياء	الاشياء

اغلاط الضبط والشكل

٧٦ ٣	ثانية الطرح	الطرح بالفتح تخفيف الطرح
		اي المكان البعيد أسكن للضرورة .
٧٦ ٢٢	وليت باهل للتاج وللفتح	وللفتح بتشديد اللام بمعنى اللقاح
		والتاج .
٧٧ ٣	والفاظ شعر ما نتخلت ام در	نتخل ادعى ونسب لنفسه وهو ضد
		المراد والذواب نتخلت بالهاء اي

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		اخترت .
٩٣ ٨	أُظِنَ طَلَبًا وَالْفَرَادُ مُدَّةٌ	الوقيد هو ما توقد به النار
	وقيد لما حملتني من الثقل	والصواب وقيد بالذال المنقوطة وهو
		الشديد المرض المشرف على الموت .
١١٢ ١ ١	ونكاد نعرف في وجوه بناتها	وفي الحاشية « كذا الاصل والضير
	به الجمال وعزة التدليل	يرجع الى القصيدة « وهو وهم غريب
		لا ندري كيف يصح . منه تطبيق هذا
		البيت على القصيدة ، وانما يرجع الضير
		الى الدار التي اشار اليها قبلا بقوله : ولقد
		ابان عن المولى بينة وفي عنوان القصيدة
		انها قيلت في وصف دار الامير صير الدين
		جرام بظاهر المحلة . والمتذلل غلط واضح
		لانه لا عزة لمن يتذلل ، والصواب
		المتذلل من الدلال .
١٦٩ ١١	اي كأس من الجمال يصد الي	والصواب كأس فاعل من كسا
	كأس عني ويمنع الظلم ظلم	يكسو اي . يتلبس بالجمال .
١٧٧ ١٢	فاستجلبها عذراء ايسر خطبها	وليس في اللفظة خطب بضم الحاء ،
	ما عن خطب ان تصد وتصدقا	والصواب خطبها بالفتح اي ابرشأعا
		وما يلفاه الخطاب لما ان تصدء
		وتعرض عنه .
١٨٥ ٣	واللبالي شديدة الاخلاف	بدلاً من الاخلاف مصدر الحف اي الح .
٢٠١ ٤	شجاع لا يُبَيِّلَ له طعين	والصواب لا يُبَيِّلَ او يُبَيِّلَ اي لا
		يبرأ .
٢ ٨ ٩	كم احتقبوا من مدحة تنهيج الحنينا	والصواب الحنينا بضم الحاء
		يعني الدهر والسنين .
٢٢٨ ٦	آليت ألفي خاضعاً لمُدَحِّح	الاصل ألفي بالمجوزول اي حلفت ان
		لا أوجد خاضعاً لمُدَحِّح غيرك .
٢٣٧ ١	نشوان من غمر الشباب فداؤه	والاصل لا شك قد آؤم بفتح القاء
	ما غار من بان المفقوق وغاره	والمنى ظاهر .
٢٨٠ ٦	فكالحام العشان تحلي عن ورد	بضم الحاء المنقوطة ، والصواب
		حليء بالحاء المهملة والمهزلة بآخره
		اي منع وطرد عن الشرب .

ص س . حاشية	الخطأ	الصواب
٢٨٥ ١٧	بذرَ الاعادي لبته دون سطوه كذا الشهد يخفي طعمه سورة السم سورة بفتح السين وضم التاء على اخا فانعل يخفي . وضم السورة بالفتح الحلقة . وهو خلاف مراد الشاعر كما يتبين لاول وهلة . يقول ان ما يظهره الممدوح من اللين والرفق ينز اعاديه فيخفي عليهم سا اصف به من البأس والطاقة كما يخفي طعم الشهد وحلاوته ما كمن فيه من السم الزعاف ، ومن ثم يجب ان يضبط المجرز « كذا الشهد يخفي طعمه سورة السم » بضم طعمه على انه فاعل يخفي ونصب سورة على اخا مفعول به وهي البقية والفضلة .	
٢٨٦ ١٩	ذو الحسب الوضاح والآنف الشم أنف .	
٣٠١ ٥ ٢	أولماً بعدما قدمت حقود وماتت في القلوب لي الدخول وغیره . وهذا الجمع لم يرد قول به لان قبل بفتحين لا يجمع على فمول ، والصواب دخول بالذال المجهمة بمعنى النار والمدواة .	
٣٠٦ ٣	اذا اذعم الرادي فلا سال مذنب بالكسر وهو سبيل الماء والمجدول من الروضة .	
٢٢٩ ١١	عَنَفَ الشوق بالمحبين	والمقول عَنَفَ بضم النون .
٢٣٠ ١٠	والمولّى من الشاب مولّى	والاصل ، دون ريب ، والمولّى اي ما فات .
٢٣٢ ١٠	اي نظم وهبته لذة الـ نمض فواني من لذة الفمض احلى	والصواب ضم التاء من وهبته لان نمض فواني من لذة الفمض احلى ويؤيد ذلك قوله في البيت السابق « لا عدت صاحبك فاذا أت فكري » .
٢٣٦ ١٩	ربصيك جومره والنرنند والفيراند بكسر الفاء والراء كما	

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
٣ ٢٤١	وتنظمتها لجبين الملا	في ممجات اللغة . بناء المخاطب ، والصواب ضمها لاخا تاء المتكلم لقوله في البيت السابق « زفتُ اليك بنات النهى » .
١٨ ٢٤٢	وكانت سفى جيتاً كوزوس حمامه دهاقاً واطراف الموالى بمجاديح	ينصب اطراف على اخا مفعول ثانٍ لسفى وهو غلط ظاهر . وقد اخل بتفسير بمجاديح على جهل غالب القراء بها وكثيراً ما يتفق له شرح الجلي الواضح من الفاظ الديوان وإغفال الحوشي العارض ولو راجع هذه المرة كتب اللغة لوفت عن قولها « المجاديح انواء السماء » وتحقق مراد الشاعر ان اطراف الرماح هي الانواء التي تسفي الاهداء كوزوس الحمام فهي مرفوعة على اخا مبتدأ وخبره بمجاديح .
١ ٢٤٤	ففي عزمه كفت الكتبية حاطباً	وفي الحاشية : « لها كفت » وهو تردد غريب مع جلاء المعنى ووضوحه بادنى تأمل ، اي ان عزم المسدوح هو كفت لخطبة الكتبية وقيادتها .
١ ٢٤٥	لكم لي من عذراء اجزلت مهرها فلا انا مضبون ولا انت مفصوح	ولا حاجة الى التنبه على ان الذي يجزل مهر الفصيحة العذراء هو عادة المسدوح ، فكان يجب ان تروى لفظة اجزلت بناء المخاطب المفتوحة لا بناء المتكلم المضرومة ، وقد حار الشاعر غير مرة بين التائين .
٥ ٢٤٥	فثلث مذود السباح بجها وغيري مقدول الطاعة منصوح	ولا معنى هنا لثنت « مذود » والصواب « مذود » بالمين المهمة والذال المنقوطة . ألا يرى الاستاذ حرم الشاعر على مقابلة المذر بالمذل وان اللفظ عنده غالباً هو الذي يقود المعنى ؟
١٨ ٢٤٧	وبأي صبح ونهى نجوم رماحو ما ضوأت وبروقها لم تحطف	بناء تحطف للسجول والبرق يكون عادة هو احاطف ، ألا يذكر

ص. س. حاشية

الخطأ

الصواب

قول -ورة البقرة: «يكاد البرق يخطف ابصارهم» فالصواب لم تخطف بالبناء للمعلوم.

والحمل هو الخداع وليس هو مراد الشاعر، والاصل لا شك الحيل بالحاء والياء بمعنى القوة.

عزم يضر عنه القتل والحيل

٨ ٢٥٢

٢٦٧ ٨-٩ • ومن لي لو استطع الشفاء
بما حُزبتُ من نروة وصند. « ولطه قصد واني كنت فداء اي
واني كنت وعاش القعيد مت. « ولو كان هذا قصده حقيقة لقال
فخُلد لو ان حياً خلد « واني مت » وهي اوضح ومثلها في
الوزن واحد. وانما غنى لو كان هو
القعيد وعاش ابنه مكانه فيجب ضبط
الصدر « واني كنت - وعاش القعيد »
بضمب القعيد على انه خبر كنت ،
وعاش جملة معترضة.

٣٧١ ١٠ • وبث جنيب الحادث يقدتني
وقد كنت قطع الجبال والشكل
وفي الحاشية : « الشكل جمع
شكل » ولا ندري في اي كتاب ورد
الشكل بمعنى الشكال . وقد اتفق
للشارح غير مرة اثبات ما ليس بثابت
في دواوين اللغة من المفردات والجمع
وتقدير ما لم ينس عليه احد من العلماء
من « اني الالفاظ. وانما الشكل في
الحقيقة هو تخفيف الشكل بضمين
جمع شكال لا تربط به قوائم الدابة
على الاطلاق لا قوائم الناقة وحدها كما
في الحاشية .

٢٨٢ ٩ • والمم جا فيها من اهلها لم
وانت خوزة اهل السهل والحيل
كذا بضبط لم بكسر اوله. وهذا
الحرف هو جمع لمة للشعر المجاوز
شحمة الاذن . ومراد الشاعر لم
بفتحين وهو الجنون الخفيف وقر
الخوزة بالتي يتقى جا الرأس من
الهلاك وهي لفظة فارسية بمعنى المنفر

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		كان في موضع في الاصل «عزة» بالزاي فأثر عليها الشارح حذوا وتعمينا خوذة لانه لم يجدها بهذا الرسم في كتب اللغة فكيف لم يتنبه الى انها هي «العوزة» بالذال اي الرقية التي يُعوذ بها المجنون والمصروع ؟

تحريرات الرواة والناسخ

٧	١٠	٦	فالدوح يرقص والبروق يبوها	وفي الحاشية: «يظهر انه كان من مواعدهم
			مثل الصوامير في الرفاف تشام	ان تشمر السيوف في «وكب الزفاف» وهو وهم جرت اليه التحريف، والاصل «في الرفاق تشام».
٤١	١٢	٨	وثني حشودك بالدسوع مفسلاً	وفي الحاشية: «التفاب (كذا)
			قبل المات وفي التياب مكثناً	«واللفظة محرقة والاصل «وئي التياب» بالناء والباء .
٦٣	٦	٣	غيث جدًا فلا وزى	قال: «لله يريد بالفعل وزى تفبض
			بدر دجى فلا اقل	بمعنى انكسر وتراجع «فلا وزى في اللغة اجتمع فيكون من ثم قد دعا عليه بعدم الاجتماع والارجح ان اللفظة محرقة عن «وئي» بمعنى فتر وضعف يدعوا لتيت جوده باتصال التسكاب وعدم التثود والضعف .
١١٤	١٣	٥	تشر الهام فيك اذ نظم الـ	والبيت في وصف السيوف
			حسدًا فخلّ في نظيمها والشبر	قال «كذا الاصل ولله يتعمل خال بمعنى اختال» فيكون من ثم المعنى: «تكبر وتبختر بثل هذه الافعال من سيفك القواضب» ومثل هذا القول والمعنى لا يجي من ابن الساعاتي وهو قد وصف نفسه بانه «ملك الماني رقة وتلطفاً» (ص ١٢٧) ولا شك ان هنالك تحريفاً من الناسخ

ص. س حاشية	الخطأ	الصواب
١٧٦ ٢ ٢	ذِي السَّيِّ تَفَاهٍ مَسِيحًا لِلْعَلِّ	وان الاصل «فُتِلَ» اي قل ما نشأ، في نظم السيوف ونثر ما.
٢٢٥ ١٠	مَهْلًا عَذُولِي بِمَلُوبِ الْمَرْءِ لَهْ	قال: «كذا الاصل ولطه يعني انه يحبي العمل كما يحبي المسيح الموتي» قلنا مثل هذا التشبيه بعيد جدًا عن سجية ابن الساعاتي، ولا ريب ان الاصل «مَسِيحًا» اسم فاعل من اشاح اي جد واجتهد.
٢٨٢ ٣٢ ١٤	هُوَ النَّيْثُ مَا أَحْبَبْتَ سَلَهَ تَفَرُّزُ بِيْ	وليس في اللفظ سَجَنَ، واذا هي تحريف سَجَنَ وهو الهمم والحزن. وفي الاصل «برموق» ظن انه تحريف موموق. والصحيح «موموق» الفنى «اي ظاهر النصة»
٢٨٥ ١٥ ٧	هُوَ الْجَرْبُ الْمَرْهَبُ اِنْ حَارِبَ اَمْدَى	قال في الحاشية: «لاحظ هنا تكلفه المستعج تشبيه المدحوح بالجرب لهمة». قلنا: سرعان ما حكم الاستاذ هذا الحكم الجائر على ابن الساعاتي، وهو ما يشف طبيباً عن سوء اعتياده في ادبه وذوقه وهل رأى قط شاعراً او متشاعراً تصدى لمقابلة مدحوحه بمثل هذا التشبيه السجج الشنيع؟ فكيف لم يخامرهم اقل شك في صحة اللفظة وامكان تحريفها وهو قد اعتاد اذا مرّ به حرف بهم او معنى غامض ان يكثر من التخريج والتأويل ويردد «لملّه ولملّه» حتى في غير مواضع التعليل فكيف قضى هذه المرة قضاء مبرماً وانبي ولم صاحب الديوان بانواع البديع وهو من الاخرق يطلب الخناس والطباق والمقابلة في كل شطر من ابيانه كلها استطاع اليها سبيلاً؟ وما كدنا نحن تلقى نظرة على المجزء الوارد فيه لفظ السلامة حتى

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		رجح لدينا انه اراد مفايتها بلفظ سابق في الصدر يكون بمعنى الهلاك ، وهو لفظ المَرَب بالهاء المهلة الذي نزل للاستاذ في جلد الجرب .
١٧ ٢٩٥	ثَوْر الوجد خَر ثورا وقلنت	ولا يظهر على هذه الرواية فاعل في يزيد صباية ان يزيدا « يزيدا » . والصحيح « لن تريدا » اي الصباية .
٢٠٤ ١١ ٦	وثاء افاحه عَرْضَ الم	قال : لعله يريد بافاحه جملته يفوح ال . وعَرْضُ يُزري على المدلي « قلنا لم يرد في اللغة فعل افاح ولا نظن ان الشاعر اراد استعماله بهذه الصيغة والارجح ان الاصل « اباحه » وهو اقرب واشبه بلفظة العِرض .
٢٠٧ ٩ ٦	ليس صدق القطين سرا وجهرا	وفي الحاشية « كذا البيت » . ولا لك حاو القولين حدا دهرلا ريب ان الاصل « لك » بدلا من « ليس » اي لك صدق القطين وحلو القولين .
٤٠٥ ٧	تُنظَم نريدنا لما سَج الدجى	« يُنظَم سَج الدجى » والسَج الجرذ الاسود شبه به ساعات الليل والتماويذ لا تخلو من الحرز .

وبما يدخل في هذا الباب ويُسْتدرك ايضاً على رواية الديوان اتيات البيت
الآتي في القصيدة « خليلي » من عليا دمشق سُقيماً » وهو :

وما كل يوم لي بارضك حاجة وما كل يوم لي اليك رسول (ص ٣٧ س ١٣)

وهو ليس لابن الساعاتي استشهد به قديماً بديع الزمان المحدثاني في احدي
رسائله (طبعة الجوائب ص ١٣) وهو من قصيدة لي يزيد بن المتكسر المعروف بابن
الطثرية ساقها ابو تمام في حاشيته (٣ : ١٦١ - ١٦٣)

وفي القصيدة « باحت بنجد وهوى قرلانا » (ص ١٣٣) ثلاثة ابيات
رويت كما يأتي :

بكي الغمام فثدا قرنجا فرقت زهوا قدود بانها
من كل لدن مائس في نوره كالصدمة السحراء في سناها
مرح اخواني ونسي حرة مذ خلقت نصبوا الى اخواها

ولا يتبين كيف يكون بكاء الفلم وشدر القمري وميدان قدود البان
 « مسرح اخوانه » ولا شك ان هناك نقصاً في الرواية . وقد راجعنا هذه
 القصيدة على ما نقل منها في « عيون التواريخ » لابن شاذان الكندي فاذا هناك
 بيت ناقص يجيء بعد الثاني وهو :

واحزن نفسي لفراق وطن من قبل كم اذهب من احزانا

وبه يتضح معنى « مسرح الاخوان » وهو الوطن .

ويتنظم في هذا السلك ايضاً اغفال عدة ابيات وردت متفرقة في كتب شتى
 منسوبة لابن الساعاتي وخلا منها الديوان المطبوع منها اربعة نقلها المقرئ في
 « الخطط » ، وذكر ان جاء الدين ابا الحسن علي بن الساعاتي قالها يوم في
 كسر الخليج ، وهي :

ان يوم الخليج يوم من الحسن يدع الرقي والمسحور
 كم لديه من ليث غاب مؤول ومهاة مثل النزال المروع
 وعلى السدة غزاة قبل ان تمسكه ذلة المحب المضوع
 كسروا جسر هناك فحاكي كسر قلب يتلوه فيض دموع

(الخطط ، طبعة النيل ، ٢٣٤ : ٢٣٥)

وردى النوري في « نهاية الارب » خمسة ابيات في الخبر نسبها لابن الساعاتي
 ولا ذكر لها في احد الجزئين المطبوعين وهي :

وليلة بات بدر التـ ساقينا يدبر في قنك من شرجا شهما
 بكر اذا كبرت بالـ كان بدا جدّا وان كان في كاساها لبا
 حرا من عجل حتى اذا مزجت لم تدر ما خجلاً تمحـ ام غضبا
 تريد باليارد السلال نجذوعا وما سمعت بقاء محدث لبا
 تكسر الندم اذا ما ذاقها وضحا حتى كأن شمع الشمس قد شربا (١٢٦ : ١٢٧)

وفي « الانتصار لواسطة عقد الامصار » لابن دقاق : قال علي بن رستم المعروف
 بابن الساعاتي :

انظر الى الروضة النشاء والنيل واسع بدائع تشيعي وتثيلي
 وانظر الى البحر بمجوعاً ومفترقاً هناك اشبه شيء بالراويل
 والريح نظوبه احياناً وينشره نسبها بين قريك وتعدّل

وقال:

في روضة الملباس صوفية م بنية المطار والمنشع
لم على البحر اباد هلت وشيخهم ذاك له المنتهى (١١٦:٥)

وهذه الابيات الخمسة ليست في الديوان المطبوع.

ولابن حجة في كتابه «تأهيل القريب» المطبوع في ذيل «ثمرات الاوراق»
ايات في الفزل المحتس اورد في جملتها لابن الساعاتي قوله:

يجو قوام الرمح وهو مهفف والسيف في وجنانو نوريد
فكأنما سر الرياح .. اطف والحام فوق صدرهم نورد (ص ٢٢٨)

قال ويعجبني قول ابن الساعاتي:

من .. شر ويمل قدر علاته من ان يقال لثله من مشر
بيض الروحوه كان زرق رماهم سر .. بمل .. واد قلب المعكر (ص ٢٢٠)

وهي مما يجب ان تضاف الى ملحق الديوان

وحكى الصفدي في كتابه «تحفة ذوي الالباب» انه لما توفي صلاح الدين
الايوبي وثاه ابن الساعاتي بقصيدة طنانة كتبها لابنه العزيز اولها:

لئن كان ليل الخزن عمت غياهبه فقد ناب عن بدر التام كواكبه

ومنها:

هوى جبل الدين الخفيف وزعزعت بريح الثابا الصافات مناصبه
وافهد سيف الله من كل ماردق رسيم وكانت محرمات قواضيه
وما انتم البرق الساموي بعده ولكنه حلت عليه ذوائه
وما اعتز عطف الدمر الا كتابة خداة نوى عنه اخوه وصاحبه

ومنها:

ولم يك فينا يوسف غير يوسف لكف زمان وبقات مشافيه
عجبت له لم تنبى سطوانه ولم تنبى اراؤه وتقاربيه
ويشاله المقدار لا هو ذائع بواده عنه ولا ذاك هائيه

(خزانة باربر رقم ٥٨٢٧، ص ١٤٦)

- وليس في الديوان اقل اشارة الى هذه المرتبة.

المواضع التي اختلفت رواياتها وعدل عن الصحيح منها

٢ - تقدم لنا في نقد الجزء الاول من الديوان ان الاستاذ المقدسي كان ، اذا مرت به روايات مختلفة في النسخ التي بين يديه ، يقع اختياره منها احياناً على الضيف المرجوح ، ويطرح الصحيح او الراجح . وقد تكرر منه نظائر هذه الاوهام في بضعة ابيات من هذا الجزء . نذكر منها ما يأتي :

ص ٦٢ س ٦ شكرت من اخلاقه فصدت عني واءتزل

ومن البديهي ان العدول لا يكون بعد الشكر . وورد في نسختين في مكان شكرت « شكرت » من الشكوى والتظالم وهو ما اراده الشاعر على شرط ان يصحح ايضاً لفظة « اخلاقه » جمع خلقي بلفظ « اخلاقه » مصدر اخلف اي شكرت من قلة وفائه بالوعد

٢٢٦-١٤ غناها الافكار وهي ببيدة لقد غرّ الا بالقلوب لماها

والبيت في وصف « مهنة الاعطاف وسنى جفونها » فكيف تكون زيارتها غروراً للقلوب ؟ فالرواية الصحيحة هي ما جاء في النسختين الاخرين « لقد غرّ » اي ندر وقل فن القبول العدول عنها الى « غرّ »

٢٤٣-٦ هو المأثر المعنى فادات حوده تزين وغادات النوادي مفارضح

وقد اشكل علينا معنى « غادات النوادي » والغادية في اللغة هي السحابة تنشأ غدوة فكيف تضاف اليها المرأة الناعمة ؟ وفي الاصل « غادات القواني » وهو ما يترجع اثباته مع خفا . الرابط بين الشطرين ولا يتنع ان تكون الرواية الاصلية « غادات النوادي » يريد ان جوده اذا امطر كان وقته جمالاً في حين ان مطر النوادي يكون احياناً وبالأ ولبس في المعنيين على كل حال كبير طائل لحرص الشاعر غالباً على تزويق اللفظ وتزيينه ولو اخل بالمعنى .

٢٤٨-٦ يا ابا الملك الذي ولّيت قلمي ولاية حاكم متصرف

وجرى سواك من الملوك بلومه فحوت عن سبق مكان التصف

ولا محل هنا للوم في سبأه زعم من الملوك للاستيلاء على قلبه وادراكه بالاحسان والانصاف وفي الاصل « برومه » اي يطلبه وهو المعنى الصحيح الظاهر بادنى روية ومن الغرابة المدول عنه .

أوهام التأويل والتفسير

في هذا الجزء الثاني ، كما في الاول ، شرح ضافٍ يتناول تفسير الكلمات المفردة ومعاني بعض العبارات والايات ، على غير افتقارها أحياناً الى ايضاح وجلال لقربها من كل فهم . وربما تكرر تفسير اللفظة الواحدة عدّة مرار لغير داع . وكان الاولى ترتيب الالفاظ الفامضة في معجم خاص يُباحث بالديوان يرجع اليها القارئ عند الضرورة ، اجتناباً لكل تطويل وإملاّل . وكان الصناعة غلبت على الشارح ، وهو استاذ الادب في الجامعة - ولكل امرئ من دهره ما تمرّداً - فظن ان القراء كالطلبة يحتاجون الى شرح غالب الالفاظ والتبسط في التنبيه على المأني ، فأرسل نفسه على سجيّتها واكثر من التمليق والتحشية لغير حاجة . وربما اتفق له الاكتفاء بما يحضره من الجواب والمقاربة في توجيه الكلمة وتلخيص المراد بغير تكلف الرجوع الى امهات اللغة والاهتداء بأدلة القرائن ، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من التامع وقلة الاحتفال بالعلم ، فضلاً عن استنباط القارئ والشك في فهمه وذكاؤه . فلا غرو اذا استرعت النظر واستدعت النقد والجدل ، وقد قيل : من ألف فقد استهدف . ولو شئنا تتبع المواضع التي قضر فيها الشرح او ضلّ ، لامتد بنا جداً نفس الكلام واشتد سأم القارئ ، فلا بد من الاجترار بما لا يحلّو الإلماع اليه والتشيل به من الفائدة .

كفّل بيل اله ذو الكفّل
(ص ١٨ س ٦ ح ٤)

وفي الحاشية « الكفل الضمف » ، كذا دون ضبط ولا تعيين . وقد يتوهم القارئ ان الضمف ضدّ القوة . وهو مقتطع بناية العجلة من قول المعجم : الكفل الضمف من الاجر والاثم اي مثل مقداره . فاي معنى ترى يُستخرج من هذا التفسير ؟ وقد فاتته ان ذا الكفل هو المشار اليه في سورة « الانبياء » على اختلاف في تعيينه هل هو اليأس ام يوشع ام زكرياء . انما ذكره ابن الساعاتي حباً بالجناس بين الكفل والكفل وهو اكثر ما يحرم في شعره على تطلب مثل هذه الشعوذة اللفظية ، ومراده ان النبي نفسه لو عاين هذا الردف لم يبالك ان يسم به .

فاذا احتبّت خطباؤما في محفل

قال : « احتى جاس الفرفصاء ويقصد منا تراجع او قدمت عن الكلام . » ولم ينفل احد ان احتى هو مرادف قرفص . والاحتباء عندهم ان يشتل الرجل بشيء او يجمع بين ظهره وساقه بهامة ونحوها ، واكثر ما ينقله المخطباء والرؤساء في الاندية اذا ارادوا الكلام او الجلوس للناس . وبذلك مدح ابن الساعاتي القاضي الفاضل وزير صلاح الدين حيث قال :

اذا ما الاجل السيد الفاضل احتى ليوم حياء فالتى خلان والسحبا (ص ٢٠٨)

فن الغريب جداً بعد ذلك ان يفسر الاحتباء - وهو فعل المخطباء - بتراجهم وقدرهم عن الكلام اي بعكس المعنى تماماً . ومن هذين المصالحين المتقدمين تبيين المجلة التي خط بها الشرح احياناً قبل ان تنضجه نار الروبة والتأمل .

ثابت الآساس عادي البنا

(٣٢ - ١٧ - ٧)

قال في الحاشية : « لعله نسبت به الى عادياء بائي الاباق الفرد » ، واعاد هذه النسبة في تلمية . على يمين آخرين وردت فيها هذه الصفة « عادي البناء وهما ص ٤٦ س ٣٠ و ص ١٤٠ س ٣ ، ولا ندري كيف صح عنده في القياس شاء «عادي » في النسبة الى عادياء ولا افشى البنا بـ «اختيار هذا الاسم للدلالة على التقدم ومزجه بد ذلك البيت القائل :

ذو المجد الايمم والسنا الما دي الاقدم والمجل التبي الارفع (ص ١٢ س ٤)

فعاد الى رشده وقال : « العادي نسبة الى عاد » وبقى له مثل هذا التعريف بعد تردد وشك فيه في شرح بيت متقدم :

لاذوا بسادي السيادة لا كمدان نبترا مع البذل (ص ١٩ س ١٥)

فقال : « لعله لاذوا بذى سيادة قديمة عادية نسبة الى عاد » . فكيف لم يذكر هذين القولين في تلميقه على الايات الثلاثة المذكورة آنفاً ولم يبادر الى تصحيح غايه فيها ؟ وفي حواشي الديوان امثال ونظائر لهذا التناقض المعجب .

٦٩ - ٤٣ - ٣ وبكاء الراوي اذ فقهه إلا بريق من حسن نضمة الاوتار

ساجد للصليب منه وما يعرف دين الصليب والزنا

قال : « لعله يقصد بالصليب هنا الودك او ما يتحلب من الابريق فيكون معنى البيت : ساجد لحمره وليس من اهل الصليب والزنا اي المسيحيين » كذا بالحرط الواحد واعجب ما فيه تفسيره الصليب بالودك اي دسم الشحم واللحم ، وانتراضه سجد الابر يق لما يتحلب منه ، فليتهم من استطاع او شاء . وليته سكت تماماً عن مثل هذا التأويل السخيف ، وصان قلبه عن خطأ هذا التخليط الذي هو ادعى الى البكاء والقهقهة . وانما الصليب هو رسم النصرانية المعروف وقد نبتنا في كتابنا « الصليب في الاسلام » على عادة فخاري النصارى بمخط

رسمه بالطين الاحمر على البواطى واواني الخمر والشراب (ص ١٥ و ١٥) وهي العادة التي كانت لم تزل متبعة بدمشق في اوائل هذا القرن بالتصليب على آنية ماء. الورد المشهورة عندهم بالألوية. والمراد بتهمة الابريق صوت اندفاق الشراب من فمه حين يخفضه الساقى لاملأ الكأس وهم يكتنون احياناً عن هذه الإمالة والانحناء بالركوع ، فجعل ابن الساعاتي هذا الركوع -جوداً لصليب الراودق كما ينفل النصارى في الكنائس امام الصلبوت.

١٠٨-٦-١ فلما بالهوى حمام وحيي ولنا من ندى يديك ممد

يضبط وحيي يواو المطف وكسر الحاء من حيي بمعنى الحياة ولم يفتر كيف يكون الهوى قضاء بالموت والحياة في آن واحد. والصراب حمام وحيي فيل من الوحى والوحاء بمعنى الاسراع اي قضاء بالموت العجل السريع.

١١٠-١٨-٦ فلما انه قصد المطار لتأرجح لاصاب عين فصاده في الاكل

قال في الحاشية: «كذا هذا البيت في الاصل وهو مبهم ولعل الخطار جمع خطر اي السحاب اما الاكل فمروق في اليد يفصد ولعل ممتاء : لو انه قصد السحاب لمن لا ماء عنده لاصاب السحاب في اكله ففصده فصداً». ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذا المذيان واستعارة الاكل للسحاب من الفظة والخافة. ومن اقصى العجب تفسيره الخطر بالسحاب ، وهو زعم لم يخطر قط على قلب تقوي فن اي معدن جاء به ؟ والخطاب امون جداً من ان يحتاج فيه الى استنباط او اعتلان ، لان الخطار مصدر خاطر كالرهان زنة ومعنى ، ومقصود الشاعر ان المدوح حديد البصر في القتال لو شاء المراهنة على إصابة تأرجح بيد عنه في مقتله اي في الاكل وهو المعروف بمروق الحياة لفعل ويؤيد هذا الوصف قوله في البيت السابق :

يُفْضِي إِلَى السَّرِّ الْمُنْفَى فَوَازِهِ تَحْتَ السَّوَابِغِ فِي ظِلَامِ الْقَسَلِ
وَجُلٌّ ذَنْبِي عِنْدَ تِلْكَ السَّيْحِ حَبَّ عَتِيقٍ وَالْبَطِينِ الْاَتْرَعِ ١٢٣-١٩،١٨-٥

قال: «كذا رواية هذا الشطر في الاصل يشير الى حبه المنفى الكريم والبيد الفامض على الفية». وهو تمجّل لقوي في تأويل المتيق بالتقديم النفيس والبطين بالباطن الفامض ، ولو كان هو مراد الشاعر لقال حب المتيق بلام التعريف كما

ادخلها على البطين. ولكن ما يفعل بصفة الاتزع وهو في اللغة من انحسر الشعر
عن جانبي جبهته ؟ وكيف لم تنته هذه اللفظة التي قرنت بالبطين الى انه قد
ضل الطريق ؟ وانما العتيق ، كما يهله من له مشاركة في التاريخ ، هو لقب ابي
بكر اول الخلفاء الراشدين ، والبطين هو علي بن ابي طالب لانه كان معروفاً
بهظم البطن وصلع الرأس ، فيكون من ثم مقصود ابن الساعاتي ان يقول انه
سني وان ذنبه عند الشيعة ولاؤه للامامين المذكورين .

ومن هذا القول يتضح جيداً . معنى الايات الواردة في الصفحة ٣١٩ التي
ارتجلها في جدال احد الشيعة في « تأخير الامام » واجابته بقوله :

انظن تأخير الامام بصفة والنقص الاطراب لا الاشراب
زوج البتول ووالد السبطين والغادي النبي وجل عبد مناب

وقد اشكل معناها على الشارح ولم يهتد اليه من ذكر البتول والسبطين
اي فاطمة زوج علي بن ابي طالب والحسن والحسين ابني بنت الرسول .

لم تزل في كل حال كفة خدم المال وللاعداء نبي

قال في الحاشية : « كذا ولعله يقصد تسريح المال وتأسر الاعداء . »
والأسر لا يعبر عنه احد بالبناء . وانما اراد بالبناء مقابلة الهدم الذي كنى به عن
الإنفاق لحرصه في معظم شهره على الاستكثار من فتون البديع كاللقابلة
والطباق والجناس ، وسراده هنا ان المدحوح يهدم صرح امواله بما بينه من
الحصون والمعاقل لدفع الاعداء .

ان عاد صبحي وهو ليل داس فيها صحبت الليل صبحاً سرمداً

قال : « اي ان عاد صبحي ليلاً فلكثرة ما اصابني من الحوادث » وهو
خلاف ما اشار اليه في المعجز اي ان عاد صبحي اسود بعد فراق الاحبة فطالما
كان ليلى صباحاً بطيب لقائي لهم ونظري الى صباحة وجوههم .

هر المتضي دايماً والمتضى الشبا وقد عز من يدعى واعوز من يمدى

وفي الحاشية : « كذا الاصل وانتصى بمعنى طال وارفع » . وهو ما يدل
على ان ضبط المتضي بالضاد في المتن هو من غلط الطبع وان الصواب المنتصى
بالصاد المهملة وتفسيره انتصى بمعنى طال وارفع هو غلط ثانٍ لان كلا الفهين

لازم لا يتعدى الى مفعول ثانٍ . والصواب انتضى اختار وروايته المنتضى الثانية بالالف المقصورة على انه مفعول هو غلط ثالث بدلاً من المنتضي بالياء بصيغة الفاعل يصف ممدوحه بانه يجيب مختاراً من بدعوه ويستل سيفه لشجرة من يستمديه .

٣٠٥-٢-٤ قدك لالوم قد عجزت عن القول ل وان كنت ليس بفري فري

قال : « كذا الاصل وفي فري اضطراب في القافية والمعنى . ولعله يريد به لا احد مثلي » . قلنا ليس هنالك اضطراب وفي اساس البلاغة : « فلان يفري الفري اذا اتى بالعجب » فحق القافية ان ترسم فري يباين بالاضافة الى ياء المتكلم اي عجزت عن القول وان كان لا يقدر احد ان يأتي بالعجب بما أحسنه من الكلام .

٣٢٦-١١-٧ تخلي الشؤون وشأن إدراي على دار حلت براتبين موظف

قال : « اما لفظة موظف فهي كذا في كل النسخ ولم نمتد الى المراد منها » قلنا هي صفة إدراي اي إدراة معين مقدر على دار الرقتين .

٣٥٠-٩-٤ لا في النفر اذن ولا في المير ممدود ولا في القدر والحل

وفي الحاشية : « قولهم لا في المير ولا في النفر مثل يضرب لمن لا يدله في الاسر » والصحيح ان المثل الذي يضرب بهذا المعنى هو قولهم لا ناقة له فيها ولا جمل . واما « لا في المير ولا في النفر » فيضرب لمن لا يصلح لهم وللرجل يُحطّ امره ويصغر قدره وشتان بين المصنيين .

٣٦٦-١-١ حتى صدني يوم فدي اخاك واعقبته فاقته الأود

فسره بقوله : « حرّ لوعتي على اخيك قوس ظهري ثم جاءت مصيبتك فقومتها بجزارتها » ولا نفهم كيف ان حرّ اللوعة الاولى يقوس الظهر وحرّ اللوعة الثانية يقومه بعد ذلك بل هو اخلق ان يزيد تقوساً وانحناءً . والمعنى الصحيح ، ظاهر بادني تأمل : ان ميلادك عقب اخيك كان عزاء لي وقواماً لأودي وكتباً لاعدائي ولذلك اضاف في البيت التالي :

وامت ما فاتني منه فنيك بمات العدى وحياة الحد

٣٩٦-١-١ انه من سلاله الزنج والروم يبرها ترصيك املاً ونجلاً

قال : يشع هنا الى الدواة ويشبه صفرتها بالروم وسواد حبرها بالزنج .
وهو تفسير لم يوزق اقل حظ من الروية والتدبر . والضمير في امه راجع الى
القلم الذي نقتله قبلاً بقوله :

ناطق وهو اخرس جب لل ل جزيلة ويمح الفول جزلا

ويضي بأمة الدواة . ومن اشد القرابة ان توصف بالصفرة وقد صرح في
البيت التالي بقوله فيها :

فهي أخت الليل البهيم فقد تغطها بالنجوم خبلاً ورجلاً

اشارة الى انها كانت سوداء كالليل اي من الآبنوس مسقطه بالذهب
الذي كنى عنه بالنجوم ولذلك قال انها من سلالة الزنج وقد عدّد المقرئ
انواع الدوي في الدول المصرية وذكر بينها « المعولة من الذهب والفضة
والصندل والعود والآبنوس الزنجي والعاج . . . (الخطط ٢ : ٢٦٤) والآبنوس
الزنجي هو الذي وصفه ابن الساعاتي ولذلك قال ان ام الدواة من سلالة الزنج
فكيف تكون الدواة صفراء ؟ اما يتوها اي اقلها فكانت كسائر الاقلام
صفراً ولذلك جعلها من الروم الذين كانوا يعرفون ببني الاصفر وليس للحبر
ذكر في هذا الوصف كما توهم الشارح وهذه الايات تقدمت على بعض اختلاف
في الرواية في الجزء الاول من الديوان (ص ٢٣٠) فلا شك انها كانت مقتضبة
من هذه القصيدة وهو ما كان ينبغي ان ينبّه عليه في الحاشية .

وقد ضربنا صفحاً عن كثير من الايات التي غلب على شرحها الارتباك او
الوهم وانما المهم قبل الشرح صحة المتن وحسن ضبطه وسلامته من الحلل
والتعريف والنقص ، خلافاً للتفسير فانه فضلة او فضول يأخذ منه القارئ
الليب او يدع ما شاء . وكان احرى بالاستاذ الاقتصاد على شرح ما اعتاص
فهم حقيقة ، والتجاوز عن السهل الظاهر منه ، ولو فعل لسان قلمه وعلمه عن
شبهات الزلل والتقصير في ما فرط منه سهواً ، ولاذخر الوقت الذي اضاع عبثاً
في كتابة ما يُستغنى عنه للتوفر على اطلالة الروية في شرح التامض والمجهم من
الالفاظ والمعاني التي توقف واحجم عنها حائراً ورجلاً وقوف من هابت اللجة
فخاض في الساحل . ونحن نعلم ان بين هذه الالفاظ والمعاني المستقلة ما لا

يضطلع احد مجلّ مشكله واماطة الحجاب عنه وتسديد ما تشوّه باقلام النساخ
الا ابن الساعاتي نفسه لمعرفته بما كانت تعنيه هذه التباير في زمانه او ما اضر
فيها من الخواطر والرموز وقد سبق وحذّر من يأتي بعده من القراء والشرّاح
ان يضلّوا في مجاهلها حيث قال بلسان العجب والحيلة :

ان الفاظي التي يشهد الفضل لها احدا الكواحل فضلا
وسانيّ لو يسير اليها الفهم يوماً بغير هادٍ لضلّا

وفي هذا القول عذر كافٍ لكل من تعذّر عليه فهم بعض ابيات الديوان
ولم يهتد الى حل كل الفازة ومعنياته .

اوهام الاعلام

٣٣-٤ « عز الدين موشك » بالشين بدلاً من موسك بالسين المهملة وهو عز
الدين بن جكو المتوفى سنة ١١٨٩/٥٨٥ احد امراء صلاح الدين الايوبي وموسك
هو تصغير موسى كما قالوا جعفر ك في جعفر .

٧٢-١٢-٥ روى انه جيش الانتكثار بروحه فيكفيه ما فيها من البرد والثلث

قال في الانتكثار : « كذا الاصل والملحق » قلنا هذا الاسم عُرِف به
الانكليز في الحروب الصليبية واول ما سمع لاشك في تعريف ديشار ملك
Angleterre والالف فيه عمالة بين الفتحة والكسرة ولذلك كان بعض الكتاب
يرسمونه احياناً بالياء اي انكثير كما في كتاب الفتح القدسي مثلاً لهاد الدين
الاصبغاني وقد رواه ابن الساعاتي مرة بهذا الرسم في ثلاثة ابيات قالها في
صلاح الدين اولها :

ملّ عنه قلب الانكثير فان في خفائه ما شئت من انباء

وفي الحاشية : « الانكثير اي الانكليز ولعل الانكثير والانتكثار واحد »
فكان الاولى به ان يستدرك تعليقه الاول ويصححه قبل الطبع .
٧٩-١٥-٣ « شقة للفطاس » قال : شقة الفطاس اي بعد مسافة مصر « ولم
يذكر ما هو الفطاس ولا اين ورد تعريفه وما تخال هذه اللفظة الا تحريف
« الفسطاط » بمصر وهو الاشبه .

وفي عنوان هذه القصيدة « وكتب اليه ينشوقه وينشوق دمشق » والضير في اليه راجع الى ابي الحسن علي بن نظيف الذي قيات فيه القصيدة السابقة (ص ٧٧) وهو سر ظاهر والصحيح ان القصيدة المعنونة مع القصيدتين التاليتين: (معاليك اعلی ان يحيط بها الرصف) و (سرت بدر تم في سحاب من النقب) هي في ابي الين تاج الدين الكندي لورود ثلاثة ابيات منها صرح فيها بكنته واسمه وهي (يا ابا الين وهل منقبة) و (ابا الين جادتك الفرادي وعرست) و (تجافت عن الكندي قلت لها حبي) وقد علق الشارح على هذا المعجز الاخير « الكندي هو المدوح (حاشية ١) فكيف لم يتنبه الى تصحيح العنوان مع معرفته ان كنية علي بن نظيف هي ابو الحسن وليس ابا الين.

٨١ - ١١ لدا وادجا بعيني شاما شغفا قلمي المتى شرفاها

كذا شغفا بالتونين بدلا من شغفا شرفاها على لفة « اسرورا النجوى الذين ظلموا ». وقال في تفسير : « شرفاها اي جلالها والشرف المكان العالي ». وانما الشرفان هنا من متزهات دمشق القديمة وهما الشرف القبلي والشرف الاعلى ، وقد ذكرهما ابن الساعاتي مرة اخرى بقوله :

والشرفين والمصلبي وذرى ربوعها والزهدي من ميدانها (ص ١٣٤ س ٦)

وفي الحاشية : « ان هذه الاعلام اماكن معروفة بدمشق » فكيف لم يتذكر تفسيره السابق ليصلحه ؟ وقد اتفق له غير مرة شروح مختلفة على اللفظ الواحد .

١٦٩-١٧-٦ واذا ما تلوت ايات وجددي ثم فاجعل عين السهم سما

قال : « لعله يريد بالسهم الاولى ما اصابه من عيون الاحباب » (كذا) واغرب من هذا التفسير قوله في شرح البيت :

فالشرف الاعلى بينه شرفا والسهم هم والمدموم قتل (٣٩٠ س ٥)

« السهم الكوكب المعروف بالرامي » وهو صنيع من يقتصر على تفسير الالفاظ المفردة بتقل ، ورد من معانيها في كتب اللغة ، بقطع النظر عن مناسبتها للمقام او انطباقها على مراد الشاعر . وقد وقع الشارح كثيرا في مثل هذا الذهول ، ولنظر اي معنى يستخلص من ذكر الكوكب المعروف بالرامي في

جنب المذموم ومقتلها. ولكنه ما عثم ان احس بما في تفسيره من البعد والمجازفة فقال على الاثر : « لعله اسم مكان » وقد ذكرنا في تقدمنا للجزء الاول من الديوان تحليطه وخبطه في تفسير اسم السهم وان هذا العلم كان احد متزهات دمشق القديمة المتصلة بارض الصالحية .

٢٠٠-٥-١ ولي قاب جميع هواه نجد وقدما كان بطربه الحيار

وفي الحاشية : « لعله يريد بالحيار جمع حير وهو البستان او الحيرة وهي الارض المخضرة وهو على كل حال غير واضح » قلنا يمتنع في اتقياس جمع حير او حيرة على حيار فكيف صح عنده هذا التقدير ؟ وانما الحيار صقع من بركة قسرين على يمين من حلب ذكره المتنبي في شعره وبه يتضح المعنى .

٢١١-١-١ « آمد بلدة قرب ديار بكر » وانما هي اليوم مدينة ديار بكر نفسها ولذلك يدعى الاتراك بلدة ديار بكر « قريه اميد » .

٢٩٤-١٢-٥ صاح لا تبكين زرودا فا ابد بعد الفراق منك زرودا

قال : « زرود علم فتاة » قلنا : استنوق الجمل زروود ومال بطريق الحاج من الكوفة بين الثعلبية قدماً والخزمية (معجم البلدان ٢ : ٩٢٨) وفيها قال ميار :

ولقد احب الى زروود وطبتي من غير ما حبلت عليه زروود

واليها اشار صاحب الديوان بقوله فيما بعد :

طلعت عادات النيب ليلة انست ليالي عالج وزروود (ص ٢٧٧)

٤٠٣-٨ « وقال ايضاً وكتب بها الى صفى السدين بن شكر » بفتحين والصواب شكر بضم وسكون ، وهو وزير الملك العادل اخي صلاح الدين الايوبي ولابن عنين في هجائه :

ضاع شمري وقل في الناس قدري من وقر في باب التميم ابن شكر

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٨١)

الالفاظ الدخيلة والمحدثة

كنّا ، في ختام كلامنا على الجزء الاول من هذا الديوان ، علّنا الامل بان يطرفنا الاستاذ في ختامه بفصل وافٍ يملّئ فيه ما شاء علمه ونظيره من التنبهات والاستدراكات على لغة ابن الساعاتي وما تحفلها من الاسماء المولدة والصيغ الطارئة على القياس والافعال والمصادر التي نهج فيها منهجاً جديداً وتوسّع في تعديتها وتأويلها ، ليكون القراء على بصيرة من امرها وبينّة من معناها وصحة استعماله او خطاها فيها . وهي الخدمة التي سبق لمثلها المستشرقون الاعاجم في كل كتاب عربي تولّوا طبعه ، واصطلحوا على إلحاقه بفهرس خاص لكل الالفاظ الواردة فيه بمعنى لم يُنبّه عليه في المعجمات العربية . ولا ينبغي على احد ما في هذه التنبهات والشروح من الفوائد والقيود المينة على جمع تاريخ محيط باللغة في حضارتها وتطورها في كل قرن من القرون التي توالى عليها منذ الهجرة ، يستمين به الطالب لتفهّم آثار الشعراء والكتّاب والمؤلفين في عهد الخلافة العباسية في العراق ومصر الى انقراض دولة المماليك . وكل من عانى درس سجلّات هذه الحقبة بين مطبوع ومخطوط يعلم ما يمترض احياناً دون استيضاح بعض الفاظها وتمايزها من الشبهات والمصاعب ، لاستفلاق مفراها ومدلولها ، وهي لم ترد في كتاب موضوع لنظائرها واشباهها ، ولا عني احد من المتقدمين بجمعها وتفسيرها لمن يأتي بعده . واول من تفتن لها حقيقة وتبّع شواهدا في كتابات المصدر السابقة وعاقى عليها التعليقات الضافية المستشرق الفرنسي كاترمير في ترجمته تاريخ المماليك وتبعه الهولاندي دوزي فقيّد شواردها وجمع أوابدها في معجم حافل في مجلدين كبيرين دعاه « تكملة المعجمات العربية » . ومع كل ما استقرأه واسترعبه منها لا تزال منها بقايا جمّة وذيمن مبعثرة في مخطوطات الآداب الاسلامية الى قيام دولة الاتراك العثمانيين . فاذا أريد متابعة التفتيح عنها وتوزّع مشاق استقرارها والاحاطة بها ، لا بد لكل من يتصدى في الشرق لشر مؤلف قديم لاحد الكعبة والمؤرخين او ديوان مجهول من دواوين اكابر الشعراء السابقين ، ان يتحرّى كل الالفاظ الطارئة والدخيلة والمولدة التي تمرّ به اثناء

التشيل مما خلت منه كتب اللغة ويبذل جهد الطاقة في تفسيرها والوقوف على معناها. فاما اليوم ، وقد اغفل الاستاذ المقدسي هذه الخدمة الجليلة وآثر التوسع في تأويل المعاني حتى في الايات التي لا تعرض فيها ، فحسبنا ان نجتري من الكلام على كل ما في ديوان ابن الساعاتي من مواضع النظر والاستدراك بالاشارة الى ستة الفاظ فقط دخيلة او محدثة وردت في اثناء الشعر، لما في التنبيه عليها من الفائدة ، وقد ضرب الشارح عنها صفحاً او لم يهتد الى الصواب فيها :

١ برردار

جاءت في البيت المذكور في الجزء الاول :

لا حجاب سبياً برردار الدجى الخجبه شا حنود الصباح (ص ١٠٨ - ١٠٩)
وهي من الالتصاف السابقة لارباب المناصب في الدولة المصرية يكون صاحبها « في خدمة مباشري الديوان في الجملة متحدثاً على اعوانه والمتصرفين فيه... واصله « فرددار » بقاء في اوله وهو مركب من لفظين فارسيين احدهما « فردا » ومعناه الستارة والثاني « دار » ومعناه مملك والمراد « مملك الستارة » وكأنه في اول الرضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل الى الديوان^(١) ، وشاع بعد ذلك استعماله في الاصطلاح بمعنى الخاجب والبراب وربما قيل احياناً « برردار » بدال واحدة تخفيفاً قال ابن النديم :

انت يا ليل حاسي فاحجب الصبح وكن انت يا دُجى بررداراً

٢ قدس

كتب ابن الساعاتي الى بعض الاكابر وقد ارسل اليه خلة :

« ولاي قد جاءت الي الخلة المقدسة

يصحبها الشربوش سبحان لطيف قدسه (٢ : ٧٢ - ٣ - ١)

قال الشارح : « قدس من القدسة وهي خشبة يستعملونها في بناء القناطر فيكون معناه سبحان من رفقه بالقدسة » - قلنا يا سبحان الله كيف يعقل ان تحمل الخلة يصحبها الشربوش - وهو قلادة طويلة - مرفوعاً بالقدسة اي

بجسبة البنائين ؟ واي معنى لمثل هذا الصنف يصلح ان ينظم شعراً ويسبح الله من اجله ؟ انما كان الاولى الإغضا. عن هذه اللفظة والسكوت عنها كما سكوت عن الفاظ كثيرة في الديوان لم يُرَ لها وجه ولا تفسير ويُترك للقارى حل مشكلها اذا وجد اليه سبيلاً ؟ والحقيقة ان « قندسه » فعل اشتق من كلمة « قندس » وهو لفظ فارسي يكتب ايضاً بالزاي بآخره اي قندز لكلب الماء. اورده غلطاً صاحب محيط المحيط براء. بآخره . وكان يُتخذ من جلده قدة كالزريق يطوّق بها الشربوش فمضى قندسته طوقه بقدة من جلد القندس . وقد اشار القريري الى القندس في صفة للطاقيّة في دولة المماليك فقال : « وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيتاً من فرو المرقض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع »^(١).

٣ طلب واطلاب

وردت لفظة اطلاب جمع طلب في ثلاثة ابيات وهي :

كتائب كُتِبَ احبان برساها اطلاجا في طلب الامر اسطار (٢٦٤: ٦ -)
قيل كتائب سطور كتابه فكأنما اطلابه اسطاره (٢٧٧: ١١ -)
كم اثار من قسطن فبرى من فوق اطلاجا تراباً ورمل (٢٩٥: ١٤ -)

وفسر فيها الاطلاب بانها جمع طلب اي طالب قال : « ولعله يقصد ان سطور كتبه تطلب الاعداء كالجيوش » ومثل هذا المعنى الغريب لا يحظر في خاطر ابن الساعاتي وقوله جمع طلب بالسكر غلط آخر . والصواب جمع طلب بضم الطاء وهي لفظة دخيلة نشأت في دولة الاتراك والاصكراد وفسرها القريري بقوله : « الطلب بلفظة الفز هو الامر المقدم الذي له علم معقود ويوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارساً »^(٢) . ثم أطلقت على فرقة الجيش ولا سيما في دولة الايوبيين ، ووردت كثيراً باقلام مؤرخيهم كالكتاب عماد الدين الاصبهاني ، والقاضي بهاء الدين بن شداد . قال عماد الدين : « رتب السلطان ثمانية اطلاب من الابطال وكمن بتلك الارجاء كيلة الرجال

(١) المخطوط ٣ : ١٦١

(٢) ١ : ١٢٦

وانتخب من كل طلب عشرين فارساً^{١١} و «عطفت المساكر المنصورة طلباً
 لتلك الاطلاب»^{١٢}، و «سار السلطان باطلا به وابطاله»^{١٣} وقال بهاء الدين :
 «كان صلاح الدين اذا اشتد الحرب .. يحرق المساكر من المينة الى الميرة
 ويرتب الاطلاب»^{١٤} و «كان يحول بفرسه من طلب الى طلب ويحث الناس
 على الجهاد»^{١٥} واشتق الكتاب فعلاً من هذه اللفظة فقالوا طَلَّب اذا رَتَّب
 الاطلاب ، قال عماد الدين في كلامه على الصليبيين : «رتبوا الرجال وطلبوا
 الفرسان»^{١٦} . وقال صاحب ضياء الدين بن الاثير : «لم يلبث خصره ان ركبوا
 وطلبوا وقصدوه»^{١٧}.

٢ الصغار بمعنى الصفرة في اللون

ورد مضبوطاً بضم الصاد في البيت الآتي في وصف الدينار :

وأخاف قلب العين حتى شابه ذاك الصغار لياؤ ان يُغزنا (١٣-٤٦: ٣)

وهو بالضم داء بالبطن كالصغير . واما اذا أُريد به صفرة اللون كما في
 البيت المذكور فالصاد مفتوحة قياساً على ما جاء على وزن فَعَال من الالوان
 كالبياض والسواد ، وهو بهذا الاستعمال مولد عامي وقع فيه غير شاعر من
 المحدثين والمتأخرين كبط ابن التعاويذي في وصف رقعة صفراء بقلم دقيق
 قال :

لا تشكرن صفار قرطاسي اذا واني اليك ورقة المکتوب (٨)

ولمجيء الدين بن تميم في وصف كأس المدام :

وما كان هذا لونها غير انها علاما لطول الاشارة صفارها

(١) الفتح القديسي ١٨٤

(٢) ٢٠٢-٢٠٢

(٣) ٢٥٢

(٤) التوادر السلطانية ١٥

(٥) ١٥٥

(٦) الفتح القديسي ٢٠٢

(٧) الثاني من ترسله ، في المزاينة الشرقية ٣ : ١٦٢

(٨) ديوانه ص ٥١

(٩) خزائن الادب لابن حجة ٢٥٦

• أوّلة بمعنى اول

وردت لابن الساعاتي في قوله :

ثانية مرّها ما حلا وأوّل مرّها ما أخذ (٣: ٢٦٦-٦٧)

وفي الحاشية عليها : « كذا في كل النسخ وهو خلاف القياس وأصلها أوّلة بمعنى سابقة من أوّل » ولم يذكر ابن وجد أوّل : بمعنى سبق . ومن الغريب الذي لا يُقبل صدرر مثل هذا التسرع والطيش من قلم استاذ الادب في الجامعة ، ولديه امهات اللغة ودواوينها . وقد كان يكفيه ان يفتح اساس البلاغة ليقرا فيه قول الزعشمري : « تقول جل أوّل وثاقه أوّلة اذا تقدما الابل »^(١) ولو بحث ونقّب في كتابات المتقدمين لوجد ان ورود « أوّلة » في مكان « أولى » باقلام بعض الكتاب والمنشئين فضلاً عن الشعراء غير قليل ، ومنه قول انقاضي التنوخي في كلامه على الجرايات التي اطلقها الوزير حامد بن العباس على البوابين في داره : « فقال له وكيل الدار : ان الجرايات لما تضاعفت جعلوا الاوّلة لسيادتهم في كل يوم وصادوا يحجمون الثانية عند القصاب »^(٢) وقال ايضاً في اخباره عن الوزير ابي الحسن بن الفرات : « وضرب الدهر ضربه وولي الوزارة الاوّلة »^(٣) ومثله قول هلال الصابني في حديثه عن مفتّيتين : « اجابت الثانية الاوّلة مجواب في وزن الصوت وقافيته ومناه »^(٤) وقال ايضاً في موضع آخر : « يلقاه بعد يوم فيكون حاله معه مثل الحال الاوّلة »^(٥) ونظيره ايضاً قول ابن القلانسي : « فيها (سنة ٥٣٧) وردت الاخبار بظهور متملك الزوم الى الثغور دفعة ثانية بعد أوّلة »^(٦) ، ومن استعملها كثيراً أسامة بن منقذ في كتابه « الاعتبار »

(١) اساس البلاغة ١ : ٢٥

(٢) نوار المعاصرة ١ : ١٥ ومثله ايضاً ص ٩١ و ٩٢

(٣) نوار المعاصرة ١ : ٢٨

(٤) تاريخ الوزراء ١١٠

(٥) تاريخ الوزراء ٣٧٨

(٦) ذيل تاريخ دمشق ٣٧٦

٦ تلاف بمعنى تلف

جاءت هذه اللفظة في مطلع قصيدة في مدح الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي :

ما على الركب من تلامي تلامي بين تلك النصور والاحفاف (٢: ١٨٢-٤)
فعاى عليها الشارح : « اي من نذاك قبل ان اتلف وتلاف لتلف ليست
في كتب اللغة » (حاشية ٢) وفاته ان يذكر ان تلامي الاولى هي مصدر تلامي
اي تدارك وان تلاف بمعنى تلف قد وردت كثيراً باقلام الكتاب والشعراء
كابن عتيق في خطابه الملك المظفر عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب :
انظر اليّ بين موك لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلامي (١)

وجاءت ايضاً في ابيات للقاضي عبد الرحمن بن فرفور الدمشقي منها :

صابرته فالجسم في لوى تجلدا والقلب في مريض
فاذ ابي الا تلامي وقد احلني منه محل التفيض...
سللت للاقدار مترعاً لباب مولى ذي عطاء عريض (٢)

ومن الغريب الذي يجدر التنبيه عليه خاصة ان ابا العلاء المعري ، وما احد
يجعل تضلعه من اللغة ورسوخ قدمه فيها ، قد استعمل كثيراً لفظة التلاف في
النثر والنظم وأولع بايرادها بمصدر تلامي حياً بالجناس كقوله في رسالة
الفقران : « لا تلامي بُعيد التلاف »^(١) وقوله في كتاب اللزوميات :
وهل أَلَمْ وداداً رُمَّ من شَمَشٍ وقد لمحت تلامي في تلافيكما (٢)
وله ايضاً :

تلاف امرك من قبل التلاف به فناية الناس في دنياهم التلاف (٣)

وقال ايضاً :

(١) ثمرات الاوراق لابن حجة ٢٤

(٢) نفع الطبيب للسفري ١ : ٢٤٤

(٣) رسالة الفقران ١٢٢

(٤) اللزوميات ١٨٦

(٥) اللزوميات ٢١٠

توافقت اليهود مع النصارى على قتل المسيح بلا اختلاف
وما اصطاحوا على ترك الدنيا بل اصطاحوا على شرب السلاف
تلافينام بالقول فيه فجاءم التلافي بالتلاف (١)

وهي ترد كثيراً في كتابات المولدين ويظهر انهم اجروها بحرى الهلاك
والدار والتباب والحار ، وهي واردة كلها على وزن فعال بمعنى واحد . وقول
الشارح « تلافى » اي من ندائك قبل ان اتلف « هو تفسير ندر من القلم بغير
ادنى روية ، واي محل للندى هنا وقد صرح الشاعر انه يؤثر التلف والهلاك
« بين العصور والاحقاف » كناية عن القامات والاراداف .

وفي الديوان عدة افعال ومصادر واسماء وصيغ وجمع انفرد ابن الساعاتي
بأخذها شذوذاً ، او اجراها بحرى القياس وحملها معنى لم ترد به او اخرجها
عن مألوف اللغة واحكامها لضرورة في الوزن والقافية ، اشار الشارح قليلاً الى
بعضها كالأرن للنشيط (٢ : ٢٢٨-١٠) والصين (٢ : ٤٧-١٣) ورووس
فعل من ساس (٢ : ٥٠-١٠) وقضوب بمعنى قاضب اي قاطع (٢ : ١٨١-١)
وغرم (٢ : ٢٤-١٨) و (٢ : ١١٧-٩) وتروج (٢ : ٢٨٧-٩) على ان ابن الساعاتي
ليس اول من اشتق قياساً صيغة فعول للمبالغة من افعال لم تنقل فيها او لم
تقتص وهي كثيرة لغيره من الشعراء والكتاب وفي إقرارها وإحلالها -
وفائدة في اللغة ، ولكنه احدث معها صيغاً أخرى على غير اساس او مثال سابق
كقولہ : إيا . مستأصر (٢ : ١٦٥-١٤) ومنهل مستأسن (٢ : ٢٧١-٨) ومكبد
من أصيب بكبده بدلاً من مكبد (٢ : ١٣٨-٧) ودوطى . زليل اي يُزل فيه
(٢ : ٢٩١-٢٣) وروادف فنم كأنها جمع فعلا . بمعنى ممتلئة وهي لم تنقل
(٢ : ٣٧٩-٧) وليان اي لين (٢ : ٤٧٩-٨) ومسيوف مفعول من سافه ضربه
بالسيف كما قالوا مديون من دان (٢ : ٣١٥-٨)

ومن الافعال التي تستدرك عليه : لهيت بدلاً من لهرت بالواو (١ : ٦٠-١٤)
وعلق الخبل باسقاط با . الجر (١ : ١٧١-١٠) ونجوت من الاشجان قلباً في
مكان نحيب او انحيب (١ : ١٧٧-١٦) وامليت الشوق دمعي بغير على

(١: ١٨٢-٣) واحتلف انتمـل من الحالف (١: ٢٣١-٢) «ولا نبت مصر»
 ركائي عن مصر في معنى باعد والفعل لازم (١: ٢٨٢-١٣) وشبه في موضع
 شبه بالنشديد (٢: ١٣١-١٤) ورفع الدماء الكثير اي ابلغه (٢: ٣٣٩-٦) واطنوغى
 افعل من الطفيان (٢: ٣٣٣-٣) وتسبق العلم (٢: ١٣٠-٧) ونائر الخطى
 (٢: ١٧٩-١٣) واخصب جملة مخصباً والفعل لازم واسمن بمعنى سمن (٢: ٣٤٧-١٦)
 ونائل يتنجج اي يفيض تفعل من نجّ (٢: ٣٥٦-١٤) ويُبخت اي يهدمه من
 البخت كلمة فارسية بمعنى الحظ (٢: ٣٩٠-٢)

ومن المصادر طعن خلّاج (١: ١٥٣-٢) والابتداح من ابتاح وهو غير منقول
 (١: ٢١٩-٨) والحناعة بدلاً من الخنوع (٢: ٢٥٨-١٢) وكبراهاً في تقيض
 طوءاً وهو لم يرد في اللغة (٢: ٨١-٢)
 وقد سكت الشارح عن كل هذه التجوزات والمغاينات فلم يُشر اليها
 بحرف واحد .

IBN AL-UKHUWWA : *The mu'ālim al-qurba fi ahkām al-hisba*. Edited by REUBEN LEVY. University Press, Cambridge, 1938. pp. 112+247, in 8°.

كتاب معالم القرية في احكام الحسبة

تأليف محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الاخوة

عني بنقله وتصحيحه روبن لوي . طبعة دار الفنون بكمبرج ١٩٣٧

النص العربي ٢٤٧ ص - والنص الاسكاذبي ١١٢ ص . ق . ٨

ان معلوماتنا قليلة عن شخصية المؤلف وقد توفي سنة ١٣٢٩ م (٨٧٢٩). وضع هذا الكتاب لمساعدة المحتسب، وهو الميل المهود اليه في الدولة بأمر مراقبة تطبيق الشرائع والقوانين وذلك في القرون الوسطى وما بعدها الى عهد غير بعيد منا .

واليك شي . من ابحاثه :

في الحر والالة المحرمة (الباب ٣). في الحسبة على اهل الذمة (باب ٤). في الحسبة على اهل الجنائز (باب ٥). ثم يتناول الحسبة على مختلف اصحاب الحرف الغذائية من فرّانين وجزارين وطباخين وقلالي سبك وقلالي زلايصة وحلوانيين ولبانين وزارين الخ. (باب ١١ الى ٢٨). والحسبة على مختلف اصحاب الصناعات من حياكين الى حرييين وقطّانين وكتّانين وضّاع وساكفة الخ. (من باب ٣٠ الى ٤٠) ثم الحسبة على سائرة البيد والجواري والدواب والدور (باب ٤١) وعلى الاطباء. (باب ٤٥) وودي الصبيان (باب ٤٦) الى غير ذلك من مختلف الحرف الحرة والتجار وسائر الاشغال . فلا يترك عملاً الا حدد واجباته ونظامه وما يترتب على المحتسب من مناظرة وتدقيق فيه .

ولا يخفى . ان مثل هذا الكتاب من فوائد شتى للباحث عن الحياة الاجتماعية في الاسلام، وتنظيمها . فجاء احسن دليل واثبت حجة لما كانت عليه العادات والتقاليد في ذاك العهد . وقد نقل الناشر الى الانكليزية أهم ما ورد في تلك التنظيمات وذيل كتابه بفهرست لبعض اللفاظ التي تكثر فيها . فاستحق الكتاب كل الثناء وجاء في مكانه من سلسلة المنشورات الشرقية التي قامت بها جامعة كبريج لاهياء ذكرى الاستاذ جيب الشهير .

Collection of Oriental Writers on Music — IV. Ancient Arabian Musical Instruments. As described by AL-MUFARRĠĠI (UN SALAMA)... *Kitāb al-Malahī*... Text... edited by JAMES ROBSON, M. A. — Notes by H. G. FARMER, Ph. D., M.A. The Civic Press, LTD. Glasgow 1938 pp. 19 + XXIII pl. in 4°

كتاب الملاهي

تأليف أبي طالب المفضل بن سلمة النحوي (الناووي)

هذا الكتاب صورته على المخطوط الوحيد الموجود في استانبول ، ونشره بصورة الاستاذ جيمس روبسون ، مدرّس العربية في جامعة غلاسكو ، وترجمه الى اللغة الانكليزية معلقاً عليه شروحات اضيف اليها غيرها من الحواشي المختصة بآلات الطرب بقلم هنري جورج فارمر . وطبعة الكتاب جميلة ، تمتازة على ورق صقيل بالقطع الكبير . ولم يطبع منه سوى ٢٢٥ نسخة ؛ ولوحات الصور عددها ٢٣ تشمل صفحات المخطوط العربي (٤٤) اما ترجمتها بالانكليزية والتعليقات عليها فتستغرق ١٩ صفحة . قابلنا بين الاصل وترجمته فرأينا الامانة والموافقة بين لغة ولغة على صعوبة المشاكل التي تفتقر تفسير المتن العربي وهو من القرن السادس عشر (التاسع من الهجرة) اما نسخته فهي جميلة واضحة بيد ياقوت المستعصي خطاط الخليفة المستعصي في بغداد ، وكان المؤلف ابن سلمة قد تعلم على ابن العربي وتعلب وابن السكيت وكان مذهبه في النحو مذهب اهل الكوفة . ولما كان الكثيرون من العرب يعتبرون آلات الموسيقى محرمة ، سوى الطبل والطبورة للحاجة اليها بالحرب ، أخذ المؤلف نحو ربيع الكتاب لدحض زعمهم . ثم جاء في سياق الكلام على ذكر الآلات الموسيقية المستعملة عند العرب ، وقد رأينا ان نذكرها عن الكتاب لما فيها من الافادة للفترة والفقهية ، محرّضين القراء على مراجعة مصادرها في الاصل . واليكها : الطبل ، العود ، المزرف ، الطنبور ، الزمار ، القصبة ، الدف ، الكران ، المزهر ، البرباط ، الموتر ، المرطبة ، الدربجة (كالدربكة) ، الون ، المشتق ، المزمر ، الزمارة ، الناي ، الميران ، القصاب ، اليراع ، الزنبق ، الهنبة ، الكتارة ، الكبر ، الكوبا ، المزقة .

وجاء العود في مقدمة آلات الطرب وامهاتها. فروى فيه ابن سلة حكاية بربرية وحشية تبكي وتدهش كأنه بها يصف وصفاً قصصياً واقصياً المواطن الثائرة في نفوس عشاق فن الفناء بين شفقة وقساوة وسمو وترهد وقنوت وتشوق وافرار وارتراح وحياة وموت قال : (ص ١٧ من المخطوط ، لوحة IX)

« ذكر هشام بن الكلبي ان اول من عمل العود فضرب به رجل من بني قابيل ويقال قابين بن آدم يقال له ملك وكان عمر زماناً طويلاً ولم يكن يولد له فتزوج خمسين امرأة وتسرى بابنتي سرية فولدت له جاريتان يقال لاحدهما صلاه وللأخرى يمّ ثم ولد له غلام قبل ان يموت بعشرين سنة واشتد فرحه فلما انت على الغلام خمس سنين مات فجزع عليه جزعاً شديداً فاخذه فعلقه على شجرة فقال لا تذهب صورته عن عيني حتى يتقطع اشلا. او اموت فجعل لحمه يقع عن عظامه حتى بقيت الفخذ بالساق والقدم والاصابع فاخذ عوداً فشق ورقته وجعل يزلف بعضه على بعض فجعل صدره على صورة الفخذ والعتق على صورة الساق والابزيم على قدر الغلام والملاذي كالاصابع وعلق عليه اوتاراً كالعروق ثم جعل يضربه ويبكي وينوح حتى عمي فكان اول من ناع وسمي الذي اتخذ عوداً لانه اتخذ من عود ».

في . ت .

J. GEORGESCO : Une enquête sur l'Union des Églises en Roumanie., Lyon, 1939 pp. 134 in 8°.

الاستفتاء في قضية اتحاد الكنائس في رومانية

ان السيد جورجسكو الروماني تصدى لرغائب الكثيرين من ابنا بلاده القائلين بواجب التماس الطريق للوحدة الدينية في بلاد رومانية لتعثر بها كما في وحدتها السياسية، ايام نشر هذا الكتاب ، فعرض قضيتما على الرأي العام وخاصة على الرجال المفكرين من الكاثوليك والارثوذكس، مستفتياً اياهم في الجواب على اربعة امثلة يفيدنا الاطلاع عليها ، وعلى بعض الجوابات التي تلها لما لها من الاهمية لمصلحة النفوس الابدية ، فضلاً عما يجده فيها المفكرون من بلادنا اللبنانية العزيزة ، وبالعوم في كل بلد من بلادنا الشرقية من تشابه

- في الاحوال الدينية السياسية بيننا وبين رومانية ، واليك السـؤـالـات :
- ١ - الآن وقد تحققت الوحدة السياسية في رومانية أترى هل حان الوقت للتقارب الروحي بين الرومانيين في اعتناقهم ايماناً دينياً واحداً ؟
- ٢ - كيف يكون اتجاه هذا التقارب ، في رأيك ؟ وايها الافضل : الاتجاه نحو الشرق اليوناني - السلافي او الاتجاه نحو الغرب اللاتيني ؟
- ٣ - اية تكون ، في نظرك ، النتائج الدينية والادبية والاجتماعية والثقافية الصادرة عن هذا التقارب ؟
- ٤ - اية هي ، في نظرك ، الموانع التي تحول دون ذلك التقارب وبأي وسائل نزيلها ؟
- وجاء الجواب بقلم اربعين ممن ارسلت الاسئلة اليهم وكلها تشد ضالتهما الوحيدة وهي واجب اتحاد الجميع في الايمان الواحد واكثرها تدعو الى ذلك الايمان الموروث عن الجدود منذ القدم ، وعليه اتفق الشرق والغرب . وليس الاتحاد برومية والطاعة للاب الاقدس بما يحول دون استقلال البلاد التام .
- ف . ت .

RITTER, *Haht-Name: die Gespräche des Königs mit seinen Sechs Söhnen. Eine mystische Dichtung von FARIDDADDIN ATTAR. [Bibliotheca Islamica. 12]. HELLMUT, Deutsche morgenländische Gesellschaft. Kommissionsverlag F. A. Brockhaus Leipzig. pp. 439 + 15 + 28, 13½ in 8°.*

آلهى نامه

از كفتار فرید الدین عطار . بتصحيح . د. ريت

النشريات الاسلامية الجزء ١٢ استانبول - مطبعة معارف ١٩١٠ لجمعية المستشرقين الالمانية

هو الشاعر الفارسي الشهير ولد في نيسابور وعاش في القرن السابع الهجري (١٣ م) - اقام ١٣ عاماً في مشهد ، وقضى ٣١ عاماً في جمع المؤلفات الصوفية شمرّاً ونثراً . لقب بالطائر لم يشه بيع المقايير . له مؤلفات عديدة .

قال عن نفسه انه نظم ما اناف على المثني الف بيت شعر . ومن روائع
متوجاته هذه الملحة الالهية في احد وعشرين نشيداً . وفيها محاوره الملك
مع ابنائه الستة . وقد راجعنا في فهرست الكتاب تفاصيل مرادها فبدت لنا
كوسوعة شجرة فنية ذكرتنا بالياذة هوميروس وشاهنامه الفردوسي . والفضل
كل الفضل للسلامة ريت في التفتيش عن مخطوطاتها في اسبات المكاتب ،
والعناية بالمقابلة بينها ، ونشرها على اساس متين مطلقاً عليها في كل صفحة
مختلف القراءات مضيفاً اليها الفهارس المتنوعة ، خادماً الآداب الشرقية عامة
والايرانية خاصة .

ف . ت .

حياة يسوع

للمطران جاورجيوس حكيم

٤٦٠ صفحة ق ١٦ - ١٦٩ صورة بالالوان - من منشورات دار السلام القاهرة ، ١٩٦٧ ،
مطبعة حريصا (لبنان) - الثمن ليرة لبنانية

هو الكتاب النفيس الذي وضعه سيادة المطران جاورجيوس حكيم ،
متربوليت عكا وحيفا والناصره وسائر الجليل ، مزج فيه الاناجيل الاربعة
في انجيل واحد بطريقة تاريخية فنية تسهل مطالعة الاناجيل ، وتوضح بأجلى بيان
حياة يسوع وتعاليمه وعجائبه حسب زمانها ومكانها .

وهذا الكتاب فتح جديد في اللغة العربية ومأثرة جميلة قيمة من مآثر
المؤلف الجليل . فندعو الجميع الى مطالعته فهي مفيدة ولذيذة وشائقة .

